ميخائيل بار زوهر
نسيم مشعل

الموساد

العمليات الكبرى

ترجمة

بدر عقيلي



دار الجليل للنشر
إصدار دار الجليل للنشر

ميخائيل بار زوهر -   نسيم مشعل

الموساد
العمليات الكبرى

الموساد
العمليات الكبرى

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
2011
دار الجليل
للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية
هاتف: 5157627- فاكس:5153668
الاردن- ص.ب 8972 - عمان 11121
E-mail:darjalil@nets.com.jo

ميخائيل بار زوهر - نسيم مشعل

الموساد
العمليات الكبرى

ترجمة: بدر عقيلي

فهرس

مقدمة...7
مدخل...9
الفصل الأول.. الموساد وحربه ضد المشروع النووي الإيراني...........17
الفصل الثاني.. سوبرمان الإسرائيلي .. رئيس الموساد مائير دجان......37
الفصل الثالث.. خطاب "خرتشوف ..." 51
الفصل الرابع.. الجثة التي ألقيت من طائرة إلى قلب البحر........... 61
الفصل الخامس.. أوستروفسكي وكتاب الأكاذيب...........................69
الفصل السادس.. قضية الشاب من الخضيرة................................73
الفصل السابع.. ضابط اس.اس في صفوف الموساد 79
الفصل الثامن.. ايلي كوهن في دمشق 97
الفصل التاسع.. طيار عراقي يهبط في إسرائيل............................119
الفصل العاشر .. يجب أن نقتل أحد كبار المجرمين النازيين...........131
الفصل الحادي عشر .. تصفية قيادات أيلول الأسود (1)...............145
الفصل الثاني عشر .. تصفية قيادات أيلول الأسود (2).................155
الفصل الثالث عشر .. عمليات العرائس السوريات......................171
الفصل الرابع عشر .. عميل "موساد" في مكتب الرئيس المصري.......185
الفصل الخامس عشر .. بول يبني لـصدام حسين أكبر مدفع في العالم...201
الفصل السادس عشر .. الشوكولاتة القاتلة.................................209
الفصل السابع عشر .. لا وجود لمالطا......................................213

الفصل الثامن عشر .. تصفية خالد مشعل الفاشلة 217
الفصل التاسع عشر .. كانوا يعانون من إصابات رأس فظيعة..........231
الفصل العشرون .. إحباطات وفشل...237
الفصل الحادي والعشرون .. الشقراء التي قادت فعنونو إلى الاعتقال....249
الفصل الثاني والعشرون .. قصف المفاعل السوري..........................261
الفصل الثالث والعشرون .. من اغتال سليمان؟.............................269
الفصل الرابع والعشرون .. نهاية عماد مغنية................................273
الفصل الخامس والعشرون .. سبعة وعشرون عميلا في أعقاب المبحوح...285

مقدمــة:

كثيرة هي الكتب الإسرائيلية التي صدرت وكتبت عن جهاز الأمن الإسرائيلي الخارجي "الموساد"، ومنهـا مـا ترجم الى اللغة العربية والى لغات أخرى، غير أن الكتاب الذي نحن بصدده، والذي يحمل عنوان "الموسـاد.. العمليـات الكبرى"، مختلف تماما عن سابقيه على أربعة أصعدة هي:

- مؤلفا الكتاب يتميزان باطلاعات واسعة بالشأن الإسرائيلي، السياسي والأمني، الأول.. البروفيسور ميخائيل بار زوهر، وهو أديب ومؤرخ وكاتب سيرة دافيد بن غوريون وشمعون بيرس، وهو نائب كنيست سابق ومـن مؤلفاتـه كتاب عن تاريخ إسرائيل والأجهزة الأمنية الإسرائيليـة، أمـا شريكـه في تـأليف هـذا الكتـاب فهـو صـحفي ومـدير عـام التلفزيون وراديو إسرائيل سابقا، واشتهر بتقديمه برنامج "مشعل ساخن"، و"بوبو لتيكه"، وقد سـبق ان عمـل منـدوبا للتلفزيون الإسرائيلي في واشنطن وكان ضمن اهتماماته العلاقات الأميركية الإسرائيلية.

- الهامش الزمني: يتناول الكتاب هامشا زمنيا طـويلا يرجـع الى السـتينات كبدايـة، بيـد أنـه يركـز بصـورة خاصة على السنوات الأخيرة، حيث يصل توثيقه لعمليات الموساد حتى أواخر عام ***2010***، بما فيها عملية اغتيـال القائـد الحمساوي في دبي محمود المبحوح، واغتيال المسؤول العسـكري في حـزب اللــه في دمشـق عـماد مغنيـة، وقصـف مـا تدعي إسرائيل بأنه مفاعل نووي في منطقة دير الزور في سـوريا، إضـافة الى تناولـه أكـثر مـن ثلاثين قصـة مـن قصـص وعمليات الموساد.

- وبطبيعة الحال فإن الكتاب يتناول قضايا هامة، منها المشروع النووي الإيـراني، وعرقلـة الموسـاد لـه عـبر عمليات التخريب والاغتيالات والاختطاف وتجنيد العملاء، ومن بينها ما لم تتطرق إليه وسائل الإعلام.

- لقد توخى الكاتبان إيراد القضايا بدقة وصورة منطقية بعيدة عن الخيال الروائي.. البوليسي- المألوف في قصص التجسس، مما يدلل على دقة الاطلاع والمعرفة بالمعلومات، مع إيراد الكثير من التفاصيل الدقيقة غير المعروفة من قبل، وهي أهم ميزة يتحلى بها هذا الكتاب.

ففي الفصل الأول يتناول الكتاب الحرب التي شنها "الموساد" على المشروع النووي الإيراني، ما بين تخريب التجهيزات التي ابتاعتها إيران من الداخل والخارج لهذا المشروع، الى قتل وتجنيد عملاء منهم: أمير شيرازي، شهارم أميري، علي رضا عسكري، كما يتناول الكتاب العمليات التي مني فيها "الموساد" بالفشل، مثل محاولة اغتيال خالد مشعل في عمان، واغتيال علي حسن سلامة قائد أيلول الأسود في بيروت، وغيرهما.

ويركز الكتاب على العمليات التي قام بها "الموساد" في الدول العربية، منها: زرع الجاسوس ايلي كوهن في دمشق، وتهريب الفتيات والشبان اليهود من سورية الى إسرائيل، واغتيال الجنرال السوري محمد سليمان، وتهريب طائرة ميغ-*21* مع طيارها من العراق الى إسرائيل، والتغلغل في المناطق الكردية، واغتيال العالم جيرالد بول الذي جنده الرئيس العراقي صدام حسين لبناء المدفع العملاق.

كما يتطرق الكتاب الى قصة العلماء الألمان الذين بنوا صاروخي "القاهر" و"الظافر" في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، كذلك قصة تجنيد الموساد لأشرف مروان أحد كبار رجال الأعمال المصريين.

إن جهاز "الموساد" الذي يعمل بصورة سرية تحت أجنحة الظلام، بعيدا عن الأضواء، وخارج اطر الرقابة القانونية والقضائية، لا يتم الإعلان عن حجم ميزانيته، ويعتبر هذا الكتاب واحدا من المؤلفات القليلة التي لا تقدم فقط رؤيا إسرائيلية لعمل هذه المؤسسة الأمنية الاستخبارية، بل في كونه يتناول تركيبة جهاز الموساد، أدواره وعملياته، كما يتطرق الى استخلاص العبر من المهام التي يقوم بها هو أو أجهزة استخبارية عالمية.

وللتنويه علينا عدم أخذ ما جاء في مضمون هذا الكتاب كمسلمات، بل هو يعبر عن وجهات نظر إسرائيلية.

"أسرة دار الجليل"

مدخل:

ولدت أجهزة الأمن الإسرائيلية في ظل احتدام القتال خلال حرب عام 1948. و كانت منظمة "هشاي" -خدمة المعلومات- التابعة لمنظمة الهجناه الإسرائيلية حتى اندلاع حرب 1948 بمثابة الجهاز الأساسي لجمع المعلومات الاستخبارية. وكان رجالها يتجسسون على البريطانيين، وقد تمكنوا من التسلل جيدا إلى بؤر الحسم العربية، وراقبوا الأجانب واليهود المشبوهين بكونهم عملاء مدسوسين من قبل الانتداب البريطاني. لقد حفظت المستندات والأوراق في عدة مخازن سرية تم إعدادها في المدن الكبيرة وفي عدة كيبوتسات.

لقد كان واضحا للجميع حينما أقيمت الدولة أن المخابرات ستكون بمثابة أحدى الدعائم الهامة التي يرتكز عليها الأمن الإسرائيلي، وأن إسرائيل ستكون مرتبطة بالمعلومات الاستخبارية الموثوقة أكثر من أية دولة أخرى في العالم: بالمعلومات المفصلة عن جيوش العدو ونواياها، وبالإنذار المبكر والدقيق من الهجمات التي تخطط لها كي يتمكن الجيش الإسرائيلي من اتخاذ الاستعدادات اللازمة لصدها.

لقد ألقي على عاتق المخابرات وشعبة الاستخبارات في هيئة الأركان العامة، وعلى الموساد الذي نشأ فيما بعد، مهام جسيمة لا مثيل لها في أجهزة المخابرات الأخرى.

وعندما اندلعت معارك 1948، طرأت على أجهزة الأمن تغييرات، بيد أن هذه التغييرات لم تكن باتجاه الأفضل. فقد تحول جهاز "هشاي" إلى شعبة الاستخبارات العسكرية والتي شقت خطواتها الأولى وسط دوامة من الفضائح، والقتل وانتهاك حقوق الإنسان. إن الدور الذي قامت به الأجهزة الاستخبارية الإسرائيلية خلال حرب 1948 سيدخل التاريخ ليس بسبب الإنجازات التي حققتها، بل بسبب الفضائح والأعمال الشريرة التي تركتها خلفها. لقد ولدت كل هذه الأعمال والتشوهات بسبب شخصية رئيس المخابرات العسكرية آنذاك المقدم إيسر باري "بيرنتسفيج".

كان إيسر باري -رئيس منظمة هشاي التابعة للهجناه وقائد المخابرات العسكرية الأول- وطنيا إسرائيليا شديد التحمس، زاهدا ومتفانيا، ورغم ذلك كان يكن في أعماق قلبه حقدا أسود، ويتبنى مسلكيات خطرة لا تمارسها سوى الأنظمة المشبوهة. وقد أطلق عليه اسم "إيسر الكبير"، بسبب

جسده الضخم لتمييزه عن إيسر الصغير – إيسر هرئيل "هلفرين"، قصير القامة، والقزم، والذي كان هو أيضا من كبار رجال المخابرات الإسرائيليين، ومسؤولا عن الشعبة اليهودية.

لقد استهل إيسر الكبير أول مؤامراته بتسديد حسابات شخصية مع رئيس بلدية حيفا الأسطوري أبا حوشي. وقد قرر أن يثبت بأي ثمن أن أبا حوشي كان مخبرا للبريطانيين على عهد الانتداب البريطاني، وأنه سلم لضباط اتصاله تفاصيل حول عملية سرية للغاية كانت منظمة البلماح – كتائب الانقضاض- تخطط للقيام بها في خليج حيفا. وإضافة إلى كراهيته الشديدة لأبا حوشي، كان هناك عامل سياسي واضح يدفعه لفعل ذلك، فقد كان أبا حوشي من حزب (مباي) – حزب عمال أرض إسرائيل- في حين كان باري مقربا إلى حزب "أحدوت هعفوداه".

توجه باري إلى مسؤولي الدولة وقدم إليهم برقيات مرسلة إلى المخابرات البريطانية وتعتمد على معلومات من عميل رمز له بالأحرف الأولى من اسمه A.H - وقال إنه عثر عليها في ملفات البريد في حيفا في أعقاب استيلاء القوات الإسرائيلية عليه- وهي تحمل أنباء حول العمليات التي يخطط لها البلماح وعن موعد التنفيذ.

لقد كانت تلك البرقيات والأحرف الأولى بمثابة دليل قاطع على أن مرسلها هو "أبا حوشي"، وأنه خائن. أضف إلى ذلك أن باري اعتقل تحت جنح الظلام أحد سكان حيفا "جول أمسطر" - المقرب إلى أبا حوشي- وقام رجاله بنقله إلى مكان منعزل في عتليت، حبسوه في بئر ملح، وضربوه، وعذبوه، وحطموا أسنانه وأطفأوا سجائرهم في جسمه طيلة عدة أسابيع كي يعترف أمامهم أن أبا حوشي خائن. وفي النهاية اضطر باري للإفراج عن أمستر الذي أصبح شبه إنسان. ومن الجدير بالذكر إن الدولة اضطرت بعد سنوات لدفع تعويضات لهذا الرجل البائس.

لقد بقيت البرقيات التي جلبها باري، والتي كانت دليلا دامغا ضد أبا حوشي قائمة. ولا شك أنه كان من الصعب معرفة كيف ستنتهي هذه القضية لولا مثول مزور تلك البرقيات – وهو أحد العاملين في هشاي" أمام الجهات المسؤولة في الدولة وإعلامها بالقصة المذهلة. وقد قال لهم: إن ضميره لا يدعه ينام بسلام لأنه قام بتزوير البرقيات بناء على أوامر صريحة من إيسر الكبير. لقد أدى هذا الاعتراف إلى انهيار المؤامرة المدبرة ضد أبا حوشي.

لم تكن هذه المؤامرة الوحيدة من بنات أفكار باري، فبعد بضعة أشهر، وفي أوج القتال، تم اكتشاف جثة عربي يدعى علي قاسم، وهو رجل ثري، ويعمل مخبرا مع منظمة الهجناه. كانت الجثة

نصف محترقة وفيها الكثير من الثقوب التي أحدثتها العيارات النارية التي أطلقت عليها، وقد ألقيت في إحدى الغابات القريبة من بلدة زخرون يعقوب. وقد اتضح أن علي قاسم قتل دون محاكمة بناء على أوامر إيسر باري نظرا للاشتباه بأنه عميل مزدوج.

ومن الجدير بالذكر أن باري قدم إلى محكمة عسكرية سرية بسبب هذه العملية، وخفضت رتبته إلى جندي وطرد من الجيش الإسرائيلي.

ولم تكن تلك نهاية مكائد باري، فقد اكتشفت اللجنة التي قدمها رئيس الحكومة بن جوريون أن باري وأحد مساعديه المدعو بنيامين جيبلي ارتكبا جريمة أخرى في الأيام الأولى من حرب 1948، فقد اشتبه الاثنان بأن ضابطا في الجيش برتبة نقيب يدعى مائير طوبيانسكي قد نقل معلومات سرية إلى البريطانيين والى الجيش الأردني إبان الحصار على القدس. وبناء على أمر من باري تم اعتقاله خلال فترة الهدنة الأولى، وقام الاثنان بنقله إلى قرية عربية مهجورة تدعى بيت جيز ومعهما اثنان من المخابرات ديفيد قيرن، وإبراهام قدرون وقام الأربعة بإجراء محاكمة ميدانية له، ولم يسمحوا له أبدا بالدفاع عن نفسه وإثبات براءته، وأدانوه، ثم أصدر إيسر الكبير أمرا بإعدامه رميا بالرصاص على أيدي فرقة إعدام.

وبعد أشهر طويلة وصلت رسالة محزنة من أرملته "لانا" إلى ديفيد بن جوريون الذي كان يتولى أيضا منصب وزير الدفاع، فأمر بإجراء تحقيق، حيث أثبتت نتائجه أن طوبيانسكي لم يتجسس ولم يخن. وقد أعيد دفنه وسط مراسم عسكرية كاملة، وقدم باري مرة أخرى إلى المحكمة التي أدانته، بيد أن خدمته للدولة جعلت المحكمة تحكم عليه فقط بغرامة قدرها ليرة واحدة وبالسجن لمدة يوم واحد، لكن رئيس الدولة حاييم وايزمن عفا عنه فورا.

لقد هزت قضايا إيسر الكبير قيادة الدولة، لكنها أسفرت عن نتائج إيجابية على المدى الطويل، فقد جاءت أساليبه – والتي بدا أنها مستقاة من أساليب المخابرات السوفييتية- بمثابة تحذير لمسؤولي الدولة، الذين كانوا يدركون أنه لا يتوجب على أجهزة أمن الدولة اليهودية الديمقراطية أن تعمل على هذا النحو، لا يجب أن يكون التعذيب، والتزوير والإعدام السري جزءا من أساليب عمل أجهزة الأمن الإسرائيلية. بل ويجب أيضا على أجهزة الأمن التي يقتضي عملها منها أن تعمل بصورة طبيعية خارج القانون وأحيانا بصورة مخالفة للقانون، أن تحترم القواعد الأخلاقية الأساسية.

ومنذ تلك اللحظة أصبحت أخلاقية الشخص بمثابة إحدى التقديرات الأساسية في تعين رئيس أية شعبة استخبارية.

أدت كل تلك الأحداث إلى تمخضات وتغييرات واسعة في أجهزة الأمن. وقد تم تعيين إيسر هرئيل رئيسا لأجهزة الأمن. وفي كانون الأول عام 1949 أمر بن جوريون مستشاره روبن شيلوح بتشكيل "الموساد لتركيز وتنسيق عمليات المخابرات"، وهكذا ولدت فكرة إنشاء وكالة تجسس قومية على غرار وكالات المخابرات في الولايات المتحدة. وفي الأول من نيسان 1951 أنشئ الموساد عمليا حينما نقلت إليه جميع مهام "الشعبة السياسية" التابعة لوزارة الخارجية، والتي كانت بمثابة شعبة التجسس الرسمية لدولة إسرائيل.

كان شيلوح رجلا مثقفا، ذكيا، ولطيفا، وكان يتمتع بخبرة جيدة على الصعيد الاستخباري والسياسي، ووضع أسس العلاقة بين هشاي ووكالة oss – المخابرات الأميركية ما قبل تشكيل وكالة المخابرات cia - وقد منح شيلوح للموساد مهمة خاصة تتمثل في الدفاع عن اليهود في كل مكان في العالم، والعمل على تهجير اليهود من جميع أنحاء العالم إلى إسرائيل.

كان شيلوح دبلوماسيا رفيع المستوى ورجل استخبارات جديا، بيد أنه كان يفتقر إلى الخيال الخصب ومقدرة القيادة، ولم يبد أن إيسر هرئيل كان متحمسا له، الأمر الذي جعله يفتش عن طرق يصل فيها إلى بن جوريون.

كان الموساد على عهد شيلوح لا زال يحبو في بداية الطريق، وقد مني بالعديد من الهزات، أولها كان حينما تم حل "الشعبة السياسية" التابعة لوزارة الخارجية التي كان يديرها بوريس جوريئيل. لقد كانت هذه الشعبة بمثابة الجهة الاستخبارية الإسرائيلية الأساسية، بيد أن رسلها في أوروبا أثاروا غضب المخابرات وشعبة الاستخبارات العسكرية التابعة للجيش بأسلوب حياتهم المرفه والمبذر مقارنة بإنجازاتهم الطفيفة، وعندما قام شيلوح بحل الشعبة السياسية، وأنشأ الموساد على أنقاضها، تمرد أولئك الرسل وهددوا بالاستقالة، بل وقاموا بتدمير وثائق، الأمر الذي تطلب إنشاء الموساد من لا شيء.

استقال شيلوح من الموساد بعد حوالي سنة إثر حادثة طرق خطيرة – وهناك من يقول أن استقالته جاءت على أرضية الخلافات الشخصية بينه وبين إيسر هرئيل، والذي تغلب فيها الأخير عليه. وحال استقالته تم تعين هرئيل رئيسا للموساد وفي نفس الوقت بقي محتفظا في يده بقيادة أجهزة

الأمن، ومن ثم أصبح مسؤولا عن جميع أجهزة الأمن، وهي الوظيفة التي ظل متمسكا بها إحدى عشرة سنة.

لقد ترك هرئيل بصماته على الأجهزة الأمنية. كان رجلا قويا، مركزيا، متمسكا بالأهداف ويتمتع بحس مذهل، ورغم ذلك أدار عمليات استخبارية سياسية، وأعلم بن جوريون بكل ما يدور داخل الأحزاب المختلفة. لقد كان هذا الاتجاه غير مرغوب فيه، لذا قام ورثته في قيادة الأجهزة الأمنية بإلغائه.

كان على هرئيل خلال السنوات الأولى لتوليه منصبه الجديد أن يحارب التجسس السوفييتي على إسرائيل، والذي كان دبلوماسيون سوفييت يقومون بإدارته، وإن كان يمارس بصورة رئيسية من قبل يهود ممن كان بعضهم عملاء زرعهم السوفييت إبان هجرتهم إلى إسرائيل، والبعض الآخر لديهم أسر في الاتحاد السوفييتي وقد استغلت المخابرات السوفييتية هذه الفرصة كورقة ضغط عليهم، لقد أجبرهم ضباط المخابرات السوفييتية الـ "كي.جيه.بيه" على التجسس لصالحهم بتهديدهم بالإساءة إلى أقاربهم في أوروبا الشرقية، وكان بعضهم الآخر من اليساريين الإسرائيليين الأبرياء والأغبياء الذين ربطوا أنفسهم بخدمة السوفييت انصياعا للأيديولوجية اليسارية المتطرفة ومن خلال التقدير الكبير للاتحاد السوفييتي ولستالين الملقب "شمس الشعوب".

لقد أدار هرئيل المعركة المذكورة بنجاح كبير بفضل الحس المرهف الذي كان يتمتع به. لقد اعتاد أصدقاؤه ومعجبوه ترديد روايات مذهلة حول المقدرة التي كان يتمتع بها على هذا الصعيد، ومن ضمنها قضية زئيف إفني. وإفني كان دبلوماسيا إسرائيليا محنكا وساحرا، وقد عمل سنوات طويلة في أوروبا وحظي بتقدير جميع المسؤولين عنه. وبدأ إفني يتقرب من الموساد بصورة تدريجية، مما حدا بمسؤولي الموساد لتكليفه بالعديد من المهام رغم أنه لم يضم إلى الموساد بصورة رسمية. لقد وصلت الأمور إلى حد أن هرئيل نفسه كان يقدر الدور الذي يقوم به تقديرا كبيرا، رغم أنه امتنع عن ضمه إلى الموساد رسميا نظرا لأنه كان يعمل في وزارة الخارجية.

قدم إفني إلى إسرائيل لقضاء إجازة والتقى بهرئيل، وخلال هذا اللقاء شعر هرئيل أن ضوءا أحمر قد أضيء أمام ناظريه، فسبب زيارته لإسرائيل لم يرق لهرئيل، حيث قال إن السبب في الزيارة يتعلق بمشاكل شعور ابنته التي تناهز الثامنة بالوحدة، كما أنه أبدى رغبة جامحة في الانضمام إلى الموساد وإقامة مكتب له في يوغسلافيا.

قام هرئيل بدعوة إفني للقاء ثان، وفجأة ودون أي إنذار سابق، ضرب الطاولة بقبضة يده، وانفجر صارخا: " أنت جاسوس سوفييتي، أنت ضابط سوفييتي، اعترف، اعترف". لقد أذهل الغضب المفاجئ إفني، والذي بدا شديد الضيق، وفي النهاية اعترف. وقال أنه شيوعي متطرف، وأنه يعمل منذ عام 1952 في خدمة الاتحاد السوفييتي.

لم يكن لدى هرئيل أية أدلة يمكنها أن تدينه، ولو أن إفني نفى التهمة الموجهة إليه بشدة لتخلى هرئيل عنها، بيد أن إفني خاف واعتقد أنه إذا لم يعترف فسوف يعدمه هرئيل بوصفه خائنا. وقد حوكم وحكم عليه بالسجن لمدة أربع عشرة سنة. لقد كان إفني الجاسوس السوفييتي الوحيد الذي نجح في التغلغل إلى صفوف الموساد.

لم يحقق الموساد في سنواته الأولى نجاحا كبيرا، فقد كانت تلك السنوات سنوات دراسة وتعلم وتنظيم. كانت إسرائيل معزولة في تلك السنوات، ولم تتمكن من الحصول على تعاون وتوجيه من قبل أجهزة أمن أكثر منها خبرة، وكان عليها أن تتعلم نظريات وأساليب الاستخبارات والأمن وحدها، لكنها كانت في نفس الوقت تتمتع بمزايا لا يتمتع بها أي جهاز مخابرات آخر، فقد كانت الدولة الوحيدة القادرة على تجنيد عملاء يهود للموساد من أوساط الجاليات اليهودية في شتى أنحاء العالم، ويتحدثون بجميع اللغات، ويبدون كأبناء لأوطانهم في روسيا، أوكرانيا، اسكندنافية، الدول العربية، أميركا الجنوبية وغيره. كما عمل الموساد بوحي من عملاء يهود كانوا يعتبرون من أشهر الجواسيس في القرن العشرين مثل: لئوبولد ترفر كبير الجواسيس السوفييت خلال الحرب العالمية الثانية، وماركوس وولف الأسطوري الذي ترأس المخابرات الألمانية الشرقية. كما أن القوى البشرية التي التحقت بالموساد كانت قوى متميزة من خريجي دوريات الاستطلاع العسكرية الإسرائيلية، وممن يتمتعون بكفاءات جسمانية كبيرة، وعقول خلاقة وشجاعة، ومن خريجي سلاح الاستخبارات العسكرية والذين تعلموا منذ سنوات العشرين لحياتهم كيف يتنفسون العمل الاستخباري.

ورغم ذلك ارتكبت إسرائيل الكثير من الأخطاء، ففي سنة 1951 ألقي القبض على شبكة تجسس ودفاع ذاتي إسرائيلية في بغداد، وقامت السلطات العراقية بشنق اثنين من كبار مسؤوليها هما: شلوم صالح ويوسف بصري، في حين نجح أحد أعضائها الآخرين المدعو مردخاي بن بورات – الذي أصبح فيما بعد عضو كنيست- في الفرار، أما البقية وعلى رأسهم ضابط إسرائيلي يدعى يهودا تيجر فقد عذبوا وسجنوا لسنوات طويلة. وقد نجح هرئيل بعد سنوات في تخليص تيجر من

السجن العراقي، فقد علم هرئيل أن متآمرين عراقيين يخططون لقتل الرئيس العراقي الجنرال عبد الكريم قاسم، فاتصل به هرئيل سرا وأبرم معه صفقة يقوم خلالها هرئيل بتسليمه معلومات حول المـؤامرة مقابـل الإفـراج عـن تيجـر. وفي نهاية 1959 عاد تيجر إلى إسرائيل.

أما القضية الاستخبارية التي هزت إسرائيل كلها فقد وقعت خلال السنتين 1954-1955، والتي أطلق عليها اسـم "قضية لافون". وبنحاس لافون كان وزيرا للدفاع ورئيسا لشعبة الاستخبارات العسكرية، وقد قام بالتعاون مع بنيامين جيـبلي بالتخطيط لعملية غبية وخطرة في مصر.

كان الجيش البريطاني على وشك إخلاء قواعده من مصر، الأمر الذي سيمكن المصريين من الحصول على مطـارات ومخازن أسلحة وبنية عسكرية متميزة. وقد أثار هذا الانسحاب البريطاني مخاوف لدى إسرائيل نظرا لأن الانسـحاب سـينهي التأثير البريطاني الرادع على المصريين، الأمر الذي قد يقودهم إلى مغامرة عسكرية ضد إسرائيل. وبناء عـلى هـذا الوضـع قـرر لافون وجيبلي القيام بسلسلة من الأعمال التخريبية في مصر لدفع البريطانيين للتفكير من جديد والعدول عن خطتهم الخاصة بالانسحاب من مصر.

لقد اعتقد الاثنان أنه إذا انفجرت عدة قنابـل في مؤسسـات ثقافيـة وفي قنصـليتي بريطانيـا والولايـات المتحـدة، فسوف يثبت ذلك للبريطانيين أنه لا يمكن الاعتماد على المصريين.

لقد فكر لافون وجيبلي تفكيرا طفوليا يقول: إن البريطانيين سيقتنعون بأن النظام المصري غير مستقر وغير مؤهل لمنع الأعمال التخريبية، ومن ثم يجب على بريطانيا عدم إخلاء مصر.

كان منطق لافون وجيبلي لا أساس له من الصحة، فقد كانت عملية إخلاء مصرـ جـزءا مـن السياسـة البريطانيـة التي جرى التخطيط لها زمنا طويلا، ولا يمكن لحملة تخريب ضعيفة وهامشية أن تغير القرار الخاص بذلك.

وكي يزيد الاثنان الطين بله، كلفا بهذه المهمة مجموعة من الشبان اليهود الصهاينة المتحمسين وفي نفـس الوقـت عديمي الخبرة في هذا المجال، هذا عداك عن عدم إعدادهم لتنفيذ المهمة، بل تم تدريبهم سرا للقيام بمهمة أخرى: الدفاع عن الجالية اليهودية في مصر في حالة تعرضها للخطر.

لم يكن بالإمكان نجاح العملية، ولم تكد تمضي بضعة أيام من صدور الأمر بالتنفيذ حتى حدثت الكارثة. لقد نفـذ الشبان اليهود عدة عمليات باستخدام قنابل مرتجلة في القاهرة والإسكندرية، ثم

تم القبض عليهم، وتعذيبهم وتقديمهم للمحاكمة، وقام المصريون بإعدام اثنين منهم: شموئيل عزار، والدكتور موشيه مرزوق، وحكم على البقية بالسجن لفترات طويلة. وقد قام ماكس بنط – وهو ضابط إسرائيلي بالانتحار في السجن.

لقد أحدثت العملية والفشل الذريع الذي باءت به هزة شديدة في إسرائيل، مما اضطر لافون للاستقالة من منصبه. ومن الجدير بالذكر إن الموساد لم يتدخل في هذه القضية، وقد شجبها إيسر هرئيل بشدة.

لقد تبلور الموساد وشعبه بمرور السنين على النحو التالي:

قيساريه: والتي كان يطلق عليها في السابق اسم "متساده"، هي شعبة العمليات، والتي تضم وحدة العمليات المسماة "كيدون" الرمح، والتي تقوم بغالبية العمليات الخارجية.

تسومت: تقوم بأعمال جمع المعلومات في الخارج عبر ضباط جمع المعلومات، الذين يعمل قسم منهم تحت غطاء دبلوماسي، وقسم آخر تحت غطاء أعمق. وقد أقيمت القيادة الأمامية لهذه الشعبة لسنوات طويلة في باريس، لكن حينما ضعفت العلاقات مع فرنسا على عهد ديجول انتقلت القيادة إلى بروكسل.

تيفل: تقوم بتوطيد العلاقات مع منظمات التجسس الأجنبية ومع الدول التي لا تقيم علاقات دبلوماسية مع إسرائيل .

نفيعوت: تعمل في مجال الحصول على المعلومات من المصادر التقنية.

تسفرير: تعمل في مجال الدفاع عن اليهود أينما كانوا، وتهجيرهم إلى إسرائيل.

هذا إضافة إلى : شعب توثيق، إدارة، تجهيزات، أبحاث، توجيه لإعداد عملاء الموساد.

وقد حدد اسم الموساد بصورة نهائية كي يصبح: مؤسسة الاستخبارات والعمليات الخاصة.

الفصل الأول

----

* البروفيسور محمدي اغتاله الموساد باستخدام مواد ناسفة تم زرعها في دراجة نارية كانت تقف بالقرب من سيارته.

* محمدي كان خبيرا في فيزياء الطاقة والف كتبا وكتب العديد من المقالات حول الطاقة النووية وكان يقدم المشورة للبرنامج النووي الإيراني

*بهله: أهم الوسائل الدرامية التي استخدمها الموساد في حربه ضد المشروع النووي الإيراني هي الاغتيالات للشخصيات المركزية وبشكل خاص العلماء المرتبطون بالمشروع.

* إيران انفقت مبالغ مالية طائلة وجندت علماء وبنت قواعد سرية وأجرت تجارب ذكية دون أن يكون لدى إسرائيل علم بذلك.

* كان يجب على الإسرائيليين أن يدركوا أن المفاعل في بوشهر هو مفاعل عادي يعمل بقضبان اليورانيوم والمياه الثقيلة، ولن يزود إيران بالبلوتونيوم الذي تحتاجه لبناء قنبلة نووية.

* الدكتور عبد القدير خان باع أجهزة طرد مركزية لإيران والتي قامت بعد فترة بشراء أجهزة طرد مركزية من أماكن أخرى في العالم.

الفصل الأول

---

* البروفيسور محمدي اغتاله الموساد باستخدام مواد ناسفة تم زرعها في دراجة نارية كانت تقف بالقرب من سيارته.

* محمدي كان خبيرا في فيزياء الطاقة والف كتبا وكتب العديد مـن المقـالات حـول الطاقـة النووية وكان يقدم المشورة للبرنامج النووي الإيراني

*بهله: أهم الوسائل الدرامية التي استخدمها الموساد في حربه ضد المشروع النووي الإيـراني هي الاغتيالات للشخصيات المركزية وبشكل خاص العلماء المرتبطون بالمشروع.

* إيران انفقت مبالغ مالية طائلة وجندت علماء وبنت قواعد سرية وأجـرت تجـارب ذكيـة دون أن يكون لدى إسرائيل علم بذلك.

* كان يجب عـلى الإسرائيليـين أن يـدركوا أن المفاعـل في بوشـهر هـو مفاعـل عـادي يعمـل بقضبان اليورانيوم والمياه الثقيلة، ولن يزود إيران بالبلوتونيوم الذي تحتاجه لبناء قنبلة نووية.

* الدكتور عبد القدير خان باع أجهزة طرد مركزيـة لإيـران والتـي قامـت بعـد فـترة بشراء أجهزة طرد مركزية من أماكن أخرى في العالم.

الموساد وحربه ضد
المشروع النووي الإيراني
عملاء مزدوجون.. وحدات اغتيال وتفجير

خرج البروفيسور مسعود علي محمدي من بيته في شارع شرياطي في حي جيطريه الواقع شمالي طهران في الساعة السابعة وخمس دقائق في الثاني عشر من كانون الثاني 2010، في طريقه إلى جامعة شريف للتكنولوجيا حيث كان يعمل محاضرا في الشعبة العلمية. عندما حاول فتح سيارته والدخول إليها سمع صوت انفجار هائل هز الحي الهادئ والذي كان لا يزال يغط في نصف نوم.

وعندما وصلت قوات الأمن إلى المكان، اكتشفت أن سيارة البروفيسور محمدي تحطمت تماما من شدة الانفجار وقد تناثرت أجزاء من جثته حولها. وقد أصيب في الانفجار عدد من المارة، كما أصيبت المنازل المجاورة بأضرار.

كان تحقيق الشرطة قصيرا: لقد اغتيل البروفيسور محمدي باستخدام مواد ناسفة تم زرعها في دراجة نارية كانت تقف بالقرب من سيارته. وقد فجرت العبوة الناسفة باستخدام جهاز تفجير عن بعد في اللحظة التي هم فيها بفتح باب السيارة. وأفادت وسائل الإعلام نقلا عن جهات حكومية قولها: "إن عملاء الموساد يقفون وراء العملية". أما الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد فبرر العملية بالقول: "إن الأسلوب المستخدم في اغتيال محمدي يذكرنا بأساليب التصفية الصهيونية".

يناهز البروفيسور محمدي الخمسين من العمر، وقد كان خبيرا في فيزياء الطاقة، وقد ألف كتبا وكتب العديد من المقالات حول الطاقة النووية وكان يقدم المشورة للبرنامج النووي الإيراني.

وقد أفادت وسائل إعلام المعسكر الإيراني المحافظ أنه كان في السابق عضوا في حرس الثورة. وفي أعقاب وفاته نشرت صحيفة واشنطن بوست نبأ أفادت فيه أن البروفيسور

محمدي شارك في مشروع أبحاث دولي يشارك فيه فيزيائيون من الكثير من دول الشرق الأوسط ومن ضمنهم إيران، باكستان، إسرائيل، الأردن ودول أخرى.

إن حياة البروفيسور محمدي مثلها كمثل اغتياله لا زالت لغزا خفيا، ويقول بعض أصدقائه أنه كان يعمل في مجال الأبحاث النظرية فقط ولم تكن له أية علاقة بأية برامج عسكرية. وهناك من يقول أنه كان ينتمي إلى معسكر المعارضين للنظام الإيراني، وأنه شارك في مظاهرات جماهيرية ضده. وفي نفس الوقت هناك من يؤكد على الدور الخفي الذي قام به البروفيسور محمدي في المشروع النووي الإيراني.

وفيما يتعلق بانتمائه السياسي، فقد كان نصف المشاركين في جنازته من العاملين في حرس الثورة التابع للنظام، وقد حمل نعشه على أكتاف ضباط من حرس الثورة. ولا شك أن هذا هو دليل قاطع على مشاركته في البرنامج السري للنظام الإيراني.

وتقول جهات أوروبية: "إن محمدي لم يكن أول عالم إيراني يتم اغتياله على أيدي الموساد الإسرائيلي".

وتفيد صحيفة الساندي تايمز اللندنية أن عملاء الموساد نجحوا في كانون الثاني 2007 في قتل العالم الإيراني البروفيسور أردشير حوسينفور الذي يناهز الرابعة والأربعين، وهو باحث ذائع الصيت وذو سمعة عالمية في مجال الألكترونيات. وقد اتضح أنه هو أيضا لم يغتل بسبب أبحاثه النظرية. لقد عمل في منشأة في أصفهان تعمل على تحويل اليورانيوم الخام إلى غاز، والذي يتم إدخاله بعد ذلك إلى أجهزة الطرد المركزي "سنتريفوجه" لتخصيب اليورانيوم في منشأة بعيدة ومحصنة في بلدة "نتناز".

وفي عام 2006 نال حوسينفور أرفع جائزة للعلوم والتكنولوجيا في إيران. وكان قبل سنتين قد حظي بأهم جائزة في بلاده في مجال العلوم العسكرية.

لقد توفي حوسينفور في منتصف كانون الثاني 2007، لكن الإيرانيين لم يعلنوا عن وفاته إلا بعد أسبوع من تسممه ولم يدلوا بأية تفاصيل حول كيفية تسممه، وما نوع السم الذي حقن به. لكن في مطلع شهر شباط نشرت شركة الاستشارات الأميركية للشؤون الاستخبارية والأمنية "ستراتفور"- التي تقيم مقرها في تكساس- نبأ مفاده أن الموساد يقف وراء تصفية

حوسينفور بتسميمه بسم مشع. وقد سخرت جهات رسمية إيرانية من النبأ قائلـة: "إن الموسـاد غـير مؤهـل للقيام بمثل هذه العملية داخل إيران، وأن البروفيسور حوسينفور توفي جراء استنشاقه الدخان إثر الحريـق الـذي نشـب في بيته إبان نومه".

وتفيد صحيفة ديلي تلجراف أن الموساد لم يكتف بتصفية العالمين المذكورين، بل إن الموساد حـارب المشرـوع النووي الإيراني باستخدام عملاء مزدوجين، ووحدة اغتيالات، وانفجارات، وشركات وهمية وتصفية شخصـيات مركزيـة في المشروع النووي الإيراني.

ونسبت الصحيفة إلى "ربيه بهله" - المحللة في شركة المعلومات الاستخبارية الإيرانية قولها: "إن أهم الوسائل الدرامية التي استخدمها الموساد في حربه ضد المشروع النووي الإيراني هي الاغتيالات للشخصيات المركزية وبشكل خاص العلماء المرتبطون بالمشروع. "إن الحرب السرية التي خاضـتها إسرائيـل بالتعـاون مـع الولايـات المتحـدة تتمحـور حـول تصفية الشخصيات الرئيسية والقيام بعمليات تخريب في سلسلة التجهز بالأجهزة الخاصة بالمنشآت النووية".

وتقول: "إن إسرائيل عملت على هذا النحو في العراق أيضا في مطلع الثمانينات عندما اغتالـت ثلاثـة علـماء نوويين عراقيين وعرقلت بذلك عملية إنشاء المفاعل بالقرب من بغداد.

إن هذه المعلومات الجزئية التي تناولتها وسائل الإعلام الغربية، ألقـت الضـوء عـلى حـرب اللاخيـار السريـة والقاسية التي يديرها الموساد الإسرائيلي منذ سنوات طويلة من أجل القضاء على أشد الأخطار التي تهدد وجود إسرائيـل منذ قيامها، هذه الأخطار التي ستتحول إلى حقيقية إذا ما نجحت إيران في حيـازة أسـلحة نوويـة، وجسـدت تهديـداتها المتكررة الداعية إلى محو إسرائيل من الخارطة.

إن الصراع السري الخطر الـذي يخوضـه الموسـاد لا يمكنـه أن يكفـر عـن أخطـر قصـور ارتكبـه في تاريخـه، والمتمثل في فشله في اكتشاف المخطط السري الإيراني للتجهز بأسلحة نووية.

لقد عملت إيران بصورة سرية سنوات طويلة من أجل الحصـول عـلى سـلاح نـووي دون أن تعـرف إسرائيـل شيئا عن ذلك. وأنفقت إيران مبالغ مالية طائلة، وجندت علماء،وبنت قواعد سرية، وأجرت تجارب ذكية دون أن يكـون لدى إسرائيل علم بذلك.

لقد عمد الإيرانيون منذ اللحظة التي قرروا فيها ضرورة التجهز بأسلحة نووية إلى القيام بخطوات ذكية والعديد من الحيل التي أبدت أجهزة المخابرات الغربية كأجهزة ضعيفة وفارغة المحتوى، بما فيها الموساد نفسه. لقد تمكنت إيران من خداعهم وإيقاعهم في المصيدة التي نصبتها لهم.

بدأ الإيرانيون مسيرتهم النووية منذ عهد الشاه رضا بهلوي، الذي شرع بإنشاء مفاعلين نوويين في بلاده للأغراض السلمية والعسكرية، وقد أشرفت شركة "سيمنز" الألمانية على بناء المفاعلين، بيد أن خطة الشاه لم تثر قلق إسرائيل نظرا لأنها كانت حليفته المقربة. وقد استضاف عيزر وايزمن - الذي كان في تلك الآونة وزيرا للدفاع في إسرائيل- الجنرال الإيراني حسان طوفينيان الذي كان يعمل في مجال تسليح جيش بلاده. وفي الرواية التي قالها طوفينيان لوكالة المخابرات المركزية الأميركية أفاد: أن وايزمن حاول إقناعه بمقدرة إسرائيل على تزويد إيران بصواريخ أرض - أرض محسنة، بل وأمر وزارته بالتوقيع مع الإيرانيين على اتفاقية لتطوير صواريخ من هذا النوع لصالح إيران – خطة تسور- أما مدير مكتبه الدكتور بنحاس زوسمان، فقد فاخر أمام الإيرانيين بالقول: من الجائز أن يتم تجهيز الصواريخ الإسرائيلية برؤوس نووية. ولحسن الحظ فإن هذه الخطة لم تخرج إلى حيز التنفيذ بسبب الثورة الإيرانية، والتي فر الشاه في أعقابها من بلاده، وسقطت إيران ثمرة ناضجة في أيدي رجال الدين برئاسة آية اللـه الخميني.

أمر الخميني بوقف التطوير النووي فورا، معتبرا إياه "غير إسلامي" على غرار الكثير من التكنولوجيا الغربية الأخرى. وجرى إغلاق المفاعلات وحل تجهيزاتها. وفي تلك الآونة اندلعت الحرب العراقية الإيرانية التي استخدم فيها صدام حسين الغازات السامة ضد إيران. لقد أحدث استخدام العراق - الذي يعتبر العدو الأكبر لايران- الأسلحة غير التقليدية ضد طهران تحولا جذريا في تفكير آيات اللـه. وقبل وفاة الخميني جلب وريثه علي خامنئي بشارة جديدة إلى المؤسسة العسكرية الإيرانية، وأعلن أنه ومقابل أسلحة الدمار الشامل التي يستخدمها أعداء إيران، فإنه يتوجب على إيران تطوير أسلحة للدفاع عن نفسها.

لقد كان هذا القرار بمثابة ضوء أخضر لإيران لتطوير أسلحة كيميائية وبيولوجية، وبصورة أساسية أسلحة نووية بمرور الزمن. وقد عثر خامنئي فورا على رجال دين على

استعداد لإلغاء التحريم الذي فرضه الخميني على السلاح "غير الإسلامي"، وقالوا: "إن من المسموح بـه بنـاء أسلحة نووية". وإننا نعتقد أنه يتوجب على كل من لا زال يعتقد حتـى الآن أن إيـران تسـعى لتطـوير أسـلحة نوويـة للأغراض السلمية، أن يراجع الخطابات والتصريحات التي أدلى بها خامنئي في حينه.

كان التطوير النووي السريع نتيجة مباشرة للحرب الإيرانية العراقية، وقد أعد منـذ اللحظـة الأولى للأغـراض العسكرية وليس لأي شيء آخر غير ذلك.

واصل وريث علي خامنئي- هاشـمي رفسـنجاني - المشروع النـووي، بـل وعمـد إلى توسـيعه حـال تسـلمه السلطة عام 1989. لقد سمع العالم في تلك الآونة الكثير عن الجهود الإيرانية الرامية للحصول على أسلحة نووية. وحينما انهار الاتحاد السوفييتي انتشرت الكثير من الشائعات في أوروبا حول الجهود الهائلة التي بذلها الإيرانيون من أجـل شراء قنبلة أو رؤوس صاروخية نووية بملايين الدولارات من قبل ضباط أو علماء جائعين، من مخزون السوفييت النووي.

وغصت وسائل الإعلام الغربية بالمقالات حول العلماء النوويين السوفييت الذين اختفـوا مـن منـازلهم ومـن اماكن عملهم بعد أن اشتراهم الإيرانيون.

وأشار المراسلون ذوو الخيال الخصب إلى سيارات مغلقة كانت تشق طريقها في شوارع أوروبا بعد أن تختار الطرق الالتفافية من أجل تجاوز الحواجز الحدودية والوصول إلى الشرق الأوسط. وقد علم في نفـس الوقـت بـأن هنـاك مفاوضات متقدمة تجري بين إيران والصين وروسيا لشراء معلومات وتجهيزات نووية. ووقعت طهران عـلى اتفاقيـة مـع موسكو لبناء مفاعل نووي في بوشهر الواقعة على ساحل الخليج، ووقعت على اتفاقيـة أخـرى لبنـاء مفـاعلين أصـغر مـع الصين.

شعر الأميركيون والإسرائيليون بقلق بالغ إزاء تلك الأنباء، وقامت طواقم خاصة بالبحث عن القنابل النوويـة الروسية التي بيعت لإيران وعن العلماء السوفييت الذين تم تجنيدهم مـن قبـل آيـات اللــه، بيـد أن تلـك الطـواقم لم تكتشف شيئا.

قامت الولايات المتحدة بتشجيع وحث شديد من إسرائيل بممارسة ضغوط شديدة عـلى روسـيا والصـين مـن أجل إلغاء أو تعطيل الصفقات المرفوضة التي عقدتاها مع إيران. وقد

استجابت الصين للضغوط الأميركية وألغت الصفقة مع إيران، لكن الروس أصروا على تنفيذ الاتفاقية وبناء المفاعل النووي في بوشهر، وفي نفس الوقت حرص الروس على تأخير عملية بناء المفاعل من سنة إلى أخرى. ومن الجدير بالذكر أنه ورغم مضي أكثر من عشرين سنة على توقيع الاتفاقية بين روسيا وإيران، إلا أن الروس لم يستكملوا بناء هذا المفاعل.

إن الأمر المذهل في كل هذه القضية هو أن الأميركيين والإسرائيليين في آن واحد لم يدركوا حقيقة بسيطة،وهي: أن الاتحاد السوفييتي ليس معنيا أبدا بأن تقوم على حدوده وعلى حدود تركيا، وحدود الجمهوريات الإسلامية القائمة في الشرق والجنوب من حدوده، دولة إيرانية مسلحة بأسلحة نووية. إن قيام إيران نووية على حدود الاتحاد السوفييتي قد يشكل خطرا مزدوجا: فأسلحتها النووية ستساعدها في نشر تأثيرها على الجمهوريات الإسلامية الواقعة على حدودها، ومن ثم إبعادها عن التأثير الروسي، كما أن إيران ستعرض روسيا نفسها بصواريخها المتوسطة والطويلة التي تطورها للخطر.

كان يجب على الإسرائيليين أن يدركوا أن المفاعل الروسي في بوشهر هو مفاعل عادي يعمل بقضبان اليورانيوم والمياه الثقيلة، ولن يزود إيران بالبلوتونيوم الذي تحتاجه لبناء قنبلة نووية. كما أنه تم التأكيد في الاتفاقية الروسية الإيرانية على إعادة البلوتونيوم الناتج عن عمليات المفاعل إلى روسيا وعدم استخدامه لأية أهداف أخرى.

كان يجب على الولايات المتحدة وإسرائيل البحث عن القصة الحقيقية في اتجاه مختلف تمام الاختلاف، بيد أنهما لم تفعلا ذلك، أضف إلى ذلك أن الموساد والمخابرات المركزية الأميركية لم يدركا أن المفاعلات الروسية والصينية التي بذل عملاؤهما جهودا كبيرا جدا من أجل الحصول على المعلومات الخاصة بها، ما هي سوى ستارة من الدخان، ومخدر لشغل أفضل جهازي استخبارات في العالم. وأن إيران أقامت تحت سمع وأبصار الأميركيين والإسرائيليين مشروعا عملاقا من أخطر المشروعات، والذي سيمنحها السلاح النووي الذي تتوق إلى امتلاكه.

عقد لقاء سري عام 1987 في إمارة دبي بين ثمانية أشخاص في أحد المكاتب الصغيرة والتي لا تلفت النظر حضره: ثلاثة إيرانيين، وباكستانيان، وثلاثة خبراء أوروبيين –اثنان منهم

ألمان- يعملون في خدمة إيران. وقد تم التوقيع خلال اللقاء على اتفاقية سرية بين ممثلي إيران وباكستان، وقام الإيرانيون بتسليم الباكستانيين مبلغا محترما، أو بمعنى أكثر دقة إلى الدكتور عبد القدير خان، رئيس المشروع النووي الباكستاني.

كانت باكستان قد قامت قبل سنوات معدودة بجهود كبيرة من أجل تطوير قنبلة نووية. ونظرا لأنها كانت في ذلك الوقت غارقة في نزاع عنيف مع جارتها الهند فقد سعت لتسليح نفسها بقنبلة نووية، خصوصا وأن معلومات استخبارية موثوقة أفادت أن الهند تسير بنفس الاتجاه – تحولت الهند إلى دولة نووية في غضون هامش زمني قصير.

اتخذ الخبير النووي الباكستاني الأكبر الدكتور عبد القدير خان قرارا بالحصول على المواد المطلوبة لتطوير قنبلة نووية ليس عبر استخدام البلوتونيوم الذي يتم تطويره في المفاعلات النووية، بل عبر تخصيب اليورانيوم.

ومن الجدير بالذكر إن اليورانيوم الخام الذي يتم استخراجه من مناجم اليورانيوم يحتوي على نسبة 1% فقط من اليورانيوم ذي الوزن الذري 235 الذي يدخل في تركيب القنابل النووية، في حين أن 99% من اليورانيوم الخام الباقي هو من اليورانيوم ذي الوزن الذري 238 الذي لا يستخدم لهذا الغرض.

اختار الدكتور عبد القدير أسلوب تحويل اليورانيوم الطبيعي إلى غاز، وإدخال هذا الغاز إلى أجهزة طرد مركزية (سنتريفوجه) والتي ترتبط بسلسلة يطلق عليها اسم المنحدر، وعندما تدور أجهزة الطرد المركزي بسرعة فائقة – مائة ألف دورة في الدقيقة- يتم عزل اليورانيوم 235 الذي يعتبر أخف من اليورانيوم 238، وعبر تكرار إدخال اليورانيوم آلاف المرات إلى أجهزة الطرد المركزية يتكون في داخلها بصورة تدريجية اليورانيوم 235 بتركيز عشرات في المائة، وحينها يتم تحويل الغاز إلى مادة صلبة والتي تعتبر المادة الضرورية لبناء القنابل النووية.

نجح الدكتور عبد القدير عبر استخدام أجهزة الطرد المركزية ذات المستوى الرفيع في توليد اليورانيوم الذي استخدمه لبناء القنبلة النووية الباكستانية. لقد سرق الدكتور عبد القادير خطة أجهزة الطرد المركزية في حقيقة الأمر من شركة أوروبية تدعى "يورنكو"، وبدأ في صناعة هذه الأجهزة في باكستان. وعندما اتضح له النجاح الكبير الذي حققه، تحول إلى "تاجر موت" على

المستوى العالمي وشرع في بيع أساليبه وصيغه وأجهزة طرده المركزية لكل من يـدفع الـثمن، وقـد كانـت إيـران زبونا أساسيا لديه، إضافة إلى ليبيا وكوريا الشمالية.

قام الدكتور عبد القدير خان في أعقاب توقيع اتفاقية دبي، وطيلة سنين ببيع أجهزة طـرد مركزيـة لإيـران، والتـي قامت بعد فترة ما بشراء أجهزة طرد مركزية من أماكن أخرى في العالم، كما تعلم الإيرانيون كيفية صنعها وتركيبها بأنفسهم.

كان الدكتور عبد القدير يتجول سنوات طويلة في شتى أنحاء العالم ويقيم في أماكن عديدة مصانع فرعية لصناعة أجزاء أجهزة الطرد المركزية. وانهالت على إيران إرساليات يورانيوم كبيرة، وأجهزة طرد مركزيـة، وقطـع غيـار وغـيره، وبنيـت مفاعلات عملاقة لمعالجة اليورانيوم الخام، وتخزين أجهزة الطرد المركزي، وتحويل الغاز المتولد إلى مادة صلبة من جديد.

وسافر العلماء الإيرانيون إلى باكستان وتوجه الخبراء الباكستانيون إلى إيران دون أن تعـرف أيـة جهـة أو تسـمع عما يحدث. ولا شك أن من الصعب أن نصدق أن جميع أجهزة المخابرات في العالم - ومن ضمنهم الموساد- لم تلاحظ الحركـة النشطة التي سادت إيران على هذا الصعيد.

لقد عمل الإيرانيون بفطنة وذكاء كبـيرين، واضـعين نصـب أعيـنهم العـبر المسـتقاة مـن تـدمير المفاعـل النـووي العراقي على أيدي إسرائيل، لذا قرروا عدم وضع جميع البيض في سلة واحـدة، وقـاموا بتوزيـع المنشـآت المختلفـة للمشرـوع النووي في قواعد سرية في شتى أنحاء إيران، ودفنوها عميقا في باطن الأرض لحمايتها من القنابل الجوية،وأحاطوها بالعشرات من بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات. لقد أقام الإيرانيون مفاعلا نوويا في أصفهان، ومفاعلا آخر في منطقـة "عـراق". أمـا منشأة أجهزة الطرد المركزي – التي تعتبر أهم من جميع المنشآت- فقد تنقلت في عدة مواقع مختلفة حتى استقرت في نهاية المطاف في "نتناز"، وأقيم مفاعل رابع بالقرب من مدينة "قم". ومن الجائز أن الإيرانيين أقاموا مفـاعلات سريـة أخـرى لم يـتم اكتشافها حتى الآن. كما قاموا بنقل المراكز النووية من مكان إلى آخر، مع الحرص على تدمير المباني التي يتم اكتشافها، وإزالة طبقات كاملة من الأرض التي تعرضت للإشعاعات أو التلوث من المواد المشعة. وقام الإيرانيون عبر الأكاذيب والحيل بخـداع العالم كله، وبشكل خاص مراقبي وكالة الطاقة النووية الدولية، والتي تصرف رئيسها الدكتور محمد البرادعـي المصرـي وكأنـه يصدق جميع الأكاذيب التي يروجها الإيرانيون، وقام بتوزيع تقارير مطمئنة مما أسهم في عرقلـة وتأجيـل اكتشـاف المشرـوع النووي الإيراني.

إن حيازة قنبلة نووية دون توفر الوسائل القادرة على نقلها إلى هدفها لا تساوي الكثير. وبناء على ذلك عكف الإيرانيون - في نفس الوقت الذي كانوا فيه يقومون بتطوير قنبلتهم النووية- على تطوير مشروع صواريخ للمدى المتوسط والبعيد، وبذلوا جهودا جبارة من أجل بناء رؤوس صاروخية قادرة على حمل القنابل النووية.

لقد انكشفت القصة الحقيقية أمام المخابرات الأميركية لأول مرة في الأول من حزيران 1998 حينما فر العالم الباكستاني "افتخار خان تشودري" من بلاده ووقف أمام محققي مكتب التحقيقات الفدرالي في نيويورك، وكشف لهم الحقيقة حول التعاون السري بين إيران وباكستان. وكشف النقاب عن العمليات السرية التي قام بها الدكتور عبد القدير ووصف لقاءات ومشروعات شارك فيها بنفسه، وكشف النقاب عن تفاصيل حول النقاشات التي دارت بين العلماء الإيرانيين والباكستانيين، وأدلى بمعلومات عن العلماء الباكستانيين الموجودين في إيران للمساعدة في المشروع النووي الإيراني. وأعرب عن اعتقاده بأن إيران ستستخدم السلاح النووي الذي ستحصل عليه ضد دولة إسرائيل.

اعتمدت اعترافات تشودري على حقائق وتفاصيل قام مكتب التحقيقات الفدرالي بالتأكد من صحتها ووجد أنها صحيحة ودقيقة. ورغم أن المكتب أوصى بمنحه حق اللجوء السياسي في الولايات المتحدة، إلا أن شهاداته والحقائق التي كشف عنها النقاب لم تحظ بأي تعاطف، وقامت المخابرات الأميركية بكل بساطة بدفن البروتوكول، ولم تعمل وفقا له، ولم تغير سياستها، ولم تحذر إسرائيل الأمر الذي أدى إلى مرور أربع سنوات بعد ذلك قبل أن تنكشف الحقيقة عن إيران.

وفي آب 2002 أعلنت المنظمة السرية الإيرانية المعارضة للنظام "إم.أيه.كيه" عن وجود منشآت نووية في إيران، في "نتناز" و"عراق". وواصلت المنظمة المذكورة نشر المعلومات الدقيقة عن المشروع النووي الإيراني خلال السنوات اللاحقة، الأمر الذي أثار شكوكا لدى الأميركيين بأن إسرائيل وبريطانيا تقومان بتزويد المنظمة بالمعلومات التي تحصلان عليها لإشاعتها، وأنهما تستخدمان المنظمة بغية نقل المعلومات إلى الولايات المتحدة وإلى وكالة الطاقة النووية الدولية.

وتقول جهات إسرائيلية إن ضابط موساد يعمل في جمع المعلومات هو الذي اكتشف وجود معمل أجهزة الطرد المركزي الهائل في "نتناز" في قلب الصحراء.

سلمت المنظمة المذكورة للأميركيين في نفس السنة جهاز حاسوب نقال يحتوي على وثائق عديدة تتعلق بالمشروع النووي الإيراني. ولا تعرف أية جهة كيف حصل رجال المنظمة على الحاسوب. وقد تعامل الخبراء الأميركيون مع الوثائق الموجودة في الحاسوب باستخفاف بدعوى أنها أدخلت إلى الحاسوب في فترة لاحقة، ووجهوا أصابع الاتهام مرة أخرى إلى إسرائيل، وكأنها هي التي وضعت الوثائق التي حصلت عليها من مصادر مختلفة في الحاسوب، ثم سلمته إلى معارضي النظام الإيراني كي يسلمونه إلى الولايات المتحدة.

بدا أن الأمور بدأت تنضج بالاتجاه الصحيح، وأخذت الأدلة المتدفقة من كل اتجاه تفتح عيون الأميركيين والأوروبيين بصورة تدريجية، وتثبت لهم أن أخطار التطوير النووي الإيراني ليست من بنات أفكار إسرائيل المريضة، بل هي واقع صعب ومر يجب التعامل معه. وفي الرابع من شباط 2004 مثل الدكتور عبد القدير خان بنفسه على شاشة التليفزيون الباكستاني واعترف بأنه باع حقا معلومات واستشارات وأجهزة طرد مركزية لليبيا، وكوريا الشمالية وإيران. لقد ربح عبد القدير خان ملايين الدولارات من هذه الصفقات.

أصبحت إسرائيل مصدر معلومات مركزيا لما يدور في إيران، واعترف الأميركيون أن إسرائيل هي التي زودتهم في المرحلة الأخيرة بالمعلومات الموثوقة حول المنشأة السرية التي بناها الإيرانيون في مدينة "قم"، كما أنها كانت ذات صلة بفرار عدد من كبار الضباط العاملين في حرس الثورة الإيراني والمشروع النووي إلى الغرب، كما قامت بنقل معلومات حديثة للعديد من الدول مما مكنها من وقف سفن في مياهها الإقليمية كانت تقوم بنقل مواد محظورة إلى إيران. بيد أن الحصول على المعلومات الاستخبارية لم يكن كافيا، فقد كانت إسرائيل تتعرض للتهديد أمام عالم يتردد في اتخاذ أية خطوة متشددة ضد إيران، لذا لم يكن لديها أي خيار سوى شن حرب لا هوادة فيها ضد المشروع النووي الإيراني. وهكذا، وبعد فشل ذريع استمر حوالي ست عشرة سنة عادت إسرائيل للعمل ضد المشروع النووي الإيراني.

تحطمت في كانون الثاني 2006 طائرة كانت تقل عددا من قادة حرس الثورة الإيراني ومن بينهم أحمد كاظمي أحد كبار قادة القوات البرية التابعة لحرس الثورة، وكان بين المسافرين أيضا قادة قوات المدفعية، ونائب قائد المخابرات وقادة عمليات وتنسيق القوات البرية. وقد عزا الإيرانيون سبب تحطم الطائرة إلى سوء الأحوال الجوية بيد أن وكالة "ستراتفور" أفادت أن ليس من المستبعد

أن يكون عملاء مخابرات غربيون قد عبثوا بالطائرة قبل إقلاعها من أجل التسبب في مقتل الشخصيات الرفيعة التي كانت الطائرة تقلها، وهز نظام الرئيس محمود أحمدي نجاد.

هذا وكانت طائرة نقل إيرانية عسكرية قد تحطمت قبل ذلك بشهر في كانون الأول 2005 وسقطت فوق مبنى إيراني مؤلفا من عدة طوابق في طهران مما أدى إلى مقتل ركابها التسعة والأربعين، ومن ضمنهم مسؤولون في حرس الثورة الإيراني وصحفيون. وكان الطيار قد أعلم سلطة الطيران الإيرانية قبل التحطم بأنه يواجه مشاكل في محرك الطائرة، وطلب الإذن بالهبوط الاضطراري، بيد أن الطائرة تحطمت قبل أن تصل إلى مدرج الهبوط.

وفي تشرين الثاني 2006 تحطمت طائرة عسكرية إيرانية إبان إقلاعها من مطار في طهران متجهة إلى مدينة شيراز مما أدى إلى مقتل ستة وثلاثين شخصا من حرس الثورة الإيراني كانوا على متنها. وقد قال وزير الدفاع الإيراني في مقابلة مع راديو إيران: "إن المعلومات التي جمعناها تشير إلى أن عملاء أميركيين وبريطانيين وإسرائيليين هم الذين أسقطوا الطائرات.

انضمت وكالة المخابرات المركزية الأميركية إلى العمليات التي يقوم بها الموساد في إيران، وفي أيار 2007 وقع الرئيس بوش على أمر رئاسي سري يسمح لوكالة المخابرات بالقيام بعمليات حربية سرية من أجل عرقلة البرنامج النووي الإيراني.

لقد بلورت أجهزة المخابرات الغربية خلال المشاورات التي أجرتها قرارا ينص على تخريب مسار تزويد إيران بالمواد والمركبات المطلوبة للمشروع النووي وكذلك منظومات الحاسوب والألكترونيات. أما على الصعيد العملي فقد بدأت عمليات التخريب في المنشآت النووية الإيرانية منذ شهر شباط 2005. حيث أفادت وسائل الإعلام الدولية وقوع انفجار في موقع نووي إيراني في "ديلم" إثر قيام طائرة مجهولة الهوية بإطلاق صاروخ على المكان. وقد نفت إسرائيل والولايات المتحدة أية صلة لهما بالحادثة. أما وزير الداخلية الإيراني فقال: "إن الانفجار وقع جراء سقوط صهريج وقود من طائرة إيرانية"، ثم أعلنت السلطات الإيرانية فيما بعد أن الانفجار وقع جراء القيام بشق طريق في المنطقة. وفي نفس الشهر وقع انفجار آخر بالقرب من بوشهر في أنبوب الغاز الذي يزود المفاعل النووي بالغاز.

وتعرض موقع التجارب النووي "بريتشن" القائم بالقرب من طهران أيضا للاعتداء. ومن الجدير بالذكر أن الإيرانيين يقومون في هذا الموقع بتطوير عدسة التفجير، وهي الجهاز الذي سيحول

قلب القنبلة إلى كتلة حرجة ويبدأ عملية التسلسل التي ستقود إلى حدوث الانفجار. وقد أفادت مصادر المعارضة الإيرانية أن انفجارا وقع في المكان وأحدث أضرارا جسيمة.

وفي نيسان 2006 وقعت عملية تخريب خطيرة في المنشأة النووية المركزية في "نتناز" والتي أصابت مسؤولي الخطة النووية الإيرانية بالذهول.

اجتمع في هذه المنشأة الهامة -التي تم بناؤها تحت الأرض، والتي تعمل فيها آلاف أجهزة الطرد المركزي لتخصيب اليورانيوم- علماء، ومهندسون، ومسؤولون عن المشروع النووي الإيراني من أجل مشاهدة التجربة الأولى لتفعيل سلسلة أجهزة الطرد المركزي. كانت الأجواء احتفالية، والجميع بانتظار اللحظة الدرامية التي ستعطى خلالها لحظة البدء بتفعيل التجربة.وعندما قام كبير المهندسين بالضغط على زر دفع الغاز، سمع صوت انفجار هائل، وانفجرت جميع الأنابيب محدثة صوتا رهيبا وانهار كل شيء.

حاول الخبراء الإيرانيون اكتشاف مصدر المشكلة التي أحدثت الانفجار، وأين أخطأوا؟ ومن المسؤول عن الخطأ؟ وبعد تحقيقات موسعة توصلوا إلى استنتاج مفاده أن جهة ما عبثت بأجهزة الطرد المركزي. ولم يعلموا أن تلك الجهة ما هي سوى جهاز تجسس غربي، والذي نجح في زرع تجهيزات غير صالحة في إرساليات المعدات والمواد التي بيعت لهم بمبلغ باهظ.

أفادت شبكة التليفزيون الأمريكية سي.بي.إس بعد أربعة أشهر أن أجهزة الطرد المركزي التي كانت في المنشأة النووية في "نتناز" فجرت باستخدام عبوات ناسفة صغيرة تم زرعها فيها قبل وقت قصير من التجربة. وأن المخابرات الإسرائيلية هي التي ساعدت العملاء الأمريكيين على تخريب المنشأة التي تعتبر أخطر المنشآت الإيرانية على صعيد صناعة السلاح النووي.

وقعت حادثة أخرى في كانون الثاني 2007، ومرة أخرى كانت أجهزة الطرد المركزي هدفا لتخريب ذكي من قبل جهاز استخبارات غربي والذي قام بإنشاء شركة وهمية في أوروبا الشرقية متخصصة في عزل الترابط بين أجهزة الطرد المركزي. كان الإيرانيون يواجهون صعوبة بالغة في الحصول على مواد لمشروعهم النووي بسبب الحظر الذي فرضته عليهم جهات دولية ، لذا سارعوا إلى شراء كميات عزل كبيرة عبر وسطاء مختلفين، وبعد أن تم ربط أجهزة الطرد المركزي اكتشفوا أن المواد كانت غير صالحة ولا يمكن استخدامها، وهكذا تعطلت الخطة النووية مرة أخرى.

لقد منيت المنشآت والمفاعلات النووية الإيرانية ومصانع إيرانية أخرى في شتى أنحاء إيران بأعمال تفجير وتخريب في غضون السنوات الخمسة الماضية. كان عملاء المخابرات الأجنبية يعلمون أن الإيرانيين مضطرون لشراء المواد التي يحتاجها مشروعهم النووي من السوق السوداء من أجل الالتفاف على القيود التي فرضت عليهم. لذا قاموا بتجنيد علماء روس وإيرانيين في المنفى في خدمتهم، والذين عملوا على إنشاء شركات وهمية في أوروبا وباعوا للإيرانيين تجهيزات غير صالحة أو مواد تمت "معالجتها"، مما ألحق بالبرنامج النووي الإيراني أضرارا جسيمة. وفي بعض الحالات تنكر عملاء المخابرات في صورة رجال أعمال ودبروا للإيرانيين سلسلة من المكائد الذكية حاولوا خلالها اكتشاف ما الذي يفتش عنه الإيرانيون، ومن ثم تقديم "النصيحة" لهم عن مكان وجود المواد التي يريدونها. وهكذا وقعت العديد من عمليات التخريب بصورة غامضة في أجهزة التبريد في مفاعل بوشهر مما أرجأ بدء عمله لعدة سنوات. ففي أيار 2008 وقع انفجار في معمل لصناعة مواد التجميل يقع على بعد قليل من المنشأة النووية في "عراق" وألحق أضرارا جسيمة في المعمل. ووقع انفجار آخر في كانون الأول 2008 في معمل أمني بالقرب من أصفهان، حيث يجري تحويل اليورانيوم إلى غاز.

وفي نبأ لها أفادت صحيفة نيويورك تايمز إن أبناء عائلة "تينر" – مهندسين من سويسرا- ساعدوا في كشف النقاب عن البرنامج النووي الليبي والإيراني مقابل مبلغ عشرة ملايين دولار. وقد ساعد أبناء العائلة في بيع تجهيزات غير صالحة للمنشآت النووية الإيرانية. فقد باعوا الإيرانيين منظومة غير صالحة لتزويد المفاعل في "نتناز" بالكهرباء من تركيا، الأمر الذي أسفر عن تدمير خمسين جهاز طرد مركزي في المنشأة، كما أشترى أبناء العائلة من مصنع بيبر الألماني مضخات ضغط بعد أن تم "تخريبها" في نيومكسيكو، وبيعها إلى الإيرانيين بثمن باهظ.

وتفيد صحيفة "تايم مجازين" أن للموساد الإسرائيلي يدا في السيطرة على السفينة المسماة "أركتيك سي" التي أبحرت من فينلندا إلى الجزائر وهي ترفع علم مالطا تحت قيادة طاقم روسي حاملة "إرسالية من الخشب".

وفي الرابع والعشرين من تموز 2009- أي بعد يومين من إبحارها - سيطر عليها ثمانية أشخاص، وبعد حوالي شهر أعلنت السلطات الروسية أن الكوماندو الروسي هو الذي استولى على السفينة.

وقد أفادت صحيفتا ديلي تلجراف والتايمز اللندنيتان أن الموساد أعلم الروس أن السفينة تحمل إرسالية إلى إيران باعها لها ضابط روسي سابق ذو علاقة بالسوق السوداء.

وفي المقابلة التي منحها لصحيفة "تايم مجازين" قال المسؤول عن محاربة القرصنة البحريـة في الاتحـاد الأوروبي، ورئيس أركان الجيش الأستوني سابقا:" إن التفسير الوحيد الذي يمكنه أن يكون معقولا هو إن الموساد الإسرائيلي قام باختطاف السفينة من أجل اعتراض إرسالية مرسلة إلى المنشآت النووية الإيرانية".

لم يكتف الإيرانيون بالمنشآت النووية التي أقاموها، بل عمدوا منذ عام 2005 لبناء منشـأة جديـدة سرا بـالقرب من مدينة "قم" لتخصيب اليورانيوم باستخدام ثلاثة آلاف جهاز طرد مركزي. وقـد اتضـح فـيما بعـد أن المخـابرات الأميركيـة والبريطانية والإسرائيلية كانت تتابع المنشأة في "قم" منذ إقامتها.

وفي خطوة مفاجئة قرر الإيرانيون في أيلول 2009 إعلام وكالة الطاقة النووية الدولية عن وجود المنشأة. وتفيـد إحدى الروايات أن الإيرانيين ألقوا القبض على جاسوس من إحدى أجهزة المخابرات الغربية كـان يجمـع معلومـات حـول مـا يجري في "قم"، وكي يقلصوا الأضرار التي قد تلحق بهم قرروا الإعلان عن وجود المنشأة.

وبعد شهر من ذلك التاريخ قال ليئون بانطه مـدير "السي-آي.إيـه" في مقابلـة مـع صـحيفة تـايم أن المخـابرات الأميركية كانت على علم بوجود المنشأة السرية في "قم" منذ ثلاث سنوات، وأن إسرائيل شاركت في عملية اكتشـاف وجودهـا، وأن الإسرائيليين أعدوا المعلومات حول الموقع والتي كانت سترسل إلى مؤسسات دولية.

لقد تعاونت وكالات المخابرات الغربية خلال السنوات القليلة الماضية من أجل عرقلة المشروع النـووي الإيـراني، واستخدمت جميع الوسائل والأساليب الممكنة: تصفية علماء، تخريب منشآت، بيع تجهيزات غير صالحة، زرع عملاء في قلب المشروع، ومساعدة مسؤولين إيرانيين في الفرار إلى الغرب.

استخدم جهاز مخابرات مجهول أسلوبا جديـدا في الآونـة الأخـيرة، فقـد نشرـ في وسـائل الإعـلام الأوروبيـة ،وفي إسرائيل، معلومات وتفاصيل واسعة ودقيقة عن "العقل" الذي يقف وراء البرنامج النووي الإيراني. تلك الشخصية التي كانـت حتى تلك اللحظة قابعة في الظلام، ومخبأة خلف

ستار من الغموض والإبهام، لكن الجهاز الاستخباري قام بنشر تفاصيل واسعة عنها: اسم الشخص محسن فخري زاده، يناهز التاسعة والأربعين، بروفيسور في الفيزياء في جامعة طهران. وقد قدمه الجهاز على أنه المطلوب الأول لدى أجهزة الاستخبارات الغربية بوصفه رجلا غامضا ويجيد التملص، ويقف على رأس البرنامج العسكري للبرنامج النـووي الإيـراني. وقـد نشرت أجهزة المخابرات الغربية جميع المعلومات الخاصة به بما فيها عضويته في حرس الثورة منذ أن كـان في الثامنـة عشرـة، وعنوان منزله: شارع الشهيد مهللتي في طهران، ورقم جـواز سـفره 0009228 و 4229533 ورقـم تليفـون منزلـه: 2446413-021. كما قدمت معلومات غزيرة حول الأعمال التي يقوم بها بوصفه رئيس طاقم السلاح الذي يعكف عـلى تطـوير القنبلـة النووية. واتضح أن فخري زاده يعمل على بناء الأسلوب المعقد والحساس المتعلق بخلق "الكتلة الحرجة" داخل القنبلة، التي تؤدي إلى سلسلة الانفجارات النووية.

وتطرقت المعلومات التي نشرت عن زاده إلى المناصب الرسمية التي شغلها والتي غيرت بين الفينة والأخرى عـلى أيدي المخابرات الإيرانية للتمويه من أجل تضليل الغرب، ورغم ذلك بات واضحا أنه يترأس الشـعبة المسـماة "مجـال توسـيع تطبيقات التكنولوجيا الحديثة"، أو بصورة أخرى: المجموعة التي ستبني القنبلة النووية الإيرانية. وأفادت الأنبـاء حولـه أيضـا أن هناك اثنتي عشرة شعبة أبحاث تعمل في شعبته، وأنهـا جميعـا تتعـاون مـن أجـل تطـوير القنبلـة إلى المرحلـة التـي يـتم ملاءمتها على رأس صاروخ من طراز شهاب.

واتضح أيضا من المعلومات أن الجهود التي تبذلها مجموعة زاده أسفرت عن إمكانية بناء قنبلـة نوويـة عملاقـة بحجم شاحنة صغيرة، وأنه يتوجب على هذه المجموعة الآن بذل الجهد اللازم لتصغير حجم القنبلة حتى تتم ملاءمتهـا عـلى الرأس الحربي للصاروخ التنفيذي الذي سيحملها.

لقد اتضح أن فخري زاده معروف جيدا لوكالة المخابرات الأميركية ولمراقبي الأمم المتحدة الذين يبـذلون جهـودا كبيرة من أجل وضع أيديهم عليه.

ومن الجدير بالذكر أنه حظر دخوله إلى الولايات المتحدة وأوروبا كما تم تجميد ممتلكاته في الغرب،ورغم ذلـك واصل العمل بمساعدة بعض الباحثين الذين تم الإعلان عن أسمائهم من أجل التوصل إلى هدفه ، الأمـر الـذي جعلـه يحظـى باسم "دكتور خان الإيراني".

ويبدو أن المعلومات حول فخري زاه نشرت بنفس الطريقة التي نشرت فيها المعلومات الدقيقة حول البرنامج النووي الإيراني، أي عبر نقل المواد إلى منظمة سرية إيرانية والتي قامت بدورها بتسليمها لأجهزة المخابرات الغربية.

يتساءل الكثيرون عن السبب الذي أدى إلى نشر كل هذه المعلومات عن فخري زاده؟ ومن الواضح أن هذه المعلومات لم تجمعها وسائل الإعلام عنه، بل أن الجهة التي قامت بجمعها هي جهة استخبارية ذات كفاءة ومقدرة عالية. إن الرد على السؤال آنف الذكر بسيط ، لقد جاء نشر المعلومات بغية إخافته عبر الألماح له بأنه التالي في قائمة الاغتيالات، ومن ثم دفعه للاختباء ووقف أعماله، أو أن يختار الخيار الأفضل المتمثل في الفرار إلى الغرب.

في شباط 2007 فر علي رضا عسكري الذي شغل العديد من المناصب الرفيعة في وزارة الدفاع الإيرانية، بما فيها نائب وزير الدفاع الإيراني. وقد كان في إطار وظائفه مشاركا في المشروع النووي الإيراني. وقامت المخابرات الأميركية بالتحقيق معه مطولا حيث زودهما بمعلومات هامة جدا عن التقدم في سباق الحصول على القنبلة النووية.

وفي آذار 2007 كتبت صحيفة ساندي تلجراف أن الموساد الإسرائيلي هو الذي خطط لفرار عسكري، وأن مكتب الموساد في اسطنبول ساعد في تخبئته.

وبعد شهر – في آذار 2007- اختفى ضابط إيراني رفيع المستوى يدعى أمير شيرازي، كان يعمل في قوة القدس في العراق. ومن الجدير بالذكر أن هذه القوة تعتبر الوحدة المختارة لحرس الثورة الإيراني،وهي المسؤولة عن العمليات الخارجية والمهام السرية. وقد قال مصدر إيراني لصحيفة التايمز اللندنية: إنه وإضافة إلى اختفاء عسكري وشيرازي فقد اختفى أيضا قائد حرس الثورة في الخليج محمد سلطاني.

وفي تموز 2009 انضم إلى قائمة الفارين العالم النووي الإيراني شهرام أميري، وأعلن عن فراره بعد بضعة أشهر. كان أميري الذي يعمل في منصب رفيع في المشروع النووي الإيراني في مدينة "قم" قد اختفى في السعودية إبان ذهابه إليها لأداء فريضة الحج. وقد طالبت السلطات الإيرانية السعودية توضيح عملية الاختفاء وما آل إليه مصيره وذلك بصورة مخالفة للنهج الإيراني الذي اعتاد تجاهل أولئك الذين يختفون إبان أداء فريضة الحج، الأمر الذي يدل على مدى أهمية أميري والوظيفة الرفيعة التي كان يتسلمها.

لقد أفادت تقارير السي.آي.إيه إن أمـيري كـان يعمـل مخـبرا للمخـابرات الغربيـة منـذ بضـع سـنوات، وزودهـا بمعلومات أساسية وذات قيمة كبيرة. وقد فر إلى الولايات المتحـدة وحصـل عـلى هويـة جديـدة وخمسـة ملايـين دولار بعـد التحقيق معه وسكن في ولاية أريزونا. ويقول الأميركيون أن المعلومات التي زودهم بها تفيد إن جامعـة "مالـك أشـتار" التـي كان يعمل فيها أميري كانت مجرد غطاء أكاديمي للمنظمة المسؤولة عن تخطيط صناعة الأسلحة والرؤوس الحربية للصواريخ الإيرانية. ومن الجدير بالذكر إن محسن فخري زاده الذي أشرنا إليه هو عميد هذه الجامعة.

اتخذ أميري فيما بعد قرارا بتغيير رأيه والعودة إلى إيران، ويبدو أن التوتر الكبـير الـذي كـان يعيشـه تـرك عليـه بصماته، فقد صور نفسه في شريط فيديو عرضه على الانترنت وقال فيه: إن السي.آي. إيه قام باختطافه، ثـم بعـد ذلـك صـور نفسه في فيلم آخر نفى فيه الفيلم الأول، وفي النهايـة أرسـل شريطـا ثالثـا نفـى فيـه الشريـط الثـاني. ثـم توجـه إلى السـفارة الباكستانية التي تمثل المصالح الإيرانية في الولايات المتحدة، وطلب أن يعيدوه إلى إيران. وقد اسـتجاب الباكسـتانيون لطلبـه، وفي منتصف تموز 2010 هبط أميري في طهران. وإثر ذلك وجهت بعـض الجهـات أصـابع الاتهـام إلى السيـ آي.إيـه نظـرا لأن مخبرهم عاد إلى وطنه، بيد أن أحد الناطقين باسم السي.آي.إيه قال:"تلقينا معلومـات هامـة في حـين حصـل الإيرانيـون عـلى أميري، فمن الذي حقق مكاسب أفضل؟".

أعلن الإيرانيون في أوج الحرب السرية ضد المشروع النووي أنهم اكتشـفوا جواسـيس للموسـاد الإسرائـيلي. ففـي كانون الأول 2004 أعلنت إيران أنها اعتقلت عشرة جواسيس مشبوهين بالتجسس لصالح الولايات المتحـدة وإسرائيـل، ومـن ضمنهم ثلاثة كانوا يعملون داخل المنشآت النووية نفسها.

وأعلن الإيرانيون خلال عام 2008 أنهم اكتشفوا شبكة تجسس للموساد ومن ضمنها ثلاثـة مـدنيين إيـرانيين قـام الموساد بتدريبهم على استخدام أجهزة اتصالات حديثة واستخدام أسلحة وعبوات ناسفة.

وفي تشرين الثاني 2008 أعدم الإيرانيون علي عشتري -43سنة- بعد إدانته بالتجسس لصالح إسرائيل. وقد اعترف خلال محاكمته بأنه اجتمع في الخارج مع ثلاثة عملاء للموساد والذين أعطوه مبلغا ماليا وأجهزة الكترونية. وقال عشـتري في اعترافاته: "كان هدف الموساد هو استخدامي

لبيع أجزاء أجهزة حاسوب وتجهيزات الكترونية أخرى تمت معالجتها لأجهزة المخابرات الإيرانية، وزرع أجهزة تنصت داخل أجهزة الاتصالات التي أبيعها.

قال رئيس الموساد مائير دجان أمام لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست الإسرائيلي: حسب تقديره، فإن بمقدور إيران أن تطور سلاحا نوويا حتى نهاية 2014 على أبعد تقدير. إن الإيرانيين لا زالوا يواصلون الاستخفاف بالعالم والتقدم في برنامجهم النووي. ويبدو أنهم يعملون بفطنة ودهاء كبيرين. إنهم يخدعون العالم كله ويسخرون من أعدائهم الذين يبدون يوما بعد الآخر كنمر من ورق، ولا يعرفون ما الذي يجب فعله، وحتى حينما يعرفون ما الذي يتوجب فعله، فإنهم ليسوا على استعداد لفعله.

وأضاف: بل إن العقوبات الجديدة التي أقرها مجلس الأمن، أقرها بتأخير مدته سنة ونصف، والسبب الرئيسي لهذا التأخير يرجع للمسلكية المثيرة للاستهجان من الرئيس الأميركي أوباما، الذي أراد أن يجري حوارا مع الإيرانيين وأن يتوصل معهم إلى تفاهم بالطرق الدبلوماسية. بيد أن الحوار تلاشى كحلم شديد السذاجة. إن الرغبة الأميركية في التعامل مع الإيرانيين بود أسفرت عن ربح أجهزة الطرد المركزي هامشا زمنيا قدره سنة ونصف من العمل المكثف. والآن برز بصورة فجائية عرابون يعملون لصالح إيران: فنزويلا وتركيا والبرازيل والذين قرروا الوقوف ضد الغرب وضد العقوبات. وحتى إذا ما تم تفعيل هذه العقوبات حقا، فقد بات واضحا للجميع أنها لا تستطيع إخضاع إيران العازمة على التسلح بأسلحة نووية. إن حلفاء إيران- وبمساعدة الدول العربية- يحاولون توجيه النار باتجاه إسرائيل، حيث يقولون:" إن بحوزة إسرائيل أسلحة نووية تم تطويرها بصورة سرية، ويجب نزع هذه الأسلحة من إسرائيل عبر نزع أسلحة الشرق الأوسط النووية". لقد زلت قدم الولايات المتحدة – التواقة لتحسين صورها في أعين العالم الإسلامي – مرة أخرى، وضمت صوتها إلى صوت منتقدي إسرائيل في الأمم المتحدة.

إن فشل الغرب، وردود فعله البطيئة، وميله لدفن رأسه في الرمال وعدم انتهاج الوسائل الفعالة ضد إيران، كل هذه العوامل تفاقم الأزمة التي تواجهها إسرائيل في السؤال القائل: هل يجب أن تهاجم المنشآت النووية الإيرانية أو التسليم بحقيقة وجود أسلحة نووية في أيدي إيران؟

ويعتقد المحللون العسكريون أن بمقدور سلاح الجو الإسرائيلي مهاجمة إيران، هذا رغم أن المنشآت النووية موزعة وقسما منها مدفون في باطن الأرض. إن إسرائيل لا تستطيع حقا تدمير

المشروع النووي الإيراني كليا، بيد أنها قادرة على توجيه ضربة شديدة له، مما سيؤخر استكماله لعدة سنوات. ولا شك أن هذا الافتراض يطرح مسألة الثمن الذي قد تدفعه إسرائيل جراء الرد الإيراني على الهجوم، سواء كان ذلك عبر استخدام صواريخ شهاب-3 الموجودة بحوزتها، أو عبر دفع حزب الله وحماس للعمل ضدها. لا شك أن إسرائيل ستجد نفسها أمام عملية حسم من أصعب العمليات التي لم يسبق لها مثيل في تاريخها، ولم يسبق لها أن واجهتها منذ تأسيسها.

وفي هذه الأثناء، فإن الحرب التي تشنها إسرائيل لا زالت متواصلة على جميع الأصعدة والوسائل ضد التهديد الإيراني، وهذا هو العمل المركزي للموساد في الآونة الحالية. ورغم ذلك يجب أن يكون واضحا أن الموساد قد يكون قادرا على التعطيل أو التخريب أو وضع الصعوبات على طريق المشروع النووي، بيد أنه لا يستطيع إزالته نهائيا من الخارطة.

لقد بات من البديهي أن تعزي وسائل الإعلام الغربية كل تخريب، أو عطل أو حادثة أو عملية اغتيال إلى الموساد الإسرائيلي، ومن الجائز أن يكون في ذلك قدر من الحقيقة، وقدر لا يستهان به من الخيال، بيد أن مما لا شك فيه أن العمليات التي نسبتها وسائل الإعلام في الآونة الأخيرة للموساد، وبشكل خاص لرئيسه مائير دجان، ناجمة عن العمل الفعال والحازم ضد الخطر الإيراني على وجود إسرائيل.

الفصل الثاني

---

* دورية الاستطلاع "ريمون" أول وحدة مستعربين في الجيش الإسرائيلي شكلها مـائير دجـان ونفذت اول عملية ضد افراد من الجبهة الشعبية.

* دجان وجنوده قتلوا بدم بارد مسلحين ألقوا القبض عليهم وأحيانا كانوا يضعون قنبلـة أو مسدسا قرب المسلح من أجل إغرائه بمحاولة أخذه وحينها يطلقون النار عليه.

*دجان: كان على الدولة القيام أحيانا بأمور تتعارض مع الديمقراطية من أجـل الـدفاع عـن المواطنين

* شارون عن دجان مـا بـين الهـزل والجـد:"تتمثـل خـبرة دجـان في فصـل رأس العـربي عـن جسده".

* دجان من مؤسسي جيش جنوب لبنـان وأنشـأ أذرع الأمـن والمخـابرات فيـه وقـام بـدور مركزي في عملياته.

*دجان شكل منظمة "جلجال" والتي كانت تعمـل بصـورة سريـة لاكتشـاف مصـادر أمـوال المنظمات المسلحة.

*صحفي مصري: "لولا دجان لخرجت الخطة النووية الإيرانية إلى حيز التنفيـذ الفعـلي قبـل سنوات ان دجان"سوبرمان اسرائيل".

"سوبرمان" الإسرائيلي:
رئيس الموساد مائير دجان

رست على ساحل غزة في أحد أيام صيف عام 1971 سفينة قديمة، وترجل من داخلها إلى الساحل عدد من الفلسطينيين المتعبين، وغير الحليقين بملابسهم المبللة والمهلهلة. كان من الواضح أنهم اجتازوا رحلة بحرية طويلة ومضنية. وقد شاء حسن طالعهم أن يتمكنوا من الإفلات من سفن حرس السواحل الإسرائيلية.

طلب الفلسطينيون المنهكون من الجماهير التي تجمعت حولهم أن يقابلوا أي شخص من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وقد تطوع أحد الفلسطينيين بإحضار أحد قادة الجبهة الشعبية إلى الساحل، واختفى بسرعة من المكان، بيد أنه عاد بعد برهة قصيرة ومعه شخص في الثلاثينات من العمر مسلحا ببندقية كلاشينكوف، وقال الفلسطيني لركاب السفينة بفخر: "إن هذا المسلح من الجبهة الشعبية".

انعزل ركاب السفينة والمسلح جانبا عن الجماهير الواقفة، حيث قال الركاب للمسلح أنهم من الجبهة الشعبية، وأنهم قادمون من لبنان من أجل إقامة علاقة مع رؤساء الجبهة في القطاع، وقال أحدهم: "لقد جئنا من أجل لقاء عمل".

وبعد أن تذاكر الركاب والمسلح عددا من عمليات الجبهة الشعبية، وأشاروا إلى زعمائها، أصطحبهم المسلح إلى بيت مهجور وتركهم فيه وذهب لإحضار زملائه، وسرعان ما غصت الغرفة التي يجلس فيها القادمون من لبنان بالأشخاص من قادة الجبهة الشعبية في القطاع. وحينها سأل أحد القادمين: "هل الجميع هنا، ويمكننا الشروع بالعمل؟ فردوا عليه قائلين: "نعم، الجميع هنا".

رفع قائد المجموعة القادمة يده ونظر إلى ساعته. كانت تلك هي العلامة المتفق عليها. وبصورة فجائية استل القادمون اللبنانيون مسدساتهم وشرعوا بإطلاق النار على قادة الجبهة الشعبية، ولم تمض دقائق حتى كانوا جميعا قتلى، وسارع القادمون للفرار من المكان عبر طرق

الفرار التي أعدوها مسبقا، ولم يكد يمضي وقت قصير حتى كانوا في قاعدة الجيش الإسرائيلي في إسرائيل.

كانت هذه العملية إحدى العمليات الجريئة التي قامت بها دورية الاستطلاع "ريمون"، التي تعتبر أول وحدة مستعربين في الجيش الإسرائيلي، والتي شكلها مائير دجان الذي كان يترأس العملية.

وعندما تذكر فيما بعد تلك العملية وعمليات أخرى جريئة قال دجان: " أن هذه هي الحياة التي تأخذك إلى مستويات أحاسيس هائلة، لكنك تتمكن من الإفلات منها نظرا لأنك تعرف أنك تخدم الدولة".

لقد قال عنه اسحق رابين: "يمتلك مائير دجان خصالا متفردة لخلق وسائل لمحاربة الإرهاب والتي تبدو في البداية وكأنه تم استقاؤها من أفلام خيالية".

كان دجان في زمن العملية المذكورة مجرد ضابط صغير برتبة نقيب، في السادسة والعشرين من العمر، ورغم ذلك كانت هناك هالة من الإعجاب المخيف تحيط به. كان مقاتل حرب عصابات جريئا ومبدعا، بيد أنه لم يكن يحرص على تطبيق أسس القتال أو إجراءات فتح النار. لقد تعرف عليه اللواء داني يتوم إبان التدريبات التي كان يتلقاها في دورية هيئة الأركان عندما كان يتجول وهو يحمل سكين كوماندو، وكان يجيد قذفها إلى مسافات بعيدة بصورة مذهلة.

لم ينه دجان تدريباته في دورية هيئة الأركان، لكنه التحق بلواء المظليين وظهر في مطلع السبعينات في قطاع غزة. كان القطاع في تلك الآونة في حالة غليان، وكان المخربون يهاجمون الإسرائيليين ليلا نهارا الأمر الذي أفقد الجيش الإسرائيلي سيطرته على معسكرات اللاجئين.

لقد اهتزت إسرائيل كلها جراء مقتل أبناء عائلة أرفيف: أبيجيل -5 سنوات- ومارك – 8 سنوات، عندما ألقى مسلح فلسطيني قنبلة داخل سيارة العائلة، مما حدا بأرئيل شارون لاتخاذ قرار بتشكيل مجموعة من الجنود قادرة على تصفية الإرهاب، ومن بينهم مجموعة من زملائه الذين عملوا معه في الوحدة 101، إضافة إلى عدد من الجنود الشبان من أمثال دجان. كان دجان

ضابطا صغير القامة، سمينا ويعرج على ساقه جراء دوسه على لغم خلال حرب 1967. وإبان تواجده في المستشفى أحب الممرضة "بينه" التي كانت تعتني به وتزوجها.

اعتاد دجان التجوال في قطاع غزة وهو يحمل عصا يتكئ عليها وبصحبته كلب من طراز دوبرمان ويحمل بندقية رشاشة ومسدسا من جميع الأنواع.

ويقول الكثيرون أنهم شاهدوه وهو يتنكر في صورة عربي يمتطي حمارا بهدوء في أزقة غزة. لم تكن إصابته قد قلصت من رغبته في المبادرة إلى تنفيذ المزيد من العمليات والتي تبدو بعضها شبيهة بالهذيان تماما.

كلف شارون دجان بتشكيل وحدة مستعربين أطلق عليها اسم وحدة "ريمون" – القنبلة. وسرعان ما ذاعت شهرة هذه الوحدة بوصفها "وحدة تصفيات شارون"، ورسم شعار هذه الوحدة في صورة قنبلة وخنجر على خلفية جناح المظليين. وبدأ دجان وجنوده يشنون حربا لا هوادة فيها ضد المسلحين الفلسطينيين. ومن الجدير بالذكر أن نتائج الحرب التي شنتها وحدة "ريمون" غير معروفة بعد للكثيرين، بيد أن الشائعات افادت أن دجان وجنوده قتلوا في الكثير من الحالات بدم بارد المسلحين الذين ألقوا القبض عليهم، وفي الكثير من الحالات كانوا يقودون المسلح إلى أحد الأزقة ويقولون له: لديك دقيقتان للفرار، وحينما يبدأ بالفرار يطلقون النار عليه. وأحيانا كانوا يضعون قنبلة أو مسدسا قرب المسلح من أجل إغرائه بمحاولة مد يده وأخذه، وحينها يطلقون النار عليه.

ويقولون إن دجان اعتاد النهوض صباحا والتبول بإحدى يديه بينما يفرغ رصاص مسدسه باتجاه علبة مشروب باليد الثانية. ويقول دجان تعليقا على ذلك: "تلتصق ببعضنا الكثير من الأساطير، لكن قسما من الأمور التي قيلت غير صحيح".

كان دجان وجنوده في التاسع والعشرين من كانون الثاني 1971 ينطلقون في سيارتي جيب بالقرب من مخيم اللاجئين جباليا في قطاع غزة. وقد نظر دجان إلى داخل سيارة غزية مرت بالقرب من سيارتي الجيب، ولاحظ فيها أحد المطلوبين للجيش والذي يدعى أبو نمر. توقفت سيارتا الجيب بأمر منه وقام جنوده بتطويق السيارة الغزية، وتوجه دجان إليها، وفي نفس اللحظة خرج أبو نمر منها وأخرج قنبلة وسحب مسمار أمانها، وقد صرخ دجان باتجاه جنوده

قائلا: قنبلة، أما هو فقد هاجم أبو نمر ولوى ذراعه وأخذ القنبلة منه. لقد حظي دجان بوسام الجرأة على هذه الحادثة.

ويقول اللواء يوسي بن حنان: هناك بقية لتلك القضية: بعد أن أخذ دجان القنبلة من يد أبو نمر، قتله بيديه. لقد اعتاد دجان القول: "يجب على الأشخاص ذوي العلاقة أن يقوموا بالأمور القذرة".

لقد تم تأكيد هذه الأقوال بعد بضع سنوات عندما قام أحد جنود وحدة ريمون سابقا -دنيئيل عوكيف- بإطلاق النار على سائحين بريطانيين، ثم قال: إنه "نفذ عملية إعدام وتأكيد قتل" مثلما تعلم أن يفعل إبان خدمته في قطاع غزة.

لقد ثارت ثائرة دجان خلال الشهادة التي أدلى بها في هذه القضية، وفي الحديث الصحفي الذي منحه لمراسل صحيفة يديعوت أحرونوت رون ليشم قال: "وحدة ريمون لم تكن وحدة قتل. لقد عملنا وفقا لمعايير عسكرية. إن مرحلة وحدة ريمون لم تكن مرحلة غرب فوضوي يقوم كل جندي منها بإطلاق النار مثلما يحلو له، ولم نفكر أبدا أن من المسموح به تصفية النساء والأطفال". واعترف دجان بأن أوامر فتح النار كانت مختلفة عما هي عليه الآن:"كانت القيود أقل، وكنا نمس بالأشخاص الذين يمارسون العنف بصورة مباشرة، مسسنا بهم وردعنا الاخرين. كان على الدولة القيام أحيانا بأمور تتعارض مع الديمقراطية من أجل الدفاع عن المواطنين. حقا أن الحدود تتميع في مثل هذه الوحدات، ولهذا السبب فإنك تكون في حاجة فيها إلى أناس ذوي كفاءات عالية".

كانت أساليب شارون ودجان في محاربة العمل المسلح في قطاع غزة مثيرة للمشاكل، لكنهما تمكنا من اجتثاثه من الجذور، مما جعل الهدوء يسود القطاع لسنوات طويلة. ويقال إن شارون قال عن دجان ما بين الهزل والجد: "تتمثل خبرة دجان في فصل رأس العربي عن جسده".

واصل مائير دجان تسلق سلم المناصب العسكرية والعمل في الجيش الإسرائيلي، بيد أنه بقي بصورة أساسية على ما كان عليه: جندي حرب عصابات عنيفا، يرى الصورة كلها ذات

جانب واحد فقط: هناك عدو يتمثل في العرب الأشرار الذين يريدون قتلنا، ومن ثم يجب علينا أن نقتلهم قبل أن يقتلونا مثلما ورد في التوراة: "من أراد قتلك صبحا، اقتله فجرا".

ويبدو أن جذور هذا التفكير ترجع إلى طفولته وماضي عائلته. فقد ولد عام 1945 تحت اسم مائير هوبرمان في عربة قطارات على أبواب مدينة حرسون الأوكرانية. حدث ذلك إبان فرار الأسرة من سيبيريا إلى بولندا في نهاية الحرب العالمية الثانية. لقد ولد في ظل المحارق التي اجتاحت يهود أوروبا، وقد بلورت هذه المحارق نمط تفكيره وعالمه.

وعندما هاجر إلى إسرائيل مع عائلته عام 1950 وترعرع في معبر معسكر إسرائيل الواقع بالقرب من اللد، بقيت روحه مليئة بعبر المحارق. بل إن دجان يعلق حتى يومنا هذا في مكتبه صورة يبدو فيها يهودي كهل متشحا بغطاء الصلاة اليهودي راكعا على ركبتيه متطلعا إلى ضابطي "إس.إس" ألمانيين يقفان في مواجهته بينما يمسك أحدهما عصا والثاني يمسك مسدسا. ويقول دجان لضيوفه: "هذا الكهل هو جدي، وأنا أنظر إلى الصورة وأعرف أنه يتوجب علينا أن نكون أقوياء وندافع عن أنفسنا كي لا تكرر المحارق نفسها للأبد"- وحقا إن الكهل الذي يبدو في الصورة هو جد دجان بار أرليخ سلوشني ملكوكوف الذي قتل بعد دقائق معدودة من التقاط الصورة له.

اندلعت حرب عام 1973 بينما دجان يتدرب في كلية القيادة والأركان، وقد توجه فورا مع وحدة استطلاع إلى سيناء، وكان من أوائل الذين اجتازوا قناة السويس. وفي أعقاب انتهاء الحرب تحول إلى سلاح المدرعات، وخلال حرب لبنان الأولى دخل - بوصفه قائدا للواء مدرعات – على رأس رتل دبابات إلى بيروت. وبعد وقت قصير أصبح قائدا لقطاع جنوب لبنان، وعاد لممارسة دور الجندي المغامر رغم ملابس الضابط الرفيع التي كان يرتديها. لقد كان دجان من بين مؤسسي جيش جنوب لبنان، وأنشأ أذرع الأمن والمخابرات فيه ، وقام بدور مركزي في عملياته.

عادت السرية والغموض والتمويه والتضليل التي مارسها دجان في سنوات السبعينات في قطاع غزة للبروز من جديد في مملكته في جنوب لبنان، وعادت للظهور من جديد أيضا

التقارير الصعبة عن العمليات التي يقوم بها رجاله في جنوب لبنان. لقد أطلق عليه اللبنانيون اسم "أبو جبل" في حين أسماه جنوده باسم "ملك الظلال".

ويقول دجان معقبا على تلك الفترة: "كانت المهام التي نفذتها هناك أكثر المهام التي نفذتها إثارة، ففي لبنان لا يؤمنون بالدولة بل يؤمنون بالشخص".

إن الواقع اللبناني بتحالفاته وغموضه، وخياناته وقسوته وحروب الأشباح الدائرة فيه كان مكانا كما يشتهي دجان. كان يتجول في شتى أنحاء لبنان متنكرا في صورة عربي، متحديا المصير. ويقول: "قبل أن يدخل لواء المدرعات الذي أقوده إلى بيروت كنت قد تعرفت على هذه المدينة".

ولم يتخل دجان عن عادته تلك حتى في أعقاب الحرب اللبنانية الأولى، ففي عام 1984 وبخه رئيس الأركان موشيه ليفي جراء تجواله متنكرا في صورة عربي كعادته بالقرب من قيادة المسلحين في أبوحمدون اللبنانية.

وعندما انتقل إلى الضفة الغربية للعمل كمستشار لرئيس الأركان أهود باراك لشؤون الانتفاضة في مطلع التسعينات، عاد دجان لممارساته آنفة الذكر بل ونقل العدوى إلى باراك نفسه، وقد ارتدى الاثنان ملابس رياضية – على غرار ما يفعل عرب الضفة الغربية- وجلسا في سيارة مرسيدس زرقاء تحمل لوحة أرقام محلية، وتوجها للتجوال في البلدة القديمة في نابلس. لقد أذهل الاثنان عندما عادا من جولتهما تلك حرس الإدارة المدنية في نابلس حينما تعرفوا على الفلسطينيين اللذين يجلسان في السيارة المرسيدس الزرقاء.

حصل دجان في كانون الأول 1992- وبعد تأخر ملحوظ - على رتبة لواء وعين مساعدا لرئيس شعبة الأركان، وكان يتطلع الى منصب قائد القطاع الشمالي بيد أن هذا المنصب منح لصديقه عميرام لفين، أما هو فعرضوا عليه منصب قائد القطاع الجنوبي. ويقول: "أعلنت أنني لست معنيا بقيادة القطاع الجنوبي، لأنني أعتقد أنه يتوجب تفكيك هذا القطاع".

خلع دجان زيه العسكري وفعل ما يحلم كل جندي على وشك التسريح بأن يفعله: أن يقوم برحلة إلى دولة بعيدة وهو يحمل كيس نومه على ظهره. لكنه لم يتوجه إلى أميركا الجنوبية

أو الصين، بل توجه بصحبة صديقه يوسي بن حنان في جولة بسيارات الجيب لمدة ثمانية عشر شهرا في صحاري آسيا. بيد أن هذه الرحلة قطعها اغتيال رئيس الحكومة اسحق رابين.

حال عودته جرب دجان حظه في قطاع الأعمال، وسرعان ما اكتشف أن هذا المجال لا يصلح له. وعندما عين عامي أيالون رئيسا لجهاز الأمن العام عين دجان رئيسا لشعبة مكافحة الإرهاب. وقد أخذ معه إلى هذه الهيئة أهود يتوم رئيس شعبة العمليات والحماية في جهاز الأمن العام سابقا. كانت هناك سحابة ثقيلة تخيم على يتوم، حيث اتهم بقتل فلسطينيين بحجر في قضية حافلة الخط 300. وقد دافع عنه دجان في مقابلة صحفية قائلا: "ما الفارق بين قتل مخرب بحجر وبين تفجير مخرب بواسطة جهاز تليفون – يحيى عياش؟ هل يغير ذلك ماهية القتل؟ هل المجتمع الإسرائيلي يبدو متسامحا تجاه أنواع معينة من التصفيات؟

استقال دجان من منصبه عام 1999 حال انتخاب أهود باراك رئيسا للحكومة، وتطوع للنضال ضد الانسحاب من الجولان، ولم يكن يؤمن للحظة واحدة بأن من الممكن إنجاز السلام مع سورية، وكان يعمل بصورة متواصلة من أجل إبقاء الجولان في أيدي إسرائيل. لقد أصبح في أعقاب الاستقالة مدنيا، وبمقدوره الاهتمام بقضايا غير أمنية. كانت تلك الفترة الوحيدة التي وافق خلالها دجان على منح مقابلات لوسائل الإعلام التي كان يفر منها دائما، كما ألقى كلمات مرة أو مرتين أمام جماهير مدنية.

وفجأة اكتشف دجان أن ابنتيه وابنه كبروا دون أن يشعر بذلك، ويقول: "استيقظت فجأة فوجدت أولادي كبارا". كما اكتشف دجان في نفسه موهبة الرسم والنحت، واستغرق فيهما بحماسه الطبيعي في كل شيء منتهزا كل فرصة للرسم أو النحت في الوقت الذي ينفث الدخان من غليونه مستمعا إلى الموسيقى الكلاسيكية. كما أكثر من القراءة وجمع الخناجر والنراجيل. لقد تحول الدكتور جيكل إلى السيد هايد.

لم تكن هذه الحياة الهادئة لشخص ينشغل في هواياته من النمط الذي يلائم دجان، وقد قام أرئيل شارون بتجنيده خلال انتخابات 2001 لترؤس هيئة يوم الانتخابات في الليكود، ثم كلفه بتشكيل منظمة "جلجال" – وهي المنظمة التي كانت تعمل بصورة سرية لاكتشاف مصادر أموال المنظمات المسلحة. وقد اكتشف دجان المصادر السرية لعرفات والعلاقة بين إيران

ومنظمة حماس،وعمل على قطع عدد من المصادر السرية التي كانت الأموال تتدفق عبرها إلى المنظمات المسلحة، وعمل على إخراج المنظمات التي كانت تحتفظ بأموال حركة حماس من التمويل الإيراني عن القانون. وحاول إقناع المباحث الفدرالية الأميركية بسد مصادر التمويل السرية للمسلحين، وخلال هذه المهمة حافظ على أسلوبه العنيف المعروف. وقد اتضح خلال إحدى جلسات منظمة جلجال أن مؤسسة أوروبية محترمة تقوم بنقل أموال إيران إلى حماس. وقد عقب دجان على ذلك بالقول: "حسنا، سنحرقها"، وقد سأله أحد المشاركين في النقاش بدهشة كبيرة: "ما الذي تريد أن تحرقه؟ فقال دجان: "ما الذي أريد حرقه؟ هذه المؤسسة، لديها عنوان، وسوف نقوم بحرقها". وقد حاول الحاضرون أن يوضحوا لدجان أنه لا يوجد أموال سائلة في هذه المؤسسة، وأن الأموال تنقل عبر الحواسيب، فقال: "لا يهم، سنقوم بإحراقها رغم ذلك".

ومن الجدير بالذكر أنه لم يتم حرق هذه المؤسسة، بيد أن رئيس الحكومة أرئيل شارون توجه بعد فترة وجيزة من ذلك النقاش الى دجان، وعرض عليه منصب رئيس الموساد، الذي كان في تلك الآونة يسير بخطى حثيثة نحو التدهور والتعفن.

هناك من يقول أن بداية تدهور الموساد تعود لمطلع سنوات التسعين، على عهد رئيس الموساد شبتاي شبيط. وهناك من يقول أن داني يتوم وفشله في "عملية مشعل" وفي عدد آخر من العمليات وجه ضربة ساحقة إلى الموساد. وكان الجميع متفقين على أن إفرايم هليفي – الذي دعي لإطفاء الحريق الذي أبقاه يتوم خلفه- لم يكن على قدر التوقعات. لقد كان هليفي حقا سياسيا محنكا ويجيد إعداد الصياغات وإقامة علاقات الثقة مع الجهات الأجنبية. بيد أنه كان يفضل خلال عمله في الموساد التركيز على التحليلات والأبحاث الذكية، وتخلى كليا تقريبا عن العمليات ضد الإرهاب والتهديدات الإيرانية.

لقد أراد شارون أن يعيد للموساد كفاءة العمليات المتميزة والجريئة التي تزرع الخوف والإحراج في قيادات الإرهاب وتوجه ضربة لقلب المخطط النووي الإيراني، لذا احتاج – مثلما قال- إلى رئيس موساد "يحمل سكينا بين أسنانه" ولم يكن هناك سوى شخص من هذا النوع. وهناك من يقول: إن شارون كان يرى في مائير دجان صورة مصغرة عنه.

عندما سادت الشائعات حول ترشيح دجان لمنصب رئيس الموساد عقب المرشحون الآخرون والعالمون ببواطن الأمور على ذلك بالاستهجان والاستخفاف، بيد أن شارون لم يخش ذلك، وقال: "سوف يأكلون أنفسهم غيظا فيما بعد" وعين دجان رئيسا للجهاز عام 2002.

لم يكن دخول دجان إلى الموساد مسألة سهلة، ونظرا لأنه جاء من خارج الجهاز ووضع رئيسا للعديد من الشخصيات الجيدة والمتميزة، فقد كان من البديهي أن يثير معارضة لديهم، كما أنه لم يكن يعتزم ملاءمة نفسه مع الموساد، بل كان يعتزم وضع بصماته عليه. وقد أدى دخوله إلى استقالة الكثير من رؤساء وعملاء الموساد، وقام هو بإقالة البعض الآخر. لقد عمل دجان فورا على تغيير طابع وأهداف الموساد. لقد أبدى اهتماما خاصا بالعمليات، وأوقظ شعبة العمليات "قيساريه" من سباتها، وحول الأبحاث من الاهتمام السياسي الضبابي إلى الاستخبارات التنفيذية، كما أحضر معه عددا من المنفذين من خارج الموساد. وعين نائبين له، بيد أن الخصومة دبت بينهما. وقام فيما بعد بإقالة أحد كبار شخصيات الموساد بسبب تسريبه أنباء إلى مراسل صحيفة معاريف. وتدخل في كل شيء وسرعان ما حول الموساد إلى مسرح لشخص واحد.

لقد اعتاد رجال الموساد في الخارج زيارة رئيس الموساد مرة كل بضع سنوات، أما على عهد دجان فقد أصبح يزورهم ثلاث أو أربع مرات سنويا، وعمل على إحياء العلاقات المفتوحة مع أجهزة المخابرات الأجنبية. لقد حذره مساعدوه من كشف أسرار الموساد أمام الأجانب، بيد أنه ضرب بأقوالهم عرض الحائط وقال: "دعونا من الثرثرة غير المجدية، وتعاونوا معهم".

ويقول أحد كبار شخصيات الموساد المعروفة بعد أن خرج من مكتب دجان وهو شديد الهيجان: "لقد قدمت له تقريرا استخباريا، فألقى عليه بالكاد نظرة عابرة، ثم قال لي: منذ الغد أريد قائمة بالتصفيات".

كشف دجان النقاب عن نظريته لمحاربة الإرهاب قبل تعيينه رئيسا للموساد في مقابلة نادرة مع الصحفي يجآل سرنه، حيث قال: "في مواجهة الإرهاب، فإن الأهداف تكون دائما أشخاص، وليس كل هدف مرشح دائما للتصفية، فهناك أيضا محاكمات. هناك أضواء كاشفة في

هذه الحرب ضد الإرهاب، وهذه الأضواء تسلط لفترة معينة على الشخصية، فإذا لم ترد حينما تكون لك صلة معها فإن الهدف يختفي بعد دقيقتين، لذا حينما لا تكون هناك عمليات، فإن ذلك يعني أن الوقت مناسب جدا لأن يكون الهدف غير متيقظ".

إن التركيز الشديد الذي أبداه على العمليات والتواجد الساحق من قبله في جميع درجات العمل التنفيذي، أديا إلى استقالة الكثيرين وإقالة الكثيرين، وقد تعامل دجان بلا مبالاة مع هذه الاستقالات الجماعية من الموساد. وإزاء هذا الوضع سارعت وسائل الإعلام للانضمام إلى جوقة المنتقدين، فإخذت تنشر أسبوعيا مقالات انتقادية تؤكد على عدم وجود جديد في الموساد، وأن شيئا لم يتغير، والإصلاحات التي أدخلها دجان باءت بالفشل، ورؤساء الموساد يشعرون بالمرارة والغضب. وتوغل الصحفيون في إيراد تفاصيل حول "الحرب اليهودية الداخلية" بين كبار شخصيات الموساد التي ما كانوا يستطيعون ذكر أسمائها إلا بالحرف الأول، فكتبوا كثيرا عن "ت" الغاضب على "ج" نظرا لقيامه بتدبير المؤامرات ل"د" الذي تخاصم مع "ح". لقد بدا من التقارير والمقالات الصحفية أن الموساد تحول إلى خلية نحل يعلو طنينها فوق مستوى المنطق.

سادت شائعات في تلك الآونة حول فشل كبير للموساد في مسألة الوضع الليبي، وأن قسما من هذا الفشل وقع على عهد دجان، حيث لم تكن إسرائيل على علم بالمفاوضات السرية الجارية بين الولايات المتحدة وليبيا، والتي قررت ليبيا في نهايتها وقف وتفكيك جميع نشاطاتها العاملة في مجال تطوير أسلحة غير تقليدية، مقابل إزالة اسم ليبيا من قائمة الدول غير المتزنة التي أعدتها الولايات المتحدة. كانت إسرائيل قد حذرت الولايات المتحدة وبريطانيا من الخطر الليبي عندما علمت من وسائل الإعلام إن ليبيا أصبحت صديقة مرغوب فيها في العالم الحر.

وقد أعرب الصحفيون المنتقدون عن دهشتهم جراء رد فعل رئيس الحكومة شارون وخليفته أيهود أولمرت اللذين أعربا عن ارتياحهما الشديد جراء ما يقوم به رئيس الموساد. كما تجاهل الاثنان المكانة الجديدة التي حظي بها الموساد خلال جلسات الحكومة، حيث أصبحت تقاريره وتقديراته تحظى بتخصيص زمني واهتمام مشابه لتقارير وتقديرات شعبة الاستخبارات العسكرية.

كما تجاهل الاثنان أيضا أن دجان كان الوحيد الذي قدر بصورة صحيحة الأخطاء الجذرية التي ارتكبت في الحرب اللبنانية الثانية. فخلال الجلسة الحكومية التي عقدت في الثاني عشر من تموز 2006 قال دجان للوزراء بصورة مخالفة لتقديرات رئيس الأركان دان حلوتس: "أنا أعرف لبنان وأعرف حزب الـلـه، دون دخول واسع لقواتنا إلى لبنان، لن تسير الأمور على ما يرام، إن سلاح الجو وحده لن يتمكن من تصفية هذه القضية". وقد أثارت أقواله جدلا بينه وبين رئيس الأركان، واشتد خلال مرحلة الحرب.

لقد كان دجان على حق أيضا في تقديراته القائلة إن قصف حي الضاحية في جنوب لبنان لن يسفرعن مقتل عدد يتراوح ما بين 300-500 شخص مثلما قدرت شعبة الاستخبارات العسكرية، بل سيؤدي لمقتل عدد أقل من ذلك بكثير. وحينما وضعت الحرب اللبنانية أوزارها كان دجان الشخصية الرفيعة الوحيدة التي خرجت من هذه الحرب سليمة دون أي أذى من لجنة التحقيق، بل لقد أدت هذه الحرب إلى تعزيز مكانته جدا.

واصلت وسائل الإعلام الكتابة حول النزاعات الدائرة في أوساط الموساد، وعن فشل دجان. وفجأة ودون سابق إنذار اختلفت العناوين. وبدأت وسائل الإعلام تمدحه قائلة: "إن هذا الرجل أعاد إلى الموساد احترامه". لقد أصبح دجان بين عشية وضحاها حبيبا على جميع وسائل الإعلام، وكل ذلك بسبب نجاح مفاجئ نسب إلى الموساد. لقد أدت عملية تصفية عماد مغنية في دمشق، وتسرب المعلومات المتعلقة بتدمير المفاعل النووي في سورية إلى قلب الأمور بالنسبة لدجان رأسا على عقب. وشرعت وسائل الإعلام تفيد أن الموساد يقوم بأجرأ عملياته في أرض العدو، وبين فكي الأسد وبنجاح كبير.

وتفيد مصادر أجنبية إن رجال دجان قاموا بتصفية عدد كبير من كبار الشخصيات الإرهابية: الشيخ عز الدين الخليل – أحد رؤساء حركة حماس في سورية، والذي انفجرت سيارته في دمشق في أيلول 2004، ومحمود المجذوب – أحد رؤساء الجهاد الإسلامي في لبنان الذي قتل جراء وقوع انفجار في سيارته في صيدا في أيار 2006، وهشام اللبداني –سكرتير رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل في أيلول 2008، وناشطي حماس الثلاثة الذين

قتلوا جراء انفجار صندوق صدقات تم زرعه في سيارة أسامة حمدان ممثل حركة حماس في بيروت في كانون الأول 2009.

في أعقاب نشر كل هذه المعلومات، وصلت موجة معلومات متقطعة من الجبهة الأساسية للموساد: إيران. لقد وقعت العديد من الحوادث المثيرة للتساؤلات خلال عام 2005 في المشروع النووي الإيراني. فقد تحطمت طائرتان مرتبطتان بالمشروع، وفرت شخصيتان مركزيتان في المشروع: العالم شهارم أميري والجنرال عسكري إلى الغرب، واندلعت النيران في معملين، كما أن نشر وسائل الإعلام العالمية معلومات دقيقة حول المنشآت النووية الإيرانية دفع بالإيرانيين إلى تفكيك مركز أبحاث سري في طهران بسرعة، وتهريب أطنان من الأرض المشبعة بالمواد المشعة من هناك، وتعرض المفاعل الذي أقيم في "قم" لمراقبة العالم كله، وتم الكشف عن منشآت في بداية بنائها، وقتل في طهران بصورة غامضة أحد كبار مهندسي البرنامج النووي –مسعود علي محمدي- في انفجار دراجة نارية، وتعطلت عدة أجهزة طرد مركزية جراء تركيب قطع غيار غير صالحة بعد شرائها من أوروبا، كما قامت إيران باعتقال وإعدام تاجر إيراني كان يستورد قطع غيار مشبوهة مما مس ببرنامج العمل في المدينة النووية السرية "نتناز".

ولا شك أن جميع هذه الأمور عرقلت استكمال المشروع الإيراني بيد أنها لم تقض عليه. وفي مطلع 2010 وصفت جريدة الأهرام المصرية مائير دجان بأنه سوبرمان، وفي مقالة لا نشهد الكثير من أمثالها أثنى الصحفي المصري المعروف أشرف أبو الخول على مائير دجان "سوبرمان الإسرائيلي" على نجاحه التنفيذي في غضون السنوات الأخيرة. وقال: "لولا دجان لخرجت الخطة النووية الإيرانية إلى حيز التنفيذ الفعلي قبل سنوات. إن الإيرانيين يعرفون جيدا من يقف خلف تصفية العالم النووي الإيراني مسعود علي محمدي. إن كل مسؤول إيراني يدرك أن الكلمة السرية هي دجان. إن الكثير لا يعرفون اسم رئيس الموساد الإسرائيلي، فهو يعمل بهدوء وبعيدا عن أعين وسائل الإعلام، لكن في غضون السنوات السبعة الماضية وجه ضربات مؤلمة إلى البرنامج النووي الإيراني وأرغمه على المراوحة في مكانه".

وأضاف: "إن الموساد مسؤول عن سلسلة من العمليات الجريئة في الشرق الأوسط". وأشار إلى عمليات ضد سورية وحزب الـلـه وحماس والجهاد الإسلامي. "إن كل هذه العمليات حولت دجان إلى سوبرمان إسرائيل.

الفصل الثالث

---

* فيكتور جرايبسكي صحفي وسيم من يهود بولندا وعاشق لسكرتيرة تعمل في مكتب إدورد أوحاب سكرتير الحزب الشيوعي البولندي.

* خروشوف اتهم في خطاب له امام أعضاء المؤتمر الشيوعي ستالين بقتل ملايين الأشخاص وتسبب خطابه بحالات انتحار وبكاء وسكتة قلبية للعديد من الاعضاء.

* وكالة المخابرات الأميركية خصصت جائزة قدرها مليون دولار لمن ينجح في الحصول على الصيغة الكاملة لخطاب خروشوف .

*خروشوف ابرز ستالين كشخصية قاتل بلا أية ضوابط قتل ملايين الروس وأبناء الشعوب الأخرى وهم شيوعيون مخلصون.

* جرايبسكي استغل حب سكرتيرة سكرتير الحزب الشيوعي البولندي له واخذ خطاب خروشوف وسلمه الى السفارة الاسرائيلية في بولندا.

* السوفييت جندوا فيكتور كعميل لهم في اسرائيل والاخيرة حولته الى عميل مزدوج نقلت عبره الى السوفييت معلومات تم إعدادها في الموساد.

* جرايبسكي عميل المخابرات الوحيد الذي حصل على وسامين من قبل بلاده التي خدمها بإخلاص طيلة حياته ومن قبل أعداء بلاده الذين خدعهم بفطنة وذكاء مع المخاطرة اليومية.

" خطاب خروشوف" ...
الإنجاز الذي أذهل عالم الاستخبارات

بدأت الرواية كلها بقصة حب..

كانت لوتسية برنوبسكي عاشقة لصحفي وسيم يدعى فيكتور جرايبسكي. وكان زواجها من زوجها الذي يعمل نائبا لرئيس حكومة بولندا قد وصل إلى طريق مسدود، ولم يكونا يعيشان حياة مشتركة، وكانت لوتسية تعمل سكرتيرة في مكتب إدورد أوحاب – سكرتير الحزب الشيوعي البولندي. وقد اعتاد موظفو المكتب رؤية فيكتور الوسيم وهو يقوم بين الفينة والأخرى بزيارة صديقته لوتسيه، ولم يكن خافيا على الجميع أن لوتسية عاشقة له.

كان فيكتور يعمل في وكالة الأنباء البولندية (بي.إيه.بي) كمحرر رفيع المستوى، والمسؤول عن شعبة الاتحاد السوفييتي والدول الشيوعية في أوروبا الشرقية، وهو يهودي، وقد ولد تحت اسم فيكتور شفيلمان، لكن عندما انضم إلى الحزب الشيوعي قال له أصدقاؤه إن اسم عائلته "شفيلمان سيقف عقبة كأداء في وجه تقدمه إلى الأمام لذا سارع لاستبداله إلى جرايبسكي. لقد نجا فيكتور وعائلته من المحارق عندما نجحوا في الفرار إلى الاتحاد السوفييتي قبل وقت قصير من قدوم النازيين. وفي أعقاب الحرب عادوا إلى بولندا. وفي عام 1949 هاجر والداه وشقيقته إلى إسرائيل، أما هو - وبوصفه شيوعيا مؤمنا ومتحمسا لستالين- فقد فضل البقاء في بولندا وبناء جنة الشعوب.

إن المسألة التي لم يكن أصدقاؤه وصديقته على علم بها، هو أن مشاعر الندم والشكوك في الشيوعية بدأت تغزو قلبه، وفي عام 1955 زار إسرائيل وحل ضيفا على عائلته، وشاهد لأول مرة النور: عالم جديد، حر، متقدم ، دولة يهودية صهيونية وحلم آخذ في التجسد. لقد كان كل ما رآه مختلفا تمام الاختلاف عما عرفه من الدعاية الرسمية التي تشربها والتي كان يرددها في مقالاته في الصحيفة.

عاد فيكتور إلى بولندا حقا، وعاد إلى وظيفته السابقة، لكنه بدأ التفكير بصورة جدية في الهجرة إلى إسرائيل.

توجه فيكتور في نفس اليوم من نيسان 1956 لزيارة صديقته في مكتب سكرتير الحزب، وقد شاهد على مكتبها شيئا أثار انتباهه: كراسة مربوطة بشريط أحمر، ومرقمة وعليها ختم "سري للغاية". سأل فيكتور صديقته: "ما هذا؟ فأجابته دون مبالاة: "هذا خطاب خروشوف".

تجمد فيكتور في مكانه. لقد كان على علم بخطاب خروشوف، لكنه لم يسبق أن قابل إنسانا سمع أو قرأ عبارة واحدة منه. كان هذا الخطاب أحد أكثر الأسرار المحمية في الكتلة الشيوعية.

كان فيكتور يعرف أن نيكيته خروشوف – سكرتير الحزب الشيوعي القادر على فعل كل شيء- ألقى الخطاب أمام أعضاء المؤتمر العشرين للحزب والذي عقد في شباط 1956 في الكرملين في موسكو. وفي حوالي منتصف الليل من الخامس والعشرين من شباط تم إخلاء القاعة من جميع الضيوف الذين قدموا من الخارج ومن رؤساء الأحزاب الشيوعية الأجنبية الذين وجهت إليهم الدعوة لحضورة المؤتمر. وبعد منتصف الليل بقليل صعد خروشوف فوق منصة الخطابة وألقى خطابه أمام 1400 عضو سوفييتي ممن أموا المؤتمر. كان الخطاب بمثابة مفاجأة مذهلة وتامة للمشاركين.

ترى ما الذي قاله خروشوف في خطابه؟ يقول صحفي أميركي قام بإرسال تقرير أولي إلى الغرب:" لقد استغرق الخطاب حوالي أربع ساعات، حيث وصف خلاله خروشوف الجرائم التي ارتكبها الشخص الذي يحظى بأكبر تقدير في أوساط ملايين الشيوعيين: ستالين".

وجاء في التقرير أن خروشوف اتهم ستالين بقتل ملايين الأشخاص. وخلال خطابه تناقلت العديد من القصص من هذا القبيل، وشوهد بعض أعضاء المؤتمر الشيوعي وهم يمزقون شعورهم ويبكون، بل وقد أغمي على بعضهم وأصيب البعض الآخرة بسكتات قلبية، وأقدم اثنان -على الأقل- على الانتحار في اليومين التاليين.

لم تنشر وسائل الإعلام السوفييتية أية كلمة حول ما قاله خروشوف، بيد أن الكثير من الشائعات بدأت تتطاير هنا وهناك في موسكو، وقرأت منه مقاطع في الاجتماعات السوفييتية المغلقة، أما صيغة وفحوى الخطاب فقد بقيا طي الكتمان التام.

وقد قال صحفيون أجانب لفيكتور أن جميع أجهزة المخابرات الغربية بذلت جهودا هائلة من أجل الحصول على صيغة الخطاب. وكانت وكالة المخابرات الأميركية أكثر الجهات التي بذلت جهدا على هذا الصعيد، بل وخصصت جائزة قدرها مليون دولار لمن ينجح في الحصول على الصيغة الكاملة للخطاب. لقد كان واضحا للجميع أن نشر مثل هذا الخطاب في أوج الحرب الباردة المندلعة بين الكتلتين الشرقية والغربية، يمكنه أن يتسبب في إحداث زلزال داخل الكتلة الشيوعية ويحدث أزمة سياسية وأيديولوجية لم يسبق لها مثيل.

كان مئات ملايين الشيوعيين في روسيا وخارجها يكنون إعجابا أعمى لستالين، لذا فإن الكشف عن جرائمه يمكنه أن يهدم إيمانهم وثقتهم ويتسبب في انهيار أيديولوجية الاتحاد السوفييتي. بيد أن جميع الجهود التي بذلت من أجل ذلك ذهبت أدراج الرياح.

علم فيكتور مؤخرا أن خروشوف قرر إرسال عدد صغير من النسخ المرقمة لسكرتاريات الأحزاب الشيوعية في دول الكتلة الشرقية، وهكذا وصلت النسخة المذكورة المربوطة بالشريط الأحمر إلى سكرتيرة أدوارد أوحاب.

عندما شاهد فيكتور الكراسة بعينيه شعر بهياج شديد، وقد طلب من لوتسية أن تعطيه الخطاب لمدة ساعة أو ساعتين كي يقرأه، ونظرا لأنها كانت تواقة جدا لإرضائه فقد وافقت فورا على ذلك، وقالت: "شريطة أن ترجعه لي قبل الساعة الرابعة كي أتمكن من وضعه في الخزينة وإغلاق الباب عليه". حينما وصل إلى بيته فتح فيكتور الكراسة، ووجد خطاب خروشوف بكامله مترجما إلى البولندية. كان فحوى الخطاب حقا مذهلا. لقد حطم خروشوف في خطابه أمام أعضاء الحزب في المؤتمر العشرين جميع الأساطير التي حيكت حول ستالين دون أية رحمة. وكشف النقاب للحاضرين عن أن ستالين ارتكب خلال فترة حكمة جرائم فظيعة وأمر بقتل الملايين.

وذكر خروشوف الأعضاء أن زعيم الحزب البلشفي لينين حذر الحزب الشيوعي السوفييتي من ستالين. وشجب خروشوف في خطابه جميع أشكال عبادة الشخصيات التي نمت حول الرجل الذي أطلقوا عليه اسم "شمس الشعوب".

وأشار خورشوف من بين جرائم ستالين إلى عملية إجلاء شعوب بكاملها داخل الاتحاد السوفييتي، ذلك الإجلاء الذي أدى إلى موت الملايين، "عمليات التطهير الكبيرة" خلال الفترة 1937-1938 والتي تم خلالها اعتقال مليون ونصف شيوعي، وإعدام ستمائة وثمانين ألفا منهم. لقد تم تصفية 848 عضوا من أعضاء المؤتمر السابع عشر للحزب الشيوعي من بين مجموع الأعضاء البالغ 1966 عضوا، وكذلك الأمر بالنسبة لثمانية وتسعين شخصا مما مجموعه مائة وتسعة وثلاثين مرشحا لعضوية اللجنة المركزية للحزب.

وأشار خروشوف أيضا من بين جرائم ستالين إلى "مؤامرة الأطباء"، والتي اتهم خلالها عشرات الأطباء اليهود بمحاولة قتل ستالين إضافة إلى عدد من الزعماء الشيوعيين.

لقد أبرزت أقوال خروشوف أمام الأعضاء شخصية أخرى لستالين غير معروفة لهم، شخصية قاتل بلا أية ضوابط، قتل ملايين الروس وأبناء الشعوب الأخرى- الكثير من بينهم شيوعيون مخلصون- شخصية محمولة على موجات عبادة الشخصية المذمومة. لقد تحول "المسيح" في غضون الساعات الأربعة التي ألقى خروشوف فيها الخطاب، إلى قاتل.

حطم خطاب خروشوف أسس النظام الشيوعي، والحلم الذي أحاط به. وهدم أيضا كل ما تبقى من الوهم الشيوعي في قلب فيكتور. لقد أدرك وهو ينظر إلى الخطاب أنه يمسك بين يديه "قنبلة نووية" وقرر إعادته في أسرع وقت ممكن إلى لوتسية. لكن الأمور تغيرت وهو في طريقه إلى مكتبه حيث ولدت لديه فكرة أخرى، لقد قرر إطلاع السفارة الإسرائيلية على الخطاب.

توجه فيكتور إلى السفارة الإسرائيلية واجتاز الحارس ورجال الشرطة السرية السوفييتية الذين كانوا يقفون على البوابة ودق جرس باب السفارة. ولم يمض وقت قصير حتى كان جالسا في غرفة يعقوب برمور الذي كان يشغل على الصعيد العملي منصب السكرتير الأول في السفارة، أما على الصعيد الفعلي فقد كان ممثل جهاز الأمن الإسرائيلي في بولندا.

سلم فيكتور الخطاب لبرمور، الذي بدا شديد الذهول، وتغير لونه، وسارع للخروج من الغرفة طالبا من فيكتور الانتظار لحظة. ولم يعد إلى الغرفة إلا بعد ساعة ونصف. وقد فهم فيكتور أن برمور صور الخطاب بيد أنه لم يكثر من الأسئلة، وأخذ الخطاب وأخفاه تحت معطفه

وغادر الغرفة.وفي حوالي الساعة الثالثة عاد إلى مكتب لوتسية وأعاد الخطاب لها، دون أن تثير تحركاته الشبهات، ولا زيارته للسفارة الإسرائيلية.

دخل زليج كاتس – مساعد رئيس جهازالأمن العام- في ساعات ما بعد ظهر يوم الجمعة الموافق الثالث عشر من نيسان 1956 إلى غرفة رئيس الجهاز عاموس منور. كان مكتبهما يقوم في مبنى من المباني العربية القديمة مقابل سوق "العتق" في يافا. وقد سأل منور بصورة عارضة فيما إذا وصلت أية معلومات من أوروبا الشرقية؟ فقال زليج بصوت عادي أنه وصله لتوه رسالة تتضمن خطاب خورشوف الذي ألقاه في المؤتمر. قفز منور من مقعده باهتياج، وقال ماذا؟ احضره فورا إلى هنا.

سارع منور في نفس الليلة إلى منزل ديفيد بن جوريون حاملا معه الخطاب، قرأ بن جوريون – الذي يجيد البولندية- الخطاب وفي المساء اعاده إلى منور. وصف بن جوريون الخطاب بأنه ذو مغزى تاريخي، وأنه دلالة على أن روسيا ستتحول في المستقبل إلى دولة ديمقراطية. ورغم ذلك لم يبد أن بن جوريون أولى أهمية لقيمة الخطاب الإستخبارية. أما إيسر هرئيل –رئيس الموساد، ورئيس لجنة قادة الأجهزة الأمنية- فقد فهم أهمية الوثيقة التي أمامه. لقد تلقى نسخة عن الخطاب في الخامس عشر من نيسان، ورأى فيه وسيلة لتحسين العلاقات مع وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية والتي كانت علاقات إسرائيل معها في تلك الآونة متدنية.

اجتمع بن جوريون خلال الزيارة التي قام بها للولايات المتحدة مع صديقه الجنرال بيدل سميث الذي سبق أن تعرف عليه في أوروبا في نهاية الحرب العالمية الثانية. كان سميث في تلك الآونة رئيسا لوكالة المخابرات المركزية الأميركية –والذي كان على وشك أن يخلي مكانه لألن دالاس، أحد قدامى رجال المخابرات، وشقيق وزير الخارجية الأميركي. وافق سميث بعد تردد على إقامة تعاون محدودة بين وكالة المخابرات المركزية والموساد، على أن يقوم هذا التعاون على قيام المخابرات الإسرائيلية بالتحقيق مع مهاجري الاتحاد السوفييتي اليهود ونقل نتائج التحقيقات ذات الطابع الأمني والعسكري إلى الأميركيين.

لقد عمل عدد كبير من بين المهاجرين في السابق كمهندسين، فنيين، بل وكضباط في منشآت حساسة في الاتحاد السوفييتي وفي حلف وارسو الذي كان يضم دول الكتلة الشرقية. لقد

اشتملت بعض التحقيقات على معلومات موثوقة ومسهبة حول المنشآت الأمنية وتركيبة قوات الكتلة الشرقية. لقد تركت المعلومات الكثير من التأثير على الأميركيين، وقامت وكالة المخابرات الأميركية بتعيين جيم أنجلتون – رئيس شعبة التجسس المضاد في الوكالة- ضابط اتصال مع المخابرات الإسرائيلية. وقد قام أنجلتون بزيارة إسرائيل وتعرف على مسؤولي الأجهزة الأمنية. كما أقام علاقات صداقة حميمة مع عاموس منور.

لكن هذه المرة لم يكن ما بحوزة إيسرهرئيل شهادات أدلى بها المهاجرون السوفييت، بل كان يمتلك لؤلؤة التاج – خطاب خروشوف.

لقد قرر هرئيل تسليم الخطاب إلى الأميركيين فورا لكن ليس عبر ممثلين إسرائيليين في واشنطن، بل بنفسه. قام هرئيل بإرسال نسخة عن الخطاب مع رسول خاص إلى "إيزاي دوروت" ممثل الموساد في الولايات المتحدة، والذي قام بدوره بتسليمه إلى أنجلتون. وفي السابع عشر من نيسان وضع أنجلتون الخطاب على طاولة رئيس وكالة المخابرات الأميركية ألان دالاس، والذي قام بدوره بنقله فورا إلى إيزنهاور.

ذهل الأميركيون، فقد نجح جهاز المخابرات الإسرائيلي الصغير والفقير في تنفيذ العملية التي فشلت جميع أجهزة الغرب القوية في تنفيذها. قام رجال وكالة المخابرات المركزية بإخضاع الوثيقة لعملية فحص دقيقة من قبل الخبراء الذين أكدوا دون أدنى تردد أنه حقا الخطاب الذي ألقاه خروشوف. وعندما اقتنع مسؤولو وكالة المخابرات الأميركية بأن الخطاب حقيقي سربوه إلى صحيفة نيويورك تايمز والتي نشرته في الخامس من حزيران 1956، محدثة زلزالا في العالم الشيوعي، ودافعة الملايين للتخلي عن ثقتهم العمياء في الاتحاد السوفييتي. وهناك من يقول إن التمرد الشعبي ضد السيطرة السوفييتية في بولندا وهنجاريا خلال خريف 1956 تأثرت بصورة عميقة بما ورد في الخطاب الذي نشرته الصحيفة.

أدى تمكن إسرائيل من الحصول على الخطاب إلى حدوث انفراج كبير جدا في العلاقات بين الموساد ووكالة المخابرات الأميركية. وقد انتشرت الشائعات حول الجهة التي حصلت على الخطاب في أوساط أجهزة المخابرات الغربية الأخرى. لقد أسهمت الكراسة

الصغيرة التي أعارتها لوتسية العاشقة إلى فيكتور الوسيم إلى خلق هالة أسطورية حول الموساد الإسرائيلي، وقد تعاظمت هذه الهالة بمرور السنوات.

كان هناك استمرار درامي لهذه القضية. لم تشتبه أية جهة في وارسو في أن فيكتور جرايبسكي هو الذي سرب الخطاب إلى الغرب. وفي كانون الثاني من عام 1957 هاجر فيكتور إلى إسرائيل، وبناء على توصية منور تم قبوله للعمل في شعبة أوروبا الشرقية في وزارة الخارجية.وبعد وقت قصير عين محررا رئيسيا ومذيعا في "صوت إسرائيل" باللغة البولندية. لكن وبصورة غير متوقعة حظي فيكتور بوظيفة أخرى.

بعد وقت قصير من هجرته إلى إسرائيل قابل دبلوماسيين سوفييت إبان دراسته في معهد اللغات، وقد شاهده أحدهم أيضا في أروقة وزارة الخارجية، وأعجب بالمكانه الهامة التي يحتلها هذا المهاجر الجديد. ولم تكد تمضي أيام حتى أجرى عملاء المخابرات السوفييت "كي.جيه.بي" اتصالا مع فيكتور، وعرضوا عليه العمل كعميل لهم في إسرائيل. وقد قام فيكتور بإعلام رؤساء المخابرات الإسرائيلية بالعرض الذي قدم إليه فسارعوا لاغتنام هذه الفرصة السانحة، وقالوا له: وافق فورا، وهكذا حولوه إلى عميل مزدوج بغية إرسال معلومات كاذبة عبره إلى الاتحاد السوفييتي. وهكذا بدأت مرحلة طويلة من عمليات التجسس.

لقد قام فيكتور طيلة سنوات بتزويد السوفييت بمعلومات تم إعدادها في الموساد. وكان عملاء المخابرات السوفييتية يجتمعون به في غابات منطقة القدس، منطقة الرملة، في الكنس والأديرة الروسية في يافا والقدس وطبريا، وفي حفلات غداء بريئة تجري في المطاعم والاستقبالات الرسمية. كان ضباط اتصالاته في بعض الحالات دبلوماسيين سوفييت، وأحيانا ممن يؤمون الأديرة الروسية. ولم يشك الروس في أن فيكتور يخدعهم طيلة السنوات الأربع عشرة التي عملها كعميل لصالحهم. وكانوا يثنون عليه ويمدحونه على المواد الممتازة التي يجلبها لهم. وسادت معلومات في قيادة الـ"كي.جيه.بي" تفيد أن المخابرات الروسية تمكنت من زرع عميل لها في أعلى مراكز السلطة الإسرائيلية.

مرة واحدة لم يتطرق السوفييت بجدية إلى التقارير التي قدمها فيكتور. كان ذلك عام 1967 عندما نقل إليهم – على عكس المرات السابقة- ملعومات حقيقية ودقيقة. كان ذلك خلال

فترة الانتظار التي سبقت نشوب حرب 1967. كان رؤساء إسرائيل يرغبون في تجنب الحرب مع مصر، ونقلوا عبر فيكتور تقريرا إلى الـ"كي.جيه.بي" يفيد أن إسرائيل ستهاجم مصر – حليفة الاتحاد السوفييتي- إذا لم تتراجع عن خطواتها العدائية تجاه إسرائيل، والتي تمثلت في دفع قواتها إلى سيناء، وطرد المراقبين التابعين للأمم المتحدة، وإغلاق مضائق تيران في وجه الملاحة الإسرائيلية. لقد تجاهل الروس هذه المعلومات الحقيقية التي نقلها فيكتور إليهم ولم يعملوا على كبح جماح المصريين.

وصلت "الرواية الغرامية" ما بين فيكتور والمخابرات السوفييتية إلى قمتها في تلك الأيام. وقبل وقت قصير من اندلاع الحرب استدعى ضابط اتصال الـ"كي.جي.بي" مع فيكتور في منطقة كيبوتس تسوفه. وأعلمه الضابط بصورة احتفالية أن الاتحاد السوفييتي يريد أن يشكره على خدماته المخلصة ويمنحه وسام لينين على عمله. وأعرب عن اعتذاره جراء عدم مقدرته تعليق الوسام على صدره في إسرائيل بيد أنه أكد له أن الوسام محفوظ له في روسيا. لقد وصلت مهمة فيكتور الاستخبارية في عام 1971 إلى نهايتها.

لم يكن بالإمكان إنهاء مهمة فيكتور بصورة عارضة، بل استدعي إلى مقر جهاز الأمن العام في آب 2007، وبحضور كبار مسؤولي الموساد وجهاز الأمن العام ورئيس الجهاز يوفال ديسكين، وبحضور أبناء عائلته وزملائه منح وساما جراء عمله. وهكذا أصبح عميل المخابرات الوحيد الذي حصل على وسامين من قبل بلاده التي خدمها بإخلاص طيلة حياته، ومن قبل أعداء بلاده الذين خدعهم بفطنة وذكاء مع المخاطرة اليومية.

الفصل الرابع

----

* ألكسندر إسرائيل او الكسندر إيبور أو إيفون أو إيبي او افنر كلها اسماء لشخص واحد خدم في الجيش وبحكم منصبه كان قادرا على الوصول إلى مواد مصنفة "سري للغاية".

* أفنر باع للمصريين خطة مفصلة لقاعدة عسكرية إسرائيلية كبيرة مقابل مبلغ 1500 دولار.

* الموساد تخوف من ان يقدم افنر لمصر معلومات استخبارية هامة جدا لذلك ارسل احدى وحداته لضبطه او قتله .

* هرئيل للوحدة :" لا يجب أن يصعد إلى الطائرة أبدا متوجها الى مصر.. اختلقوا شجارا وسيطروا عليه وأصيبوه بجراح إذا ما تطلب الأمر ذلك وإذا ما فشلت جميع الوسائل اطلقوا النار عليه واقتلوه".

** عملية "بيرن"نصت على اختطاف افنر ونقله الى اسرائيل لمحاكمته وفي اثناء نقله اسلم الروح بتأثير المخدر الذي اكثروا حقنه به وعندها اضطروا لرمي جثته في البحر .

الجثة التي ألقيت من
طائرة إلى قلب البحر
"أطلقوا النار عليه وأقتلوه"

حلقت طائرة نقل في كانون الأول 1954 فوق مياه البحر الأبيض المتوسط ، وعندما تأكد قائدها أنه لا يوجد في المكان أية سفينة أو وسيلة ملاحية فتح أحد أبواب الطائرة وألقى إلى المياه شيئا كبيرا وغريبا. كان ذلك الشيء جثة شخص، ثم استدارت الطائرة قافلة من حيث أتت وبعد حوالي ساعة هبطت في إسرائيل. وهكذا انتهت عملية "بيرن" التي نفذها الموساد، تلك العملية التي بقيت طي الكتمان خمسين سنة ونيف.

هاجر من بلغاريا إلى إسرائيل عام 1949 ثلاثة أخوة من عائلة إسرائيل، وكان الشقيق الأكبر ألكسندر إسرائيل قد أنهى لتوه دراسته الجامعية في الهندسة. وقد التحق بالجيش الإسرائيلي وحصل على رتبة نقيب وعين في سلاح البحرية. كان الرجل وسيما وذا سحر شخصي كبير، واعتبر ضابطا متميزا وقد عمل في مجال أبحاث الحرب الألكترونية وتطوير المعدات الحربية. وبحكم منصبه كان قادرا على الوصول إلى مواد مصنفة "سري للغاية". وقد غير اسمه إلى اسم عبري، حيث أطلق على نفسه اسم "أفنر"، وفي عام 1953 تزوج من ماتيلدا أرديتي وهي أيضا مهاجرة من بلغاريا، وسكن الاثنان في حيفا. كانت ماتيلدا تحب زوجها الوسيم حبا جما، لكنها على ما يبدو لم تكن على علم بالجوانب الأخرى الخفية في شخصيته. لقد كان الضابط الساحر متسلحا بكم كبير من الأفكار الشريرة. وتراكمت لدى الشرطة العديد من الشكاوى ضده بشأن قضايا نصب، فقد باع شقة لعدة أشخاص في نفس الوقت. وتنكر في صورة ممثل شركة ثلاجات وحصل عن طريق الاحتيال على دفعات مقدمة لبيع ثلاجات، إضافة إلى العديد من الشكاوى الجنائية الأخرى. وقد وصلت إحدى هذه الشكاوى إلى أروقة المحكمة التي طالبته بالمثول أمامها في الثامن من تشرين الأول 1954. لم تكن ماتيلدا الحامل في الشهر السابع على علم بأي من هذه القضايا، كما لم تكن على علم بأن زوجها يقيم علاقة غرامية مع موظفة في القنصلية الإيطالية في حيفا، وأنه عرض عليها الزواج، وقد وافقت الموظفة شريطة أن يعتنق

المسيحية. ولم يكن هذا المطلب بالنسبة لأفنر يعتبر بمثابة مشكلة، فقد سبق له أن اعتنق المسيحية في بلغاريا حينما أراد الزواج من فتاة بلغارية. لقد أغوى الفتاة، وقامت عائلتها الغاضبة بإرغامه على اعتناق المسيحية والزواج منها، بيد أنه فر من مدينة صوفيا في أعقاب الزواج مباشرة مما دفع زوجته إلى الانتحار، أما هو فقد عاد لاعتناق اليهودية. وفي هذه المرة فعل ذلك من جديد.

سافر افنر وعشيقته إلى القدس حيث اجتاز عملية التعميد المسيحية رسميا في كنيسة ترسنطة ، وغير اسم عائلته إلى إيبور. وبالاستعانة بالوثائق التي زودته بها الكنيسة، سجل الضابط الساحر اسمه في وزارة الخارجية وحصل على جواز سفر باسمه الجديد، وهكذا تحول أفنر إسرائيل إلى ألكسندر إيبور.

تم تحديد موعد زواج ألكسندر أيبور مع عروسه الإيطالية في السابع من كانون الثاني، هذا في الوقت الذي كان من المفروض أن تبدأ محاكمة أفنر إسرائيل في الثامن من نفس الشهر، بيد أنه لم يكن يعتزم احترام أي من هذه الالتزامات، لقد آن الأوان للاختفاء.

حصل النقيب أفنر على إجازة لمدة أسبوعين من وحدته في نهاية تشرين الأول، كانت تلك الإجازة هي بمثابة إجازة تسريح، حيث قرر الجيش إنهاء عقده معه، وقد طلب الإجازة من أجل الشروع بالعمل كمهندس في شركة بحرية في حيفا، لكن الحقيقة هي أن الشركة لم تكن على علم حتى بمجرد وجوده.

لم يكن أفنر يملك تصريحا لمغادرة إسرائيل، أما إلكسندر أيبور فكان يملك جميع الوثائق اللازمة، قسم منها صحيح والقسم الآخر مزور. قام إيبور بشراء تذكرة إلى روما في الرابع من تشرين الثاني وغادر إسرائيل دون معرفة زوجته ولاعروسه الإيطالية، وعندما اختفى بصورة فجائية بدأت رحلة البحث عنه. وبالاستعانة بالشرطة تمكنت من معرفة عنوانه واجتمعت في بيته مع زوجته – لهفته- التي كانت في الشهر السابع لحملها.

اختفت آثار أفنر في روما، لكن ليس لوقت طويل. ففي السابع عشرمن تشرين الثاني وصلت برقية عاجلة إلى قيادة الموساد في إسرائيل جاء فيها: "ضابط إسرائيلي باسم الكسندر

إيبور أو إيفون أو إيبي موجود في روما ويحاول بيع مادة عسكرية للملحق العسكري المصري". لقد كان رجل الموساد في روما على علم بكل ما يدور في السفارة المصرية.

اجتمع رئيس الموساد إيسر هرئيل ورئيس جهاز الأمن العام عاموس منور،وقررا العمل لمعرفة من هو هذا الرجل. وأرسلا رسالة إلى عميل الموساد في روما طالبوه فيها بالحصول على أكبر قدر من المعلومات عن الرجل. وفي غضون يومين اكتشفا الحقيقة حول هوية الضابط الفار واسمه الحقيقي، هذا في الوقت الذي وصلت فيه معلومات أخرى من الموساد في روما.

اتضح أن إفنر إسرائيل قد أجرى اتصلا مع الملحق العسكري المصري عبر رجل اتصالات بالسفارة والذي كان ينقل معلومات استخبارية إلى السفارة المصرية بصورة دائمة. لقد باع أفنر للمصريين خطة مفصلة لقاعدة عسكرية إسرائيلية كبيرة مقابل مبلغ 1500 دولار والذي سارع لإيداعه في بنك "كرديت سويس" في زيوريخ. ووعد المصريين بتقديم المزيد من المعلومات، وأبدى أستعدادا للسفر إلى القاهرة من أجل ذلك.

وبعد بضعة أيام تسلمت قيادة الموساد برقية أخرى جاء فيها: إن السفارة المصرية حجزت مكانين في شركة الطيران تي.دبليو.إيه إلى القاهرة في نهاية تشرين الثاني 1954. وعلى ما يبدو أن المسافرين هما الملحق العسكري المصري والضابط الإسرائيلي". أشعلت هذه البرقية ضوءا أحمر في قيادة الموساد، حيث أن هناك فارقا بين قيام ملحق عسكري باستجواب مخبر في بلاد أجنبية، وبين نقل هذا المخبر إلى مصر ، حيث سيقوم خبراء على أعلى المستويات بالتحقيق معه ومن ثم بمقدورهم أخذ الكثير من المعلومات المسهبة والخطيرة منه. وبسبب عمله الطويل في الجيش فإن من المتوقع أن يقدم لمصر معلومات استخبارية هامة جدا، لذا أمر هرئيل رجاله منع المصريين من نقل الضابط إلى القاهرة باي ثمن.

قام هرئيل بإرسال وحدة تنفيذية إلى أوروبا فورا برئاسة ضابط العمليات رافي إيتان والذي يعتبر من أفضل ضباط العمليات. كانت وحدة العمليات في تلك الآونة مشتركة بين المخابرات والموساد، ولم يتم فصلها إلا بعد سنوات. وقد صاحبه في الوحدة أيضا رافي ميدن وعمانوئيل تلمور. وقد أطلق على العملية اسم "بيرن" ونصب كمين فورا في مطار بيوميتشينو

في روما، وكلف رجال الموساد بتعطيل أفنر في المطار، وقال لهم هرئيل: "لا يجب أن يصعد إلى الطائرة أبدا، اختلقوا شجارا، وسيطروا عليه وأصيبوه بجراح إذا ما تطلب الأمر ذلك. وإذا ما فشلت جميع الوسائل الأخرى، اطلقوا النار عليه واقتلوه". كانت تلك هي المرة الأولى التي تصدر فيها أومر بالقتل لعملاء إسرائيليين .

لم يتم تنفيذ الخطة، ومن الجائز أن المعلومات الخاصة بسفرأفنر إلى القاهرة لم تكن دقيقة، على أية حال لم يصعد أفنر إلى الطائرة المذكورة. وفي نهاية تشرين الثاني غادر أفنر روما بصورة مفاجئة، وشرع بالتجوال في أنحاء أوروبا من أقصاها إلى أقصاها وكأن أحدا يطارده: زيوريخ، جنيف، جنوة، باريس، فينا وغيرها.

لقد اختفى أفنر وكأن الأرض انشقت وابتلعته، وقد فتش عنه عملاء الموساد في شتى أنحاء فيينا دون جدوى. وفجأة ساعدهم الحظ. كان في فيينا ممثل لمنظمة "نتيف " الإسرائيلية التي تعمل في مجال تهجير يهود الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية إلى إسرائيل، وكان على علاقة وطيدة مع رجال الموساد. وذات يوم أعلمته زوجته – وهي أيضا من مواليد بولندا- أنها شاهدت في الطريق زميل طفولة كان يدرس معها في نفس الصف الدراسي. وقد سألها زوجها: ما اسمه؟ فقالت:" ألكسندر إسرائيل، وسوف أجتمع به غدا لتناول الغداء سوية".

كان ممثل "نتيف" على علم بأن الموساد يفتش عن شخص تتناسب مواصفاته مع الأوصاف التي أوردتها زوجته، فقام بإعلامهم فورا ، فقاموا بدعوة أنفسهم إلى الغداء كمراقبين عن بعد. وصل أفنر في الوقت الذي حدده وكان يكثر من الابتسام خلال الساعة التي قضاها مع زميلته من أيام الطفولة. وعندما تركها وعاد أدراجه لاحقه رجال الموساد كظله.

بعد بضعة أيام صعد أفنر إلى طائرة شركة الطيران النمساوية التي أقلعت من فينا إلى باريس، وقد جلست إلى جواره شابة جميلة وجذابة. كان أفنر زير نساء، لذا استهلها بالحديث فاستجابت له بسهولة. وقد تصادق الاثنان خلال الرحلة وتواعدا على أن يلتقيا ويخرجا لقضاء الوقت سوية، وقبل هبوط الطائرة قالت الفتاة الجميلة للضابط:"أصدقائي ينتظرونني في المطار، هل تحب الانضمام إلينا ؟ هناك مكان لك في السيارة". سعد أفنر بالدعوة.

كان هناك شابان بانتظار الفتاة في المطار، واستقل الأربعة السيارة التي اتجهت بهم إلى باريس، كان الليل قد بدأ يسدل أستاره، وفجأة شاهد الأربعة شخصا ما يقف في أحد مفترقات الطرق ويلوح لهم بيده، فقال السائق: "دعونا نأخذه"، وعندما توقفت السيارة هاجم الشخص ومعه عدة أشخاص آخرين السيارة، ثم ظهرت سيارة أخرى من الخلف، فأخذ أفنر يصرخ قائلا:"إنهم يختطفوننا"، وفجأة قام أحد المسافرين الجالسين إلى جواره بلي رقبته، فأخذ يقاومه، وقام الشخص الواقف في الخارج بفتح باب السيارة وحاول السيطرة على أفنر، وحينما فشل في ذلك، استل مسدسا وقال له باللغة العبرية: "إذا تحركت حركة أخرى سأطلق النار عليك"، تجمدت الدماء في عروق أفنر، وحينها قام أحد المسافرين بوضع قطعة قماش مبللة بالكلوروفورم على وجهه، فغرق في نوم عميق.

نقل أفنر إلى شقة معدة مسبقا في باريس، حيث قام أعضاء الوحدة بالتحقيق معه، فاعترف بتسليم الوثائق إلى المصريين، وقال إن سببه الوحيد لذلك كان الحصول على المال. وبناء على قرار رئيس الموساد كان يجب أن يقوم عملاء الموساد بإعادته إلى إسرائيل لتقديمه إلى المحاكمة، فقاموا بوضعه في صندوق وتحميله على طائرة تابعة لسلاح الجو الإسرائيلي كانت تقوم برحلة إلى باريس أسبوعيا.

كانت الطريق إلى إسرائيل طويلة، فقد توقفت الطائرة للتزود بالوقود في روما وأثينا، وقد انضم إلى الطائرة طبيب تخدير، وفي كل مرة هبطت فيها الطائرة أو أقلعت قام الطبيب بحقن أفنر بمادة مخدرة كي يواصل النوم بسلام، لكن في أعقاب الإقلاع الأخير، وبينما الطائرة في الجو حدثت الكارثة، فقد بدأ أفنر الذي كان تحت تأثير المخدر بالتنفس بصعوبة، وتسارعت دقات قلبه، ثم أصبحت غير منتظمة. وقد قام الطبيب بجهود هائلة للتغلب على هذه المشكلة الطبية الفجائية وحاول إحياءه عبر التنفس الصناعي، بيد أن جهوده ذهبت عبثا، وقبل أن تهبط الطائرة في إسرائيل كان أفنر قد أسلم الروح.

عندما هبطت الطائرة أعلم أعضاء الخلية هرئيل بما حدث، فأمر بإبقاء الجثة في الطائرة، وأمر طاقم الطائرة بالإقلاع مرة أخرى. حلقت الطائرة فوق البحر الأبيض بعيدا عن السواحل الإسرائيلية، وقام عملاء الموساد بإلقاء الجثة من الطائرة كي يصبح البحر قبرها.

أحدثت الكارثة غير المتوقعة ضجة كبيرة في قيادة الموساد، وسارع هرئيل إلى مكتب رئيس الحكومة موشيه شريت، وطالبه بتشكيل لجنة تحقيق لدراسة ظروف وفاة الضابط المذكور.

قام شريت بتشكيل لجنة تحقيق فعلا من عضوي الكنيست كديش لوز ويعقوب شمسون شبيرا، وقد أجرى الاثنان جلسات تحقيق سرية، ودرسا الوثائق وحققا مع الشهود، وفي نهاية المطاف قالا أن رجال الموساد عملوا بصورة صحيحة، وأن كل ما فعلوه هو أنهم حاولوا جلب الضابط إلى إسرائيل لمحاكمته، ولم يكونوا المسؤولين عن وفاته ، وعلى ما يبدو فإن الطبيب المخدر أعطى له جرعة أكثر مما ينبغي.

فحص رجال الموساد حاجيات أفنر ووجدوا أنه تزود بجميع التصاريح ورسائل التوصية اللازمة من الكنيسة الكاثوليكية في إسرائيل، وعلى ما يبدو أنه خطط لفراره إلى أميركا الجنوبية بعد أن يسلم المعلومات التي بحوزته إلى مصر مقابل مبلغ كبير.

كان السؤال الذي يواجه الموساد هو: ما الذي يجب فعله مع عائلة أفنر؟ كان من الأفضل دعوة ماتيلدا وإطلاعها على الحقيقة الكاملة، بيد أن رؤساء الموساد المرتبكين والمحرجين من النهاية السيئة للقضية فضلوا تجاهلها بالكامل، وقد حصلوا على تعاون كامل من رئيس الحكومة شريت ومن الشخصيات القليلة التي كانت على اطلاع على الأمر. وقام رجال الموساد بتسريب نبأ إلى وسائل الإعلام يفيد أن الضابط أفنر فر من البلاد بعد أن تورط في ديون وقضايا رومانسية، وأنه اعتنق المسحية وفر من البلاد.

لم تكن ماتيلدا على علم بشيء من تاريخ زوجها طيلة عشرات السنوات، وكذلك ابنه موشيه، ولا شك أن عدم معرفتهما جعلهما يعتقدان أن ظلما كبيرا وقع عليهما.

إن أول أخطاء الموساد في هذه القضية البائسة تمثل في الأسلوب الذي عالج فيه مسألة أفنر وخصوصا إلقاء جثته إلى البحر. أما الخطأ الثاني فيتمثل في مؤامرة الصمت ومحو ذكر أفنر من سجلات الجيش وخداع زوجته وشقيقيه وباقي أقاربه، ولا شك أن كشف هذه القضية بعد سنوات يؤكد أن من الصعب محو وجود إنسان حتى بعد وفاته.

كان أفنر ينتمي إلى نوع الأشخاص شديدي الخطر على أمن الدولة: الخونة. لقد باع هذا النوع من الناس في الكثير من الحالات أسرارا هامة مباشرة إلى العدو، وفي بعض الحالات باعوا الأسرار بأسعار عالية وبطريقة تضمن أمنهم الشخصي، فقد كتبوا كل ما يعرفونه في كتاب ونشروه بمئات آلاف النسخ، مثلما فعل فيكتور أوستروفسكي.

الفصل الخامس

---

* أوستروفسكي جند للموساد وتم تأهيله على أن يكون ضابط جمع معلومات وقد اجتاز التدريبات الأساسية ومراحل الإعداد لكن الموساد وجد انه غير ملائم للعمل ورفضه.

* أوستروفسكي اراد الانتقام من الموساد فألف كتابا وصف فيه بإسهاب بنية الموساد وأساليب التدريب والتوجيه وكشف النقاب عن أسماء عدد من عملائه.

*الموساد حاول منع نشر الكتاب بطرق التفاهم والقانون ولكنه بمساعيه هذه ساهم في زيادة الطلب عليه واتساع نشره.

*الكتاب احتوى على اختلاقات ومغالطات ذات خيال خصب، وإحدى القصص المضحكة فيه كانت القصة الغرامية بين جولدا مائير والوزير إسرائيل جليلي.

أوستروفسكي
وكتاب الاكاذيب

فيكتور أوستروفسكي من مواليد مدينة أدمونتون الكندية والذي ترعرع وتعلم في إسرائيل. كان أوستروفسكي يعمل في الشرطة العسكرية، وبعد سنوات طويلة من العمل غير الناجح في إسرائيل وكندا جند للموساد وتم تأهيله على أن يكون ضابط جمع معلومات، وقد اجتاز التدريبات الأساسية ومراحل الإعداد الصعبة في إطار دورة ضباط موساد خلال الفترة الواقعة بين 1982-1984، لكن الموساد وجد في نهاية الدورة أنه غير ملائم للعمل ورفضه، الأمر الذي أثار في داخله غضبا شديدا، فعاد إلى كندا مع عائلته وألف كتابا بالتعاون مع الصحفي الكندي كلير هوي تحت عنوان "بالخداع تصنع الحرب" – وهي الكلمات المستقاة من شعار الموساد في تلك الآونة، وقد وصف فيه بإسهاب بنية الموساد وأساليب التدريب والتوجيه وكشف النقاب عن أسماء عدد من عملائه مثل: يهودا جيل، أهارون شيرف، وشاي كاولي، ووصف عددا من العمليات المجهولة التي قام الموساد بتنفيذها، كما وصف الجهود التي بذلها الموساد لتخريب عملية بناء المفاعل النووي العراقي في فرنسا، وقال: "إن عملاء الموساد قاموا بتفجير أجزاء هامة من المفاعل في أحد المصانع الأمنية الفرنسية، وجندوا عالما عراقيا للعمل كمخبر، وقتلوا في باريس عالما مصريا كان مشاركا في المشروع النووي العراقي". ووصف أوستروفسكي الأساليب التنفيذية التي يتبعها الموساد بدقة بالغة، وأساليب المتابعة والتجنيد للعملاء.

كان الكتاب بمثابة إحدى الطرق لكسب المال، إضافة إلى كونه انتقاما من الموساد لرفضه إياه. ومن البديهي القول إن إوستروفسكي عثر لنفسه على مبرر أخلاقي، حيث قال: "إن سفره يأتي لتحذير إسرائيل والعالم من الأساليب والوسائل وطرق تفكير الموساد، التي تعرض الديمقراطية الإسرائيلية وإسرائيل نفسها للخطر".

اتسم الكتاب بالكثير من الاختلاقات والمغالطات ذات الخيال الخصب، وإحدى القصص المضحكة التي اشتمل عليها الكتاب هي القصة الغرامية بين رئيسة الحكومة جولدا مائير والوزير إسرائيل جليلي واللذين اختارا "مدرسة" الموساد كمكان لإطفاء نيران جسديهما

الملتهبة. كانت تلك الرواية سخيفة بشكل خاص. ورغم الأخطاء الكثيرة الواردة في الكتاب، فإن ضبابية التواريخ والمناصب الواردة فيه، جاءت من أجل إلحاق الأضرار بالموساد والكشف عن العديد من أسراره الخفية. وقد صدر الكتاب عام 1990.

كان خطأ الموساد في هذه القضية في اختيار الشخص، شخص غير مستقر، عدم الثقة بالنفس، ولا شك أنه لا يلائم منصبه كضابط جمع معلومات. من الصعب أن نفهم كيف لم يتمكن خبراء الموساد النفسيين والموجهين من اكتشاف حقيقة الرجل. لقد كان هذا الخطأ كبيرا بصورة خاصة.

وعندما علم الموساد بأن الكتاب على وشك الانتشار، ارتكب الخطأ الثاني بوحي من رجل الموساد السابق ورئيس الحكومة اسحق شامير. فقد أرسل الموساد إلى كندا اثنين من معارف أوستروفسكي، واللذين كتب عنهما في كتابه: شبتاي شبيط- الذي أصبح فيما بعد رئيسا للموساد، وأهارون شيرف رئيس مدرسة الموساد. وقد حاول الاثنان إقناع أوستروفسكي بعدم نشر الكتاب، بيد أن الجهود التي بذلاها على هذا الصعيد ذهبت أدراج الرياح. وحينها قرر شامير العمل على منع نشر الكتاب بالطرق القضائية، وأمر مستشاريه القضائيين مطالبة إحدى المحاكم الكندية بإصدار أمر منع نشر الكتاب. كان هذا التوجه بمثابة خطأ كبير، ولا توجد أية فرصة لقبول المحكمة بذلك، وهذا ما حدث فعلا، حيث رفضت المحكمة استصدار أمر منع، بيد أن تناول وسائل الإعلام لهذه القضية أثار اهتماما كبيرا في كندا والولايات المتحدة بالكتاب. وهكذا حظي كتاب سيىء، ويغص بالأخطاء وأنصاف الأكاذيب بدعاية كبيرة حولته إلى كتاب من الكتب الأكثر مبيعا في السوق.

لقد أثبت الموساد وشامير أنهم ربما جيدون في تنفيذ العمليات السرية، لكنهم لا يفهمون شيئا في العمليات العلنية القانونية. لقد أصبحت الدعوة القضائية ضد الكتاب دعاية يمكن لأوستروفسكي أن يحلم بها. والحقيقة هي أن الكتب التالية التي ألفها أوستروفسكي فشلت.

قام رجلا موساد بكتابة ذكرياتهما في أعقاب اوستروفسكي، وقام الاثنان أيضا بالخلط بين الواقع والخيال، ووضفا قضايا صحيحة لكن بصورة جزئية، ومن البديهي القول أنهما وضعا نفسيهما في موقع بطلين لعمليات توقف شعر الرأس، والتي لم يشاركا فيها في حقيقة الأمر. لقد

كتب أحدهما على الأقل كتابه لنفس الأسباب التي كتب أوستروفسكي كتابه من أجلها: الغضب والشعور بالإحباط، وفي هذه المرة كان الشعور بالإحباط ناجم عن عدم ترفيع عميل قديم.

استقى الموساد في هذه المرة العبر الضرورية، وملأ فمه بالماء مما جعل الكتب التي ألفوها تذوى وتضيع في فراغ النسيان.

الفصل السادس

---

* مردخاي كيدر صاحب خلفية جنائية جنده طبيب نفسي إسرائيلي معروف لتنفيذ "العمليات القذرة" التي تقوم بها أجهزة الاستخبارات.

* كيدر تجند للوحدة 131 المسؤولة عن تفعيل العملاء في أراضي العدو وكانت إحدى الوحدات التي كلفت بتنفيذ العمليات التخريبية في مصر عام 1954 في إطار عملية "لافون".

*كيدر قام بقتل يهودي من المهجر ساعده في اموره التي ارسل لتنفيذها ثم سرق ماله وفر الى روما.

* الموساد استدرج كيدر لمحاكمته في اسرائيل وادين بتهمة القتل والسرقة وحكم بالمؤبد وعرف بين السجناء باسم "الأسير إكس" وأطلق سراحه بعد 17 عاما حيث عاش في اميركا ثم عاد الى اسرائيل.

قضية الشاب
من الخضيرة

لم يكن الموساد هو جهاز الاستخبارات الوحيد الذي أخطأ في تجنيد عملائه. لقد وقعت أخطر حادثة من هذا القبيل في تاريخ إسرائيل في شعبة الاستخبارات العسكرية التابعة للجيش الإسرائيلي. كانت القضية قضية "الشاب من الخضيرة" مردخاي كيدر.

مردخاي كيدر من مواليد فيلنه، وقد هاجر إلى إسرائيل مع جده وجدته وهو في سن الخامسة، وسكنت الأسرة في الخضيرة. لقد ترعرع في عائلة مدمرة وفي ظل شروط اجتماعية صعبة، وبدا أن لديه ميلا واضحا نحو العنف، الأمر الذي أثار الكثير من الأحاديث التي تثير لغطا وتكدست في ملفه في الشرطة الكثير من التفاصيل حول فراره من الجيش، وتزوير شهادة التخرج من الثانوية العامة، وشبهات حول القيام بالسطو على بنك "القروض والتوفير" في العفولة، وشبهات حول إضرام النار في سيارة في القدس، والاشتباه بقيامه بقتل سائق سيارة أجرى ودفنه على ساحل البحر بالقرب من الخضيرة. كان كيدر نفسه يتحدث كثيرا، ويلمح إلى أن هذه القضايا صحيحة.

وقعت عين طبيب نفسي إسرائيلي معروف وهو الدكتور ديفيد رودي على كيدر، وتخيل في الخصال السلبية التي يتحلى بها كيدر أداة نموذجية لتنفيذ "العمليات القذرة" التي تقوم بها أجهزة الاستخبارات.

اعتقد رودي أن من الأفضل تجنيد أشخاص ذوي خلفية جنائية من أجل القيام بالعمليات القذرة، نظرا لأن سرعة بديهتهم المهنية ورغبتهم في إثبات أنفسهم ستمكنهم من تنفيذ مهامهم على أكمل وجه. ورغم أن هذا الفهم النفسي كان خطرا، إلا أن رودي تمكن من إقناع رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية اللواء يهوشفاط هركابي بذلك، والذي تحمس للفكرة واجتمع مع كيدر. وقد اقتنع أيضا رافي إيتان الأسطوري بذلك وأوصى بتجنيد كيدر.

ولا شك أنه لو طرح رودي اقتراحاته أمام إيسر هرئيل لطرده من أمامه فورا. لقد وضع رئيس الموساد أمام عينيه قاعدة تنص على عدم تجنيد أي أشخاص تبدو موازينهم النفسية

مهزوزة، أو هناك شبهات حول أخلاقياتهم. كان يعتقد أن العمليات الخطرة وغير العادية والمرتبطة بتعريض الحياة للخطر تتطلب إرسال الأشخاص الذين يشمئزون من مثل هذه الممارسات لتنفيذها، الأشخاص الذين يمكن اعتبارهم جنودا جيدين، والذين يتمتعون بكفاءة تنفيذية متميزة، لكنهم غير تواقين لسفك الدماء. ولم يكن هرئيل ليجند شخصا مشبوها أو مشكوكا فيه، أو متهما بسلسلة من العمليات الإجرامية الخطيرة، ويتمتع بأعمال العنف لأي سبب أو مبرر كان.

لكن رودي لم يتوجه إلى إيسر هرئيل، بل توجه إلى يهوشفاط هركابي، والذي قام بدوره بتجنيد كيدر للوحدة 131 التابعة لشعبة الاستخبارات العسكرية المسؤولة عن تفعيل العملاء في أراضي العدو، والتي كان يترأسها يوسكه يريف. كانت هذه الوحدة إحدى الوحدات التي كلفت بتنفيذ العمليات التخريبية في مصر عام 1954 في إطار العملية التي أطلق عليها اسم "قضية لافون"

تلقى كيدر دورة خاصة في إسرائيل، ثم توجه إلى الأرجنتين في آذار 1957. كان عليه أن يبني لنفسه غطاء والحصول على جنسية أرجنتينية. اتخذ كيدر لنفسه قصة غطاء رجل أعمال ثري على وشك الإبحار بيخته إلى إحدى الدول العربية. وفي بوينس ايرس اتصل كيدر مع عميل يهودي محلي يدعى كلمن كلاين وهو رجل ثري وصهيوني متحمس وعلى استعداد لفعل كل شيء من أجل إسرائيل.

قام كلاين باستئجار شقة لكيدر وساعده في جميع الإجراءات التي أراد القيام بها في الأرجنتين، واستمرت الصلة بين الاثنين لستة أشهر، بيد أن كلاين اختفى في أحد الأيام، وقامت عائلته بالبحث عنه في جميع أنحاء المدينة مما أوصلهم في نهاية المطاف إلى شقة كيدر، وهناك شاهدوا منظرا مرعبا: كانت جثة كلاين ملقاة على الأرض ممزقة بطعنات سكين، أما مردخاي كيدر فقد اختفى. واتضح للعائلة خلال عملية الفحص التي أجرتها أن كلين سحب من حسابه يوم مقتلة عشرة آلاف دولار.

وصلت إلى رئيس الوحدة 131 بعد بضعة أيام برقيتان من الخارج، الأولى من بوينس أيرس تفيد أن كيدر اختفى تاركا وراءه جثة كلاين، ويبدو أنه هو الذي قتله، أما البرقية الثانية

فجاءت من روما، حيث أفاد عضو شعبة الاستخبارات العسكرية هناك أن كيدر زاره بصورة فجائية وهو شديد التأثر، وقال له أنه هرب من بوينس إيرس، وأن الشرطة تسعى لاعتقاله بدعوى التآمر على السلطة.

قدمت عائلة كلاين في هذه الأثناء شكوى إلى السفارة الإسرائيلية، والتي أوصلتها بدورها إلى ديفيد بن جوريون، فقام بتكليف الموساد بمعالجة هذه الجريمة.

توجه رؤساء الوحدة 131 مباشرة إلى منزل إيسر هرئيل وقصوا عليه الرواية برمتها، وأعلموه بماضي كيدر والشبهات التي دارت حول قيامه بقتل سائق سيارة أجرة.

بدا هرئيل مذهولا من الرواية وحيثياتها: لقد تطوع يهودي من المهجر لتقديم المساعدة لإسرائيل وفجأة تقوم إسرائيل بقتله طعنا بالسكاكين. طلب هرئيل إعادة كيدر إلى إسرائيل وتقديمه إلى المحاكمة.

بدا مسؤولو الوحدة 131 غير مقتنعين، كيف يمكن إعادة شخص من الخارج ومحاكمته على عملية ارتكبها في دولة أجنبية؟ فهم لن يستطيعوا أن يثبتوا التهمة عليه، كما أنهم لن يستطيعوا إجراء تحقيقات في الأرجنتين، ولا يمكن إجراء محاكمة علنية، نظرا لضرورة الحفاظ على القضية طي السرية ليس من أجل كيدر، بل نظرا لأن إسرائيل استخدمت الأرجنتين لبناء غطاء لرجل موساد قامت بإرساله إليها. وما الذي يمكن أن يقال لعائلته؟

ألمحت بعض الأطراف إلى ضرورة تصفية كيدر، ويمكن القول لعائلته أن كلاين وكيدر التقيا مع عملاء عرب في بوينس ايرس فقام هؤلاء العملاء بقتلهما، لكن إيسر رفض ذلك. وطالب بإرسال عمانوئيل طلمور إلى روما من أجل إغواء كيدر وإعادته إلى إسرائيل، وقال: يجب أن نتخذ إجراءات ذكية. يجب على عملاء الموساد في روما أن يثيروا لدى كيدر إحساسا بأن المسؤولين في إسرائيل يؤمنون بصحة رواية هروبه من الأرجنتين، كما يجب أن يتصرفوا وكأن لا علم لهم بمقتل كلاين، وأن كيدر ليس مشبوها لديهم. وسيطالب طلمور كيدر أن يعود إلى إسرائيل نظرا لأنه يريد أن يكلفه بعملية جديدة.

عمل طلمور ورجال الموساد في روما وفقا للتوجيهات. لقد صدقهم كيدر حقا وطار إلى إسرائيل، وهبط في مطار اللد في الثامن والعشرين من تشرين الثاني 1957 وتم اعتقاله فورا.

وبدأ هرئيل بالتحقيق معه فورا حيث اتضح أن كيدر اتصل في يوم ارتكاب الجريمة بكلاين وقال له أنه نجح في إقامة علاقة مع جنرال مصري وأن هذا الجنرال سيكون على استعداد لتزويده بمعلومات مهمة جدا مقابل عشرة آلاف دولار، وقد طلب من قيادة الموساد إرسال المبلغ إليه وحصل على إذن للقيام بالعملية بيد أن المبلغ لم يصل بعد في حين أنه حدد موعدا للضابط المصري في نفس الليلة. وطلب من كلاين أن يقرضه المبلغ، فوافق فورا. وسرعان ما جاء إلى شقة كيدر حاملا المبلغ معه فقام كيدر بقتلة بوحشية.

عثر هرئيل على قسم كبير من المبلغ بحوزة كيدر حينما جاء إلى إسرائيل، ووجهت إليه تهمة القتل، وسجن في البداية في سجن المخابرات والذي كان في حقيقة الأمر مصنعا لتعبئة البرتقال في وسط إسرائيل. وبعد ثلاثة أسابيع، في السادس عشر من كانون الثاني، نقل إلى سجن الرملة ووضع في زنزانة انفرادية بناء على أمر اعتقال إداري لمدة مائة وثمانين يوما، وقبل نهاية الفترة المحددة قدمت ضده لائحة اتهام.

فكر هرئيل في أن يقترح على النائب العام تقديم كيدر أيضا للمحاكمة بتهمة السطو على البنك، وقتل سائق سيارة أجرة قبل تجنيده من قبل شعبة الاستخبارات العسكرية، لكنه اكتفى في النهاية بملف القتل في بوينس أيرس. كان السؤال المطروح هو: كيف يجب محاكمته؟ وهل بالإمكان محاكمة شخص على جريمة ارتكبها في دولة أخرى؟ وقد اكتشف المحققون بندا في قانون القضاء العسكري ينص على إمكانية محاكمة الشخص الذي ارتكب جريمة قتل في أراضي العدو خلال عمله، وأنه لا حاجة إلى جثة القتيل من أجل إثبات التهمة، ويكفي أن تتوفر أدلة كافية من أجل الإدانة.

شرع هرئيل يستعد للمحاكمة، وأرسل إلى الأرجنتين تسفي أهاروني رئيس شعبة التحقيقات في جهاز الأمن العام، والذي قام بدوره بالاتصال بزوجة كلاين وابنته وكشف لهن الحقيقة. وقال لهن: إن دولة إسرائيل لن تقف مكتوفة الأيدي إزاء هذه الجريمة، وسوف يتم تقديم القاتل إلى المحاكمة كي يأخذ جزاءه. وهكذا وعبر دولة ثالثة تم جلب الاثنتين إلى إسرائيل للإدلاء بشهادتيهما في المحكمة. وقام أهاروني تحت غطاء العمل لصالح شركة تأمين بإجراء تحقيقات شاملة حول جريمة القتل، واستمع إلى شهادات الجيران والأشخاص الذين عالجوا الحادثة. كما

استعان بشخص محلي ونجح عبره في تصوير ملف الجريمة في الشرطة وحصل على نتائج الطب الشرعي والتقرير الكامل حول ظروف الجريمة.

وإزاء هذا الملف المتكامل بدأت المحاكمة في شباط 1959. وفي حزيران 1962 أدانت المحكمة كيدر بالقتل والسرقة وحكم عليه بالسجن المؤبد. وقد سجن في زنزانة انفرادية في الرملة، ولم يعرف المعتقلون والسجناء الآخرون ماهية هذا الرجل الذي أطلق عليه "الأسير إكس" وأطلق على القسم الذي وضع فيه القسم إكس.

أفرج عن كيدر بعد سبع عشرة سنة وسكن فترة في الولايات المتحدة، ثم عاد إلى إسرائيل.

الفصل السابع

---

* أوتو سكورتسني أحد كبار أبطال ألمانيا النازية رجل كوماندو شجاع ولا مثيل له.. مغامر بارد الأعصاب وذو مقدرة عالية جدا على المبادرة.

* الموساد اقترح على سكورتسني ترؤس عملية استخبارية إسرائيلية في مصر وحصل منه على قائمة مفصلة باسماء العلماء الذين يعملون هناك وتفاصيل حول خطة الصواريخ في مصر.

*الموساد عمد الى ارسال مظاريف متفجرة الى العلماء الالمان العاملين في مصانع السلاح المصرية وارسل رسائل تهديد الى عائلاتهم لترك العمل في مصر والعودة الى المانيا.

*الموساد فشل اكثر من مرة في اغتيال او اختطاف علماء المان لهم علاقة بمشاريع الصواريخ المصرية وقاد حملة تشير الى ان العلماء الألمان يعكفون على تطوير أسلحة كيميائية أو بكتريولوجية لمصلحة مصر.

*قضية العلماء الألمان ادت إلى سقوط هرئيل وارتفاع نجم مائير عميت.. كما هزت مكانة بن جوريون وكانت بمثابة بادئة للأزمة التي أفضت إلى استقالته .

"ضابط إس. إس في
صفوف الموساد"

توجه شخصان مجهولان في أحد الأيام الساخنة والخانقة من شهر آب 1962 إلى مكتب شركة هندسة في مدريد يملكها نمساوي يدعى أوتو سكورتسني، وقدما نفسيهما إليه على أنهما عميلي استخبارات في حلف الناتو،وقالا أنهما قدما إليه بتوصية من زوجته السابقة، وقدما إليه عرضا كان من المستحيل عليه رفضه.

سرعان ما عرف سكورتسني إن الاثنين يعرفان كل شيء عنه وعن ماضيه. والحقيقة هي أنه لم يكن طيلة حياته صاحب شركة هندسة، ففي أيام الحرب العالمية الثانية كان أحد كبار أبطال ألمانيا النازية، رجل كوماندو شجاع ولا مثيل له، مغامر بارد الأعصاب وذو مقدرة عالية جدا على المبادرة، وقد قاد عددا من أجرأ العمليات العسكرية التي قامت بها قوات الرايخ الثالث، وقد كان مناسبا جسديا للهالة التي أحاطته بها ألمانيا، فهو شخص طويل القامة، وذو جسم رياضي، مع آثار جرح على طول وجهه. لقد حظي بالكثير من التقدير والإعجاب في ألمانيا جراء عمليته المذهلة التي قام خلالها بتحرير الدكتاتور الإيطالي موسوليني الذي اعتقلته الحكومة الإيطالية في أوج الحرب العالمية الثانية. كان زعماء إيطاليا قد قرروا التخلي عن تحالفهم مع ألمانيا النازية والاستسلام للحلفاء. وبأمر من الملك فيتوريه عمانوئيل تم اعتقال موسوليني الزعيم الإيطالي الفاشي في صيف 1943، ووضع سرا في فندق "كمبو أمبراطوره" الواقع فوق أحد الجبال الشاهقة. وقد قام هتلر بتكليف ضابط صغير برتبة نقيب يدعى أوتو سكورتسني بتحريره، فقام بالتوجه إلى المكان والوصول إلى رأس الجبل باستخدام طائرات شراعية مليئة بالمظليين واحتل الفندق وحرر موسوليني ونقله إلى هتلر سالما. وبناء على هذه العملية حظي بترفيع ووسام الجرأة. كما قام خلال الحرب بالعديد من العمليات الجريئة.

وخلال القتال الذي دار من أجل وقف تقدم الحلفاء عبر بلجيكا، قاد سكورتسني وحدة كوماندو في الجبهة الخلفية الأميركية، وأنهى الحرب برتبة كولونيل. وقد برأته محاكم نيرنبيرج ثم فر إلى أسبانيا وأقام هناك عملا ناجحا، بيد أنه لم ينس زملاءه النازيين، وواصل الاتصال مع

الكثير منهم وساعدهم في الفرار إلى أميركا الجنوبية، وساعد في تدريب القوات الخاصة في مصر.

استقبل سكورتسني ضيفيه من الناتو بأدب، لكنهم وفي غضون دقائق معدودة أظهروا له هويتهم الحقيقية، الأمر الذي أثار في قلبه مخاوف كبيرة، لقد كشفوا له النقاب عن أن لا علاقة لهم بالناتو، فهم رسل الموساد الإسرائيلي. كان الشخصان هما رافي إيتان وأبراهام أحيطوف – أحد كبار شخصيات جهاز الأمن العام الذي أعير إلى الموساد بصورة مؤقتة، وقد اقترحا على سكورتسني أن يترأس عملية استخبارية إسرائيلية في مصر. وقالا له: "لديك علاقات جيدة في القاهرة، وبمقدورك أن تساعدنا".

تردد سكورتسني في البداية، بيد أن مخاوفه من الموساد تغلبت على شكوكه. لقد تمكن الموساد قبل سنتين من إلقاء القبض على إيخمان، وقد كان سكورتسني يخشى من أن يقوم الإسرائيليون باختطافه رغم أنه لا يعتبر مجرما نازيا. وفي النهاية وافق على التعاون مع الموساد شريطة أن تضمن له الحكومة الإسرائيلية أن لا يمسونه بأذى، ولم يتردد رافي إيتان للحظة، ووعده بأن لا تمسه حكومة إسرائيل بأي أذى.

لم يكن سكورتسني يعلم إلى أي حد ملحة وحاسمة العملية التي طلب منه الإسرائيليون أن يشارك فيها.

أطلق المصريون في الحادي والعشرين من تموز 1962 أربعة صواريخ أرض – أرض. وأعلن الناطقون المصريون بتأثر كبير أن اثنين من الصوايخ من طراز "الظافر" والذي يبلغ مداه 280 كيلو مترا، والاثنان الآخران من طراز "القاهر" والذي يصل مده إلى 560 كيلو مترا. وبعد يومين تم عرض الصواريخ الحديثة وهي موشحة بالإعلام المصرية في العرض التقليدي بمناسبة ذكرى الثورة المصرية. صفقت الجماهير في القاهرة لزعيمها جمال عبد الناصرعندما أعلن أن صواريخه قادرة على ضرب أية أهداف جنوبي بيروت.

ذهل قادة الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، لقد كانوا على علم أنه ومنذ الكشف عن وجود مفاعل ديمونة النووي في كانون الأول 1960، فقد أعلن المصريون أنه وإزاء الخطر الصهيوني سوف يعملون من أجل الحصول على أسلحة غير تقليدية، ورغم ذلك لم تكن أية جهة على علم

بوجود الصواريخ الحديثة التي طورها المصريون. وقد وجهت الزعامة المصرية والجيش انتقادات شديدة لإيسر هرئيل رئيس الموساد، فبينما يتجول هنا وهناك وراء أهداف صغيرة تمكن المصريون من بناء صواريخ تحت أنفه وبصره.

استدعى بن جوريون هرئيل أليه، والذي التزم أمامه بالحصول على معلومات كاملة حول الصواريخ في غضون بضعة أشهر. وقد اتضح خلال الجلسة التي عقدت بعد بضعة أيام في وزارة الدفاع أن علماء ألمان كانوا يعملون في السابق لصالح هتلر هم الذين بنوا الصواريخ المصرية.

سارع إيسر هرئيل لعقد اجتماع لمساعديه المقربين والإعلان أمامهم عن عملية دموقلس. أي أن سيف دموقلس يجب أن يسلط فوق رأس جميع العلماء الألمان الذين يخدمون أعداء إسرائيل. وفي غضون وقت قصير وصلت معلومات أكثر دقة من الموساد وأذرع الأمن الأخرى.

قام سكورتسني بدوره المرسوم بالكامل، فقد اتضح له أن ضابط أمن العلماء الألمان في مصر كان ضابطا في الإس.إس وخاضعا له خلال الحرب العالمية الثانية. وقد طلب وحصل منه على قائمة مفصلة باسم العلماء الذين يعملون في مصر، وتفاصيل حول خطة الصواريخ في مصر، كما وصلت معلومات أخرى من عدة عملاء آخرين للموساد، وعلى رأسهم "جاسوس الشمبانيا" زئيف جور أرييه والذي عمل في مصر تحت غطاء ألماني باسم وولفجنج لوتس – ضابط نازي سابق. وقد أقام لوتس مزرعة خيل بالقرب من القاهرة وأصبح هو وزوجته ولترود حبيبين إلى السلطات المصرية.

تكشفت قضية العلماء الألمان رويدا رويدا، واتضح أن الرسل المصريين شرعوا في نهاية 1959 في تجنيد مئات العلماء والخبراء الألمان في أوروبا ممن عملوا في إطار الأبحاث وبناء الصواريخ والطائرات. كان قسم كبير منهم ممن عملوا في معاهد الأبحاث وحقول التجارب الألمانية النازية. وقد أقامت مصر بمساعدتهم ثلاثة مصانع سرية على أراضيها، أحدها مصنع 36 الذي كان يعمل فيه فيلي مسر شميدت لبناء طائرة نفاثه مصرية. لقد كان مسر شميدت العقل

المفكر وراء صناعة الطائرات الهجومية المقاتلة لشركة "لوفتهانزا"، وسلاح الجو النازي خلال الحرب العالمية الثانية.

أما المصنع الثاني المسمى مصنع 135 فقد عكف المهندس فردينند برندنر على بناء محركات نفاثة لطائرات مسر شميدت. أما المصنع الثالث فقد كان أكثر المصانع سرية، وقد تم بناؤه في نقطة معزولة ومحمية في الصحراء، وأطلق عليه اسم المصنع 333، وكان المهندسون عاكفين فيه على بناء صواريخ تنفيذية متوسطة المدى. وتفيد عدة مصادر أن المصريين سرعوا نشاطاتهم على هذا الصعيد في كانون الأول 1960.

قامت طائرة تجسس أميركية من طراز "في -2" في نفس الشهر بعملية تصوير فوق الأراضي الإسرائيلية. وقد أفادت الصورة أن إسرائيل تبني سرا مفاعلا نوويا في الديمونة. أثار هذا الاكتشاف ضجة كبيرة في وسائل الإعلام العالمية، وجر وراءه سلسلة من التهديدات الغاضبة ضد إسرائيل من قبل مصر والدول العربية الأخرى. كان المصريون يأملون في أن يتمكنوا بالاستعانة بالعلماء الألمان من تحييد القوة النووية التي تقوم إسرائيل ببنائها سرا.

ترأس البروفيسور الألماني أويجن زنجر – مدير معهد الحركة النفاثة في شتوتجارت - العلماء الألمان الذين توجهوا إلى مصر. وكان من المعروف أنه قضى وقتا في فرنسا في أعقاب الحرب العالمية الثانية وبنى للفرنسيين الصاروخ المسمى "فرونيك"، والذي يعتبر بمثابة تقليد ضعيف للصاروخ الألماني "في -2". وقد حضر معه إلى مصر مساعده البروفيسور باول جركه الخبير في مجال الألكترونيات والتوجيه، والبروفيسور وولفجنج بيلتس المهندس السابق في قاعدة بينموندە، والتي طور فيها العالم العبقري فرنر فون براون الصاروخ الألماني النازي "في -2". أما الدكتور كلينواختر الخبير في مجال الألكترونيات، فقد عكف على تخطيط منظومة الملاحة للصواريخ في ألمانيا وكان على علاقة وطيدة مع زملائه في مصر.

أنشأ المصريون والألمان شركات تغطية مختلفة: إينطره، إينطره هندل، باتووج، ولينده، والتي كنت تقوم بشراء مواد خام لصالح الصواريخ المصرية. كان الدكتور هانس كروج مديرا لشركة إينطره هندل، الذي كان يعمل أيضا مديرا إداريا لمعهد الحركة النفاثة في شتوتجارت.

بدأ الألمان في مطلع عام 1961 ببناء الصواريخ المصرية بمساعدة مئات المهندسين والفنيين والعمال المحليين. لكن حكومة ألمانيا اكتشفت في نهاية 1961 العلاقة السرية بين خطة الصواريخ المصرية وبين معهد الحركة النفاثة في شتوتجارت، وقد مارست ضغوطا شديدة على زنجر الذي اضطر للاستقالة من منصبه والعودة إلى المانيا، وقد عين المصريون بدلا منه البروفيسور بيلتس رئيسا لمشروع الصواريخ المصرية. هذا ولم يقطع زنجر علاقاته مع زملائه في مصر.

وفي تموز 1962 استكمل المصنع 333 تطوير ثلاثين صاروخا، وقد تم إطلاق أربعة منها أمام أعين شخصيات رفيعة وصحفيين، في حين لف المصريون عشرين صاروخا آخرين بالعلم المصري وجروها في شوارع القاهرة خلال الاستعراض السنوي في موعد اندلاع الثورة.

عندما عاد إيسر هرئيل إلى بن جوريون عرض أمامه نسخة من رسالة البروفيسور بيلتس والتي نجح رجال الموساد في الحصول عليها. وقد تطرق بيلتس في الرسالة بإسهاب إلى أهداف مصر في مجال صناعة الصواريخ والمتمثلة في الحصول على خمسمائة صاروخ من طراز "2" وأربعمائة صاروخ من طراز "5".

أثارت التقارير المختلفة مخاوف عميقة في أوساط الجهاز الأمني الإسرائيلي. لقد كانت إسرائيل أيضا عاكفة على تطوير صواريخ، حيث قام علماء وزارة الدفاع في الخامس من تموز 1961 بإطلاق صاروخ تجريبي باسم "شبيط -2" بيد أن المصريين والمرتزقة الألمان لم يبدوا أي اهتمام بصاروخ تجريبي صغير مثل شبيط -2، وعمدوا إلى بناء مصنع حديث ويحمل الكثير من التهديدات. كان رؤساء أجهزة الأمن الإسرائيلية يدركون أن المصريين لا يطورون صواريخ بهذا الحجم والمدى من أجل أن تحمل رؤوسا متفجرة تقليدية. لقد كان من الواضح أن المصريين يعتزمون تسليح الصواريخ برؤوس كيميائية وبيولوجية وربما نووية.

ويقول رئيس الأركان في ذلك الحين تسفي تسور: "لقد أخذنا الأمر بجدية مبالغ فيها. كان علماؤنا هواة ولم تكن لديهم تجربة على هذا الصعيد". لقد اكتشف الإسرائيليون نقطة ضعف الخطة الصاروخية المصرية، حيث فشل الألمان حتى ذلك الحين في تطوير منظومة ملاحة أمينة

وقادرة على قيادة الصواريخ إلى أهدافها، وطالما أنهم لم يتوصلوا إلى ذلك بعد، فإن الصواريخ ستبقى غير فعالة.

اتخذ هرئيل قرارا بالعمل بكل قوته ضد العلماء الألمان. لقد طرأ تغيير كبير على هذا الرجل منذ إلقاء القبض على إيخمان، فمنذ ذلك الحين أصبح يعتبر ألمانيا بمثابة عدو أبدي لإسرائيل وللشعب اليهودي، لقد آمن بأن حكومة المانيا تقف خلف وجود علمائها في مصر وتقدم لهم المساعدة سرا على أمل أن تدمر إسرائيل.

وقد اقترح هرئيل على بن جوريون أن يتوجه فورا إلى المستشار الألماني إدناور ويطالبه بأن تعمل الحكومة الألمانية بشدة من أجل وقف عمل العلماء الألمان في مصر، لكن بن جوريون رفض ذلك.

لقد حصلت إسرائيل في تلك الأيام من ألمانيا على قرض كبير بقيمة خمسمائة مليون دولار من أجل تطوير النقب، وتطورت بين بن جوريون وأدناور علاقات احترام وثقة متبادلة، وقام أدناور ووزير دفاعه فرانس يوزف شتراوس بتزويد إسرائيل سرا بكميات كبيرة من الأسلحة الحديثة: دبابات، مدافع، طائرات عمودية وطائرات حربية مجانا في إطار الجهد الألماني الرامي للتكفير عن المحارق وجرائم الحرب الألمانية ضد اليهود.

أرسلت الأسلحة بسرية تامة ووصلت قيمتها إلى مئات ملايين الدولارات. لقد آمن بن جوريون بنية ألمانيا الحسنة ولم يرغب في تعريض العلاقات الحسنة بين الطرفين عبر توجيه أصابع الاتهام والمطالبة بالتدخل في الازمة.

وبناء على هذا الوضع قرر هرئيل القيام بعملية بنفسه من أجل تخريب العمل الذي يقوم به العلماء الألمان في مصر، وكان يده اليمنى في هذه العملية جو رعنان، وهو ضابط كبير سابق في سلاح الجو الإسرائيلي والذي انضم إلى الموساد.

في الحادي عشر من أيلول 1962 توجه شخص أسمر البشرة وذو ملامح شرقية إلى مكاتب شركة "ينطره" في شارع شيلر في ميونيخ. وقد سمعه الموظف الذي أدخله إلى غرفة مدير الشركة الدكتور كروج يقول أنه قادم من طرف ضابط مصري رفيع يدعى الكولونيل نديم كان على صلة مع كروج . كان الموظف على علم بأن الكولونيل نديم على علاقة بشركة

"إينطره" وأنه صديق الدكتور كروج. وبعد نصف ساعة خرج المصري بصحبة كروج من المكتب، وتوجها نحو الشارع.

في صبيحة اليوم التالي اتصلت زوجة كروج بالشرطة وأعلمتها بأن زوجها اختفى، وبعد يومين عثر رجال الشرطة على سيارة كروج المرسيدس البيضاء مهجورة على مداخل المدينة. كانت السيارة مغطاة بالوحل ولا يوجد في خزانها بنزين. وتلقت الشرطة مكالمة من مجهول تفيد أن الدكتور كرج توفي. ثم تلقت الشرطة، معلومات تعزز هذا الاتجاه. وأشارت بعض المعلومات أن كروج اختطف على أيدي وحدة تنفيذية إسرائيلية ونقل إلى إسرائيل، ومنذ ذلك الحين اختفت آثاره. ولا شك أن اختفاءه الغامض انتهى بمقتله.

عكفت هنلوره فنده -سكرتيرة وولفجنج بيلتس في المصنع 333 في السابع والعشرين من تشرين الثاني على تنظيم البريد، ولاحظت بين الرسائل رسالة ضخمة، وقد كتب اسم المرسل عليها، وهو اسم محام معروف في همبورج الألمانية. فتحت هنلوره المظروف وحينها وقع انفجار هز الغرفة بكاملها، وأصابت الشظايا وجهها وجسمها، واتضح في المستشفى أنها أصبحت عمياء وصماء جراء الانفجار.

وفي صبيحة اليوم التالي وصل مظروف ضخم آخر إلى إدارة المصنع 333، وقد أرسل هو أيضا من همبورغ، وقام أحد الموظفين المصريين بفتح المظروف وحينها وقع انفجار هائل أدى إلى مقتل خمسة مصريين. وواصلت المظاريف المتفجرة الوصول في الأيام التالية إلى المصنع، حيث أرسل قسم منها من ألمانيا وقسم آخر من مصر نفسها، وقد انفجر بعضها مما أدى إلى وقوع ضحايا وخسائر، وقام خبراء المتفجرات المصريون بتفكيك البعض الآخر.

ورغم أنه لم يتم التعرف على مرسلي تلك المظاريف بصورة رسمية، إلا أن المصريين والصحافة العالمية كانوا على قناعة بأن المخابرات الإسرائيلية هي التي أرسلت المظاريف إلى القاهرة. واتضح فيما بعد أن "جاسوس الشمبانيا" وولفجنج لوتس هو الذي أعد قسما من المظاريف وأرسلها.

اتهمت المخابرات الإسرائيلية في تلك أيضا بممارسة ضغوط وتهديدات تجاه العلماء الألمان في مصر وتجاه عائلاتهم، وتلقت أسرهم محادثات تليفونية ورسائل تهديد، كما تلقى

العلماء أنفسهم أيضا تهديدات. وتوجه الإسرائيليون أيضا برسائل إلى أقارب العلماء لمطالبتهم بالتأثير عليهم ودفعهم إلى وقف عملهم والعودة إلى ألمانيا مع التعهد بعدم إصابتهم بأي أذى إن فعلوا ذلك. واتضح للمراقبين من خلال العمليات التي جرت ضد العلماء وعائلاتهم أن منفذي تلك العمليات ليسوا جهة واحدة بل عدة جهات تعمل بالتنسيق فيما بينها.

أدت كل هذه الممارسات والضغوط إلى إشاعة جو من الكآبة في أوساط العلماء الألمان، الذين لم يشعروا بالأمان في القاهرة ولا في أوروبا. وقامت شركة "إينطره" وباقي الشركات العاملة من قبل مصنع الصواريخ المصري باستخدام ضباط أمن ألمان. وعندما كان بعض العلماء يتوجهون إلى أوروبا من أجل العمل كانوا يتحركون من مكان إلى آخر في مجموعات كبيرة وبوجود ضباط الأمن. ويبدو أن هذه الخطوات أنقذت حياة البروفيسور بيلتس خلال الجولة التي قام بها في أوروبا في نهاية 1962، حيث قامت مجموعة من الأشخاص بمتابعته في ألمانيا وإيطاليا لكنها لم تجد الفرصة المناسبة للاقتراب منه والإمساك به.

لم يكن هرئيل في تلك الآونة في إسرائيل، فقد قضى خلال خريف وشتاء عام 1962 قسما كبيرا من وقته في أوروبا للإشراف على عدة عمليات كان الموساد يقوم بها من أجل الحصول على المزيد من المعلومات الموثوقة حول تطوير الصواريخ في مصر.وسرعان ما اتضح له أن من الضروري تركيز الجهود في اتجاهين: العمل على الحيلولة دون تطوير منظومة تطوير الصواريخ من جانب، ومنع المصريين من الحصول على المواد الحربية اللازمة لتسليح الصواريخ.

اصطدم هرئيل خلال جمع المعلومات باسم جديد وهو الدكتور أوتو يوكليك. وقد قال المصدر الذي قدم اسمه إلى هرئيل أن الرجل عالم نمساوي يهتم بصورة خاصة بالقضايا النووية والمواد المشعة. وأفاد المصدر أن المصريين شغلوا الدكتور يوكليك في برامج سرية للغاية هدفها تجهيزهم بأسلحة نووية في غضون هامش زمني قصير.

اكتشف رجال هرئيل أيضا أن المصريين يستعدون لإنشاء شركة تغطية لوكليك تحت اسم "أوستره" في مدينة نمساوية صغيرة تدعى فيالخ، وستكلف هذه الشركة بالحصول على جميع المواد المشعة من أجل برنامج يوكليك وإرسالها إلى مصر، وستكون شركة منفصلة عن

"إينطره" من أجل الحيلولة دون تسرب أية معلومات، ومن أجل الفرار من رقابة السلطات الألمانية. كما اكتشفوا أيضا أن من المفروض أن يقوم يوكليك بإجراء تجربتين نوويتين لصالح مصر وأن ينشئ فيها مخزنا لعدة قنابل نووية والتي يمكن إطلاقها باستخدام الصواريخ.

بدا بوضوح من جميع هذه المعلومات أن يوكليك هو رجل خطر للغاية، بل ربما أنه أخطر العلماء الألمان على الإطلاق. وبناء على ذلك أرسلت رسالة عاجلة إلى جميع أفرع الموساد في أوروبا تقول: يجب الانتباه والبحث من أجل العثور على مكان يوكليك.

ويبدو أن القدر كان يخبئ لهرئيل مفاجأة مذهلة، ففي الثالث والعشرين من تشرين الأول 1962 حضر شخص مجهول إلى السفارة الإسرائيلية في إحدى الدول الأوروبية، وطلب رؤية ضابط الأمن، وحينما قابله قال له: "اسمي أوتو يوكليك، وأنا على استعداد لأن أقص عليك كل شيء بالنسبة لنشاطاتي من أجل الجهد الحربي المصري".

ولم يمض أسبوعان حتى كانت طائرة يوكليك تهبط في إسرائيل، لقد قدم برغبته الخالصة للتعاون مع المخابرات الإسرائيلية في إطار الجهود التي تبذلها من أجل القضاء على خطة الصواريخ المصرية.

نشرت وسائل الإعلام الأجنبية بعد بضعة أشهر نبأ مفاده أن قدوم يوكليك إلى إسرائيل له علاقة باختفاء الدكتور كروج مدير شركة "إينطره". لقد كان يوكليك على علاقة وثيقة مع كروج الذي كان من بين القلة من الناس الذي يعلمون بالمهمة التي يقوم بها في القاهرة في إطار الخطة العسكرية المصرية الخاصة، وعندما اختفى كروج، شعر يوكليك بالفزع الشديد، وسأل نفسه: "ما الذي سيحدث إذا كان الإسرائيليون هم الذين اختطفوا كروج؟" لا شك أنه سوف يثرثر ويكشف النقاب عن المهمة السرية التي يقوم بها في مصر، ومن ثم سيصبح في هذه الحالة في عداد الأموات، لذا فضل الانتقال إلى الجانب الآخر من المتراس وتسليم نفسه على أمل أن يتمكن من إنقاذ حياته.

من الصعب أن نعرف فيما إذا كان هذا هو السبب الرئيسي الذي دفع يوكليك إلى أيدي الإسرائيليين أم لا؟ بيد أنه كان على استعداد للكلام، وهم كانوا على استعداد لسماعه. وقد عمقت الأقوال التي أدلى بها المخاوف التي راودت الزعامة السياسية الإسرائيلية منذ إطلاق الصواريخ المصرية الأربعة.

مكث يوكليك في إسرائيل أسبوعا، وقد وضع في حالة عزل تامة وأحيط بجميع وسائل الحيطة والحذر والأمن. ومنذ اللحظة التي وصل فيها إلى إسرائيل قرر جهاز الامن استغلاله لهدفين: الحصول على أكبر قدر من المعلومات عن مشروع الصواريخ المصري، واستخدامه كعميل مزدوج بحيث يعود إلى مصر ويعمل بتكليف من الموساد ضد المشروع.

أفاد يوكليك إن موظفا في شركة الطيران المصرية في القاهرة جنده لخدمة الجنرال محمود خليل في مطلع 1962، وقد اجتمع الجنرال خليل معه وأجرى حديثا مطولا أسفرعن خطتين سريتين: "إيبيس وكليوباترا". أما الخطة الأولى "إيبيس" فقد كانت ترمي لتزويد مصر بأسلحة إشعاعية خطرة والتي يمكنها أن تدمر أية مخلوقات حية. وقد كلف يوكليك في إطار هذه الخطة أن يعمل من أجل الحصول على أكبر كمية من العناصر المشعة : كوبلت، وكوبلت60 ونقلها إلى مصر للتجارب. وإذا ما كللت التجارب بالنجاح، سوف يكلف يوكليك بتزويد مصر بكميات كبيرة من الكوبلت. لقد كان واضحا أن المصريين يتطلعون لتسليح الصواريخ برؤوس حاملة كوبلت، والذي سيبث حينما ينفجر أشعة قاتلة.

أما المهمة الثانية "كليوباترا" فقد اشتملت على تطوير قنبلتين نوويتين للمصريين. اقترح يوكليك خطة أساسية لإعداد القنابل: إخصاب اليورانيوم حتى 90% باستخدام أجهزة طرد مركزية خاصة يتم صناعتها في ألمانيا على أيدي العلماء: الدكتور زيفه، الدكتور جروت والدكتور كيستمكر، وتركيب قنبلة باستخدام اليورانيوم المخصب.

وضع المصريون تحت تصرف يوكليك مبالغ طائلة من أجل تمويل المشروعين، وقد سافر إلى الولايات المتحدة وحاول هناك الحصول على اليورانيوم المخصب، كما أجرى اتصالات مع علماء ألمان ودعاهم للقدوم إلى مصر من أجل بناء أجهزة طرد مركزية حديثة لتخصيب اليورانيوم.

أما فيما يتعلق بالكوبلت، فقد توجه يوكليك إلى شركات مختلفة في أوروبا وكندا من أجل شراء كميات كبيرة من هذه المادة المشعة، وقد نجح فعلا في الحصول على كمية معينة من الكوبلت -60 وإرسالها إلى مصر عبر شركة الطيران المصرية على عنوان طبيبة نسائية مصرية في القاهرة والتي قيل أنها تحتاجه من أجل إجراء التجارب العلمية، وكان اسم الطبيبة: السيدة خليل، شقيقة مدير الخطة العسكرية الخاصة.

كان من المفروض أن تظل خطتي إيبيس وكليوباترا خطتين سريتين للغاية، بيد أن البروفيسور بيلتس والدكتور كروج اشتركا في معرفة السر نظرا لمكانتهما الكبيرة في خطة الصواريخ المصرية.

عندما انتهى يوكليك من الإدلاء بإفادته، أرسلت هذه الإفادات إلى الخبراء الإسرائيلين لتقدير مدى صحتها، بيد أن التقارير التي أرسلوها لم تحظ بالاهتمام المطلوب. وقد قال الخبراء فيما يتعلق بخطة كليوباترا: إن فرص حصول يوكليك على يورانيوم مخصب بنسبة 20%، وحتى إذا ما حصل عليه، فإن مصر ستكون في حاجة إلى حوالي مائة جهاز طرد مركزي من أحدث الأجهزة كي تتمكن من استخلاص اليورانيوم المخصب المطلوب بنسبة 90% لصناعة القنبلة في غضون سنتين أو ثلاث سنوات، وحتى إذا ما بنوا قنبلة فإنها لن تنفجر نظرا لأن الصيغة التي بحوزة يوكليك لبناء القنبلة خاطئة.

أما بالنسبة لإيبيس والسلاح الإشعاعي فقد قال الخبراء: إن خطر السلاح محدود، وإصابته مثلها كمثل إصابة قنبلة عادية، إن تأثيره الوحيد هو تأثير نفسي ويمكن التغلب على هذا التأثير بالإعلام والدعاية المناسبة.

إن الأبعاد الخطيرة للخطتين تتمثل في أنهما كانتا بمثابة دليل على رغبة واستعداد مصر لتطوير أسلحة غير تقليدية.

لم تتمكن اللهجة المطمئنة للتقارير من طمأنة زعامة الدولة الأمنية والمدنية، بل على العكس تماما، فقد عمدت الدولة إلى تعزيز الجهود الرامية لاكتشاف فيما إذا كانت مصرلا تعمل على تطوير أسلحة كيميائية وبيولوجية في نفس الوقت. وفيما يتعلق بالأسلحة الكيميائية فقد كانت بأيدي أذرع الأمن الإسرائيلية معلومات حول تطوير غازات مختلفة في مصر.

وفي الحادي عشر من كانون الثاني 1963 تم تأكيد تلك المعلومات بصورة عملية، عندما اتضح أن مصر قصفت قرى جبلية يمنية بالغازات السامة. أما فيما يتعلق بالحرب البكتريولوجية فقد كان من المعروف أن هناك مجموعة من الأطباء المصريين عاكفين على تطوير خلايا بكتريولوجية خطرة، بيد أنه لم تكن هناك أية علاقة بين هذه المخططات وخطة الصواريخ، كما لم تكن هناك أية معلومات تفيد أن المصريين أحرزوا نجاحا ما على هذا الصعيد.

لم تتقلص مخاوف إسرائيل، وعندما اجتمعت وزيرة الخارجية جولدا مائير مع الرئيس الأميركي كندي في السابع والعشرين من كانون الاول1962 طرحت أمامه قضية الصواريخ المصرية، وأكدت على الأخطار الناجمة عن تسلح المصريين برؤوس حربية غير تقليدية، وطالبته بأن يتدخل في القضية بصورة سريعة وحازمة.

كانت رؤوس الصواريخ غير التقليدية شديدة الأهمية، وكان من الضروري العمل على عدم تطويرها، بيد أنه كان لا يجب أن ننسى القضية الثانية في الخطة الصاروخية المصرية، وهي منظومة التوجيه الصاروخية.

خرج الدكتور كلينواختر – خبير التوجيه الصاروخي لمصنع 333 في العشرين من شباط 1963 من معمله في بلوراخ الواقعة في جنوبي ألمانيا، وأدار محرك سيارته واتجه بها إلى الطريق الفرعي المؤدي إلى منزله. كان الشارع خاليا من المارة ومظلما، والأرض مغطاة بالثلوج، وفجأة اندفعت من جانب الطريق سيارة وسدت عليه الطريق بكوابحها، وترجل الشخص الجالس إلى جانب السائق واتجه نحو سيارة كلينواختر وانحنى عبر نافذتها وسأله باللغة الألمانية: هل يمكنك أن تخبرني أين يسكن الدكتور شنكر؟ وبسرعة كبيرة استل مسدسا مزودا بكاتم صوت، ووجهه إليه وضغط على الزناد. تحطم زجاج النافذة وفتح العيار الناري ثقبا كبير في معطف العالم الثقيل، إلا أن العالم لم يفقد رباطة جأشه ومد يده بسرعة إلى مسدسه الذي كان يضعه في حقيبة الخرائط بيد أن القاتل سارع إلى الفرار وركوب السيارة التي كانت بانتظاره والتي اختفت بسرعة.

اتصل كلينواختر بالشرطة، التي عثرت على السيارة التي استخدمت في محاولة الاغتيال على بعد مائة وخمسين مترا من المكان. ويبدو أن سيارة أخرى كانت بانتظار القاتل في ذلك المكان، وأنه فر فيها. وقد تم العثور في السيارة على جواز سفر مصري باسم علي سمير – أحد مسؤولي جهاز الأمن المصري. وقد أكدت شعبة التحقيقات الألمانية أن الجواز كان محاولة لإخفاء آثار القاتل الحقيقي.

أفادت التحقيقات التي أجرتها الشرطة أن علي سمير كان في يوم محاولة الاغتيال في القاهرة، وأنه التقطت له صور إلى جوار صحفي ألماني. هذا عداك عن أنه لم يكن هناك أي سبب معقول للافتراض بأن المصريين – المستفيدين من عمل كلينواختر- هم الذين يحاولون اغتياله. لقد

كان جميع الخبراء على قناعة تامة بأن الإسرائيليين هم الذين حاولوا تنفيذ عملية الاغتيال التي فشلت فشلا ذريعا.

عززت محاولة الاغتيال العصبية والمخاوف في أوساط العلماء الألمان وعائلاتهم، وازداد الخوف من العملاء الإسرائيليين. وقد أدت هذه المخاوف إلى فشل عملية أخرى كانت تشارك فيها إبنة البروفيسور باول جركه "هيدي" والذي كان هو أيضا يعمل مثل البروفيسور كلينواختر في مجال تطوير جهاز التوجيه الصاروخي في المصنع 333، الأمر الذي جعل قيمته لدى المصريين تبدو كبيرة جدا وكذلك في أعين أجهزة الأمن الإسرائيلية.

كانت ابنة جركه تسكن في بلدة بريبورغ الألمانية بالقرب من الحدود السويسرية. وبعد بضعة أيام من فشل محاولة اغتيال كلينواختراتصل بها الدكتور يوكليك وقال لها: إنه عرف والدها في مصر وأنه يعمل هناك في مجال تطوير أسلحة رهيبة موجهة لتدمير إسرائيل. وألمح لها أنه إذا لم يوقف والدها أبحاثه الخطرة فإن من المتوقع أن يحدث له أشياء خطيرة. وقال إن إسرائيل على استعداد لأن تعد بأنه إذا غادر مصر وعاد إلى ألمانيا فلن يصيبه أذى. وقال: "إذا كان والدك عزيز عليك، تعالي في الساعة الرابعة من يوم السبت الموافق الثاني من آذار إلى فندق الملوك الثلاثة في بازل".

شعرت هيدي بالذعر الشديد وتوجهت لضابط الأمن الألماني الذي عينه المصريون مسؤولا عن حماية عائلات العلماء، والذي قام بدوره عبر علاقاته الجيدة مع الشرطة في بريبورغ بنقل تحذير إلى شرطة كانتون في بازل السويسرية. وعندما جاء يوكليك وصديقه للموعد الذي حدداه مع هيدي جركه كانت الشرطة السويسرية قد نصبت لهما كمينا. لقد وقفت عدة سيارات شرطة خلف فندق الملوك الثلاثة هذا في حين قام بعض أعضاء المباحث بالجلوس في قاعة استقبال الفندق، ووضعت ميكروفونات تنصت وتسجيل بالقرب من الطاولة التي جلست عليها هيدي. وفي الساعة المحددة قدم يوكليك وصديقه – عميل الموساد الإسرائيلي يوسف بن جل. ولم يلاحظ الاثنان الكمين المنصوب لهما وتوجها مباشرة إلى داخله. وقد جلسا مع هيدي وتحدثا معها حوالي ساعة، وأوضحا لها مدى تهديد وخطورة الأسلحة التي يشارك والدها في تطويرها وما مدى الأضرار الهائلة التي قد تلحقها بالشعب الإسرائيلي. وألمحوا إلى الأخطار المرتقبة لجركه جراء العمل الذي يقوم به، لكنهما كانا حذرين من توجيه التهديد له أو لأبناء عائلته، وعرضا عليها أن يقدما لها تذكرة طيران إلى

القاهرة كي تحاول إقناع والدها بالتوقف عن عمله الخطر. وأكدا لها مرة أخرى أنه لن يصاب بأي أذى إذا ما عاد إلى ألمانيا.

غادر الاثنان المكان في نهاية اللقاء، وفي الساعة السادسة استقلا القطار المتجه إلى زيوريخ، وهناك افترقا، لكن ليس لوقت طويل. فبينما وقف يوكليك بانتظار قطار آخر توجه إليه شرطيان بلباس مدني واعتقلاه، أما بن جل فقد اعتقلته الشرطة السويسرية بالقرب من القنصلية الإسرائيلية.

قدمت الشرطة الألمانية إلى الشرطة السويسرية في نفس الليلة طلب تسليم ضد الاثنين، حيث اتهمتهما بممارسة ضغط على هيدي جركه، كما اتهمتهما بالقيام بمحاولة اغتيال الدكتور كلينواختر قبل أسبوعين.

قام رئيس الموساد – الذي كان آنذاك موجودا في أوروبا – باستخدام اتصالاته وعلاقاته وحاول التأثير على الشرطة السويسرية كي تفرج عن بن جل ويوكليك، بيد أن السويسريين رفضوا بدعوى أن هناك طلب تسليم من ألمانيا. وفي أعقاب فشله في الإفراج عنه عاد هرئيل إلى إسرائيل واجتمع بوزيرة الخارجية. وعندما أعلمها باعتقال بن جل، قالت: يجب أن نتوجه إلى أدناور ونطالبه بأن تلغي ألمانيا طلب التسليم. ثم توجه هرئيل إلى طبريا حيث كان بن جوريون يقضي إجازته وأعلمه بما حدث، وطلب منه أن يرسل رسولا خاصا إلى بون لعرض الأعمال التي يقوم بها العلماء الألمان في مصر على أدناور ويطالبه بإلغاء طلب التسليم. لكن بن جوريون رفض الطلب.

نشرت وكالات الأنباء في الخامس عشر من أذار 1963 نبأ اعتقال بن جل ويوكليك، وقام هرئيل بعقد مؤتمر صحفي وأعلمهم بخلفية قضية بن جل، وأكد بصورة خاصة على قضية يوكليك، وطبيعة عمله من أجل المصريين، وانتقاله إلى الجانب الإسرائيلي بإرادته الذاتية وكيف أنه يبذل قصارى جهده في الآونة الحالية من أجل إصلاح أخطائه.

أعلم رجال هرئيل في الأيام التالية ثلاثة صحفيين بما حدث: نفتالي لافي من صحيفة هآرتس، وشموئيل سيجف من صحيفة معاريف، ويشعياهو بن بورات من يديعوت أحرونوت، وأرسلوهم إلى أوروبا إلى عناوين شركة "إينطره"، و"باتفاج" ومعهد الحركة النفاثة في شتوتجارت من أجل الحصول على معلومات حول نشاطات العلماء الألمان وإرسالها في برقية إلى إسرائيل .

وأرسل أشخاص آخرون إلى أوروبا من أجل إعلام صحفيين أجانب وتقديم تفاصيل لهم عن الخطة الصاروخية المصرية.

لم يدرس هرئيل جيدا خطواته، ولا حقيقة أن القضية الألمانية هي إحدى أكثر القضايا الحساسة في إسرائيل. لقد أثارت الهجمة الشديدة التي شنها على ألمانيا زوبعة يصعب وقفها، زوبعة من الاتهامات المتطرفة تجاه ألمانيا.وهكذا، ومنذ السابع عشر من أذار غصت الصحافة الإسرائيلية والعالمية بعناوين وأنباء صاخبة تقول: علماء ألمان – غالبيتهم من النازيين السابقين- يعكفون على تطوير أسلحة قاتلة في مصر، إنهم يعدون أسلحة كيميائية وبيولوجية ونووية لمصر،وهم يطورون غازات رهيبة، وجراثيم حاملة للأمراض، وأشعة موت لتسليح الرؤوس الصاروخية لعبد الناصر، إضافة ربما إلى قنابل نووية ونفايات إشعاعية أو مواد قاتلة تبث الموت في المخلوقات والنباتات.

تنافست وسائل الإعلام فيما بينها في الأوصاف التي بدت أنها مأخوذة مباشرة من أفلام رعب:صندوق الموت الذي يحرق كل حي ونبات، وكيف سيتم تسميم الأجواء الإسرائيلية لمدة تسعين سنة، وغيره. وقد تزامنت الحملة أنفة الذكر بإلحاحات وأدلة تشير إلى أن الحكومة الألمانية لا تحرك ساكنا من أجل منع مواطنيها من ممارسة أعمالهم الشيطانية الرامية لتدمير الشعب اليهودي.

كان من الطبيعي أن تبالغ الحكومة والجماهير الإسرائيلية في حملتها تلك، ولم تعد تفرق بين العلماء الألمان وبين الحكومة الألمانية، واتهم أعضاء كنيست وشخصيات رفيعة أخرى الحكومة الألمانية بأنها تواصل ما بدأه هتلر. كانت الحملة الإسرائيلية مبالغا فيها، وبعيدة كل البعد عن أرض الواقع. وقد قال عموس منور رئيس جهاز الأمن العام آنذاك وأحد المقربين من هرئيل: "أعتقد أن هرئيل لم يكن متوازنا خلال الأسابيع الستة أو السبعة التي أدار فيها حملته ضد العلماء الألمان، ولم يكن بالإمكان التحاور معه آنذاك حول القضية".

أدرك شمعون بيرس – نائب وزير الخارجية- والذي عاد من الخارج في الرابع والعشرين من أذار من أفريقيا، حجم الخطر الذي يهدد العلاقات الألمانية الإسرائيلية جراء الحملة التي يقودها هرئيل، ولاحظ أن ما ينشر مبالغ فيه جدا. أما رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية مائير عميت فقال: "لقد بدأت الصورة تتضح رويدا رويدا، وهي ليست بنفس الصورة التي يبدونها بها. لقد فحصنا وجمعنا المعلومات واتضح لنا أن ما يقال غير صحيح، ونحن نقول: إن الأمر لا يمكنه أن يكون جديا".

إن التحقيقات التي أجراها عميت لم تشر إلى وجود أدلة على أن العلماء الألمان في مصر يعكفون على تطوير أسلحة كيميائية أو بكتريولوجية لمصلحة مصر، كما أن الأسلحة النووية التي كلف الدكتور يوكليك بمتابعتها تشابه أكثر الروايات الخيالية. لقد كان يوكليك مغامرا وقد قام بتزوير شهاداته العلمية. إن خطتي إيبيس وكليوباترا لم تكونا قابلتين للتنفيذ، كما أن كميات الكوبلت التي أرسلت إلى مصر كانت صغيرة جدا.

وصلت المعلومات الأولية حول تقديرات شعبة الاستخبارات العسكرية إلى بن جوريون في الرابع والعشرين من أذار، فقام باستدعاء هرئيل إليه فورا، ووجه إليه أسئلة دقيقة وطالبه بتقديم ردود أيضا دقيقة، وقد اعترف هرئيل بأن لا علم له بوجود غازات أو مواد مشعة أو قنابل كوبلت في مصر.

تشاور بن جوريون في اليوم التالي مع شمعون بيرس الذي قدم لزيارة بن جوريون وبصحبته رئيس الأركان ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية عميت، والذي قدم تقريرا مفصلا أوضح خلاله الصورة تماما: تعمل في مصر مجموعة من العلماء متوسطي المقدرة وقد قاموا بتطوير صواريخ قديمة، حقا أن العمل الذي قاموا به كان خطيرا، بيد أن الذعر الذي ساد في أوساط الزعامة السياسية الإسرائيلية، بما فيها وزارة الدفاع والجيش الإسرائيلي مبالغ فيها جدا.

استدعى بن جوريون هرئيل مرة أخرى وجرى بينهما جدل شديد شكك خلاله بن جوريون في دقة وموثوقية المعلومات التي نقلها إليه هرئيل، وهكذا تحولت الثقة المطلقة التي كانت سائدة بين الاثنين حتى الآن إلى جدل غاضب تطور حتى وصل إلى أمور أخرى ذات صلة بالعلاقة الألمانية الإسرائيلية. عاد هرئيل إلى مكتبه شديد الهيجان وأرسل من هناك إلى بن جوريون كتاب استقالته.

لكن بن جوريون أرسل إليه شخصيات إسرائيلية حاولت أن تثنيه عن الاستقالة، بيد أن هرئيل رفض جميع الوساطات وقال: "إن استقالته نهائية. وهكذا انتهت فترة عمله".

وعندما اتضح لبن جوريون أن هرئيل لن يتراجع عن استقالته استدعى عاموس منور كي يتولى مسؤولية الموساد، لكن منور لم يكن موجودا، فاستدعى رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية مائير عميت، وكلفه بترؤس الموساد بصورة مؤقتة، لكنه بعد بضعة أسابيع عينه رئيسا دائما للموساد.

أما فيما يتعلق بالعلماء الألمان، فقد بدأ بن جوريون وشمعون بيرس حملة هادئة من وراء الكواليس لدى الألمان، الذين كلفوا خبيرا معروفا في هذا المجال – البروفيسور بهم- والذي اقترح القيام بسلسلة من الخطوات لإعادة العلماء إلى ألمانيا.

لقد نجحت حكومة ألمانيا في إعادة قسم من العلماء وعرض وظائف عليهم على أراضيها، أما البقية فقد غادروا مصر بصورة تدريجية دون أن ينجحوا في تطوير صواريخ أو أجهزة توجيه، ودون أن ينجحوا في ملء رؤوس الصواريخ بالمواد الخطرة، بل وفشلوا أيضا في تطوير الطائرات والمحركات، كان الفشل تاما وذريعا.

توجه أحد معدي هذا الكتاب إلى المركز الأميركي لأبحاث الفضاء في هانتسفيل ألاباما، واجتمع هناك مع البروفيسور فرنر فون براون – العالم الألماني المعروف والذي طور صواريخ "في-2" لصالح هتلر. وفي نهاية الحرب أسر الجيش الأميركي فون براون وعددا من الضابط والعلماء الالمان، ونقلهم إلى الولايات المتحدة. وقد حصل فون براون على الجنسية الأميركية وترأس برنامج الفضاء الأميركي.

اعترف فون براون خلال اللقاء الذي أجري معه بالأعمال التي قام بها أيام الحرب، بيد أنه أعرب عن استعداد كبير لتقديم المساعدة لنا في قضية العلماء الألمان. قدمنا إليه قائمة بأسماء العلماء والمهندسين الذين عملوا في مصر، فتفحصها وأعرب عن شكه في كفاءة هؤلاء العلماء الذين جندهم المصريون، وتعرف على اثنين فقط من المهندسين الصغار في إحدى شعب قاعدة فينمونده، وأعرف عن شكه في مقدرتهم على بناء صواريخ قادرة على تعريض إسرائيل للخطر.

أدت قضية العلماء الألمان إلى سقوط هرئيل وارتفاع نجم مائير عميت. لقد حمل هرئيل كراهية عميقة لوريثه، وشن عليه فيما بعد حربا شعواء إبان عمل عميت رئيسا للموساد. كما أن هذه القضية هزت مكانة ديفيد بن جوريون، وكانت بمثابة بادئة للأزمة التي أفضت إلى استقالته النهائية من منصبه بعد بضعة أشهر.

عندما انتهت قضية العلماء الألمان انقطعت العلاقة أيضا مع سكورنتسني في مدريد. أما جاسوس الشمبانيا – ولفجنج لوتس، فقد ألقى المصريون القبض عليه بعد أشهر معدودة من اعتقال السوريين للجاسوس إيلي كوهن –مثلما هو وارد في هذا الكتاب فيما بعد.

الفصل الثامن

---

* ايلي كوهن أحد أجرأ الجواسيس في تاريخ العالم الجديد .. جاسوس ذكي.. رابط الجأش والتفكير وذو سحر شخصي كبير.

* اعطاه الموساد اسم "كامل أمين ثابت"وزعه وسط الجالية السورية في الارجنتين وعقد صداقات معهم ساهمت في رفعة شأنه وقادته الى سوريا.

* اقام كوهن علاقات مع أعضاء حزب البعث وصادق امين الحافظ وأصبح الجاسوس الإسرائيلي في الغرف السرية للنظام السوري.

*كوهن نقل الى اسرائيل أسماء وطبيعة الضباط والأوامر التنفيذية العسكرية وأرسل خرائط عسكرية ومعلومات عن أنواع السلاح التي يستخدمها الجيش السوري .

*كوهن زار التحصينات السرية على الحدود الإسرائيلية وشاهد الأسلحة الموجودة هناك ومخططات الدفاع والهجوم وزار معسكر الحمة حيث وضعت كميات كبيرة جدا من الأسلحة.

* رئيس الشعبة الفلسطينية في المخابرات السورية شك في وجود عميل لاسرائيل في القيادة السورية ووصول أجهزة الاتصال السوفييتية الحديثة قادت كوهن الى المشنقة.

إيلي كوهن
في دمشق
"أرجو من زوجتي أن تغفر لي"

"عزيزتي نادية، عائلتي الغالية، أكتب إليكم هذه الكلمات الأخيرة على أمل أن تبقوا دائما موحدين. أرجو من زوجتي أن تغفر لي، وأن تهتم بنفسها وتعلم أبناءنا بصورة جيدة. عزيزتي نادية، يحق لك الزواج من جديد كي يكون هناك أب لأولادنا، وأنا أمنحك الحرية التامة على هذا الصعيد، وأرجو أن لا تحزني على الماضي، بل أن تتوجهي إلى المستقبل، أرسل إليكم قبلات أخيرة، صلوا من أجل روحي". المخلص إيلي.

كتب إيلي كوهن تلك الكلمات بيد مرتعدة، وبعد دقائق معدودة كانت روح أحد أجرأ الجواسيس في تاريخ العالم الجديد قد خرجت إلى بارئها. جاسوس ذكي، رابط الجأش والتفكير وذو سحر شخصي كبير.

كان إيلي كوهن – وهو يهودي مصري شاب- في طريقه إلى منزله في القاهرة في أحد أيام تموز 1954. وفي الطريق التقى أحد أصدقائه وهو ضابط شرطة مصري، وقد همس له المصري قائلا: "الليلة سنعتقل عددا من الإرهابيين الإسرائيليين، ومن بينهم شخص يدعى شموئيل عزار". لم يبد إيلي أية علامة من علامات العصبية أو الاهتمام، لكن وفي اللحظة التي افترق عن الضابط المصري، سارع إلى شقته المأجورة، وأزال من هناك المسدس والوثائق والمواد الناسفة التي كان يخبأها عنده. كان إيلي يقوم بنشاطات سرية واسعة من أجل الفكرة الصهيونية.

إيلي كوهن ابن لعائلة يهودية مصرية تسعى للذهاب إلى إسرائيل، وقد كان أيضا عضوا في الحركة السرية اليهودية المتورطة فيما سمي "العملية المخزية في مصر" أو "قضية لافون". لقد زرع زملاؤه في تموز 1954 قنابل مصنوعة يدويا في المراكز الثقافية ودور السينما والمكاتب الإنجليزية والأمريكية في القاهرة والإسكندرية وفقا للخطة الغبية والخطرة التي وضعها وزير الدفاع بنحاس لافون ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية العقيد بنيامين جيبلي.

لقد آمن الاثنان بسذاجة مذهلة بأن سلسة عمليات التخريب سترغم أنجلترا عتلى التراجع عن قرارها الخاص بإخلاء مصر وإخلاء قواعدها على طول قناة السويس. وبناء على ذلك قام عملاء شعبة الاستخبارات العسكرية باستخدام مجموعة من الشبان الصهاينة والذين كانوا على استعداد للتضحية بأنفسهم من أجل إسرائيل. لكن الخطة فشلت وألقى المصريون القبض على أحد الشبان حينما اشتعلت قنبلته البدائية في حقيبته، وفي نفس الليلة ألقي القبض على غالبية أعضاء الشبكة، وفي الأيام التالية ألقي القبض على البقية.

ألقي القبض على إيلي كوهن أيضا صبيحة لقائه مع الضابط المصري، بيد أن تفتيش منزله لم يسفر عن العثور على شيء، فتم الإفراج عنه لعدم توفر الأدلة. ورغم ذلك فتح له ملف مشبوه يحمل صورته واسمه:إيلي شاؤول جوندي كوهن، من مواليد الإسكندرية عام 1924، وهو ابن شاؤول وسوفي اللذين هاجرا إلى هدف غير معروف عام 1949 مع شقيقته وإخوته الخمسة. كان إيلي خريج الكلية الفرنسية وطالب في جامعة فاروق في القاهرة.

لم يكن المصريون يعرفون أن عائلة إيلي وصلت إلى إسرائيل واستوطنت في بات يام. ورغم الاعتقال والأخطار قرر إيلي عدم القيام بمحاولة للفرار من مصر. وبدأ بحذر بالغ يجمع المعلومات عن زملائه المعتقلين، وسمع عن المعاناة والضرب والتعذيب الذي واجهوه.

أعلن المصريون في تشرين الأول عن اكتشاف شبكة تجسس إسرائيلية. وفي السابع من كانون الأول بدأت محاكمة المعتقلين في القاهرة. أقدم ماكس بنط - أحد رؤساء الشبكة الذي أرسل من إسرائيل- على الانتحار في السجن، حيث قام بقطع شرايينه باستخدام مسمار صدئ اقتلعه من باب زنزانته. وطالب النائب المصري العالم الحكم بالإعدام على عدد من أعضاء الشبكة، في حين وصلت إلى السلطات المصرية طلبات للعفو عنهم من شتى أنحاء العالم، ومن بينها الحاخام الأكبر في مصر، وسفيرا الولايات المتحدة وبريطانيا وممثل البابا، ووزير الخارجية الفرنسي وأعضاء برلمانيين من حزب العمل البريطاني، بيد أن جميع هذه المطالبات ذهبت أدراج الرياح. وفي السابع عشر من كانون الثاني 1955 حكمت المحكمة العسكرية الخاصة بتبرئة شخصين وحكمت على اثنين آخرين بالسجن لمدة سبع سنوات مع الأشغال الشاقة، واثنين بالسجن لمدة خمس عشرة سنة، واثنين بالسجن المؤبد. اما رئيسا الخلية: الدكتور

موشيه مرزوق والمهندس شموئيل عزرا فحكمت عليهما بالإعدام، وبعد أربعة أيام شنقا في سجن القاهرة.

فقد إيلي كوهن اثنين من أصدقائه المفضلين، ورغم الشبهات التي حامت حوله، إلا أنه واصل عمله السري، ولم يهاجر إلى إسرائيل إلا في مطلع 1957، في أعقاب حرب 1956.

لم تكن الأيام الأولى لإيلي كوهن في إسرائيل سهلة، فقد قضاها بحثا عن عمل. وبفضل ماضيه ومعرفته للغات العربية، الأنجليزية والفرنسية والعبرية، حظي بوظيفة كمترجم مجلات عربية أسبوعية وشهرية في شعبة الاستخبارات العسكرية. كان مكتبه في تل أبيب مموه تحت اسم وكالة تجارية، وكان يتقاضى أجرا متواضعا: 170 ليرة إسرائيلية شهريا. وبعد بضعة أشهر أقيل من عمله. وفي إطار تفتيشه عن عمل جديد عثر له أحد أصدقائه على عمل كمدير سجل في محلات "مشبير لتسرخان" بأجر أفضل. تعرف إيلي في تلك الفترة على مهاجرة شابة من العراق تعمل ممرضة تدعى نادية، ولم يكد يمضي شهر على تعارفهما حتى تزوجها.

قدم إلى مكتب كوهن في أحد الأيام شخص يدعى زلمان، وقدم نفسه إليه قائلا: "أنا ضابط في الاستخبارات العسكرية، وأود أن أعرض عليك وظيفة في الاستخبارات". سأله إيلي: "ما هي الوظيفة؟"

الضابط: عمل مثير للاهتمام، ستسافر خلاله كثيرا إلى أوروبا، ومن الجائز أن تزور دولا عربية بوصفك عميلا لنا.

إيلي: لقد تزوجت قبل وقت قصير، ولا توجد لدي أية رغبة في السفر إلى أوروبا أو لأي مكان آخر.

لقد أنهى رده الحديث بيد أنه لم ينه القضية. حملت زوجته نادية، واضطرت لترك عملها، وفي نفس الوقت قررت المحلات التي يعمل فيها تقليص عمالها والاستغناء عن بعضهم. وهكذا وجد إيلي نفسه مرة أخرى بلا عمل. وفجأة يدق بابه زلمان مرة أخرى، ويسأله: "لماذا ترفض العمل معنا؟ سنمنحك 350 ليرة شهريا، وفي غضون ستة أشهر ستتعلم العمل. وبعد ذلك إذا راق لك يمكنك البقاء، وإذا لم يرق لك، يمكنك أن تتركه في أي وقت تشاء. ولم يجب إيلي هذه المرة بالنفي، وهكذا أصبح عميلا سريا".

ويقول كبار مسؤولي الموساد أن أيلي لم يقبل في الموساد نظرا لأن الاختبارات النفسية التي أجريت له حينما قدم إلى إسرائيل أثبتت أنه يتحلى بثقة نفسية أكثر مما ينبغي. لقد كان يتحلى حقا بشجاعة كبيرة وذاكرة متميزة بيد أنه كان يميل للمبالغة في تقدير الذات، وعلى استعداد للمخاطرة أكثر مما ينبغي، وقد أدى اجتماع كل هذه الخصال إلى رفض قبوله من البدايا كعميل للموساد.

بيد أن الوضع تغير في مطلع الستينات، فقد كانت هناك ضرورة ملحة في الوحدة 131 في الجيش الإسرائيلي، وهي الوحدة الخاصة في شعبة الاستخبارات العسكرية لزرع عميل كفؤ في دمشق.

ومن الجدير بالذكر أنه تم ضم هذه الوحدة إلى الموساد عام 1963. كانت سورية تبدو وكأنها أكثر الدول العربية تشددا تجاه إسرائيل والتي لم تكن تضيع فرصة دون مواجهة مع إسرائيل على حدود هضبة الجولان وشمالي بحيرة طبريا. وقد أدى الموقف السوري العدواني، ومحاولتها تحويل نهر الأردن، وإرسال الخلايا الإرهابية إلى إسرائيل إلى خلق ضرورة لزرع عميل متميز في دمشق. وقد بدا إيلي كوهن الذي يميل للمخاطرة، والذي يثق بنفسه إلى حد كبير أنسب شخص لهذه المهمة.

كانت التدريبات طويلة وجذرية، وكان إيلي يغادر منزله صباح كل يوم بمبرر ما، ويتوجه إلى مركز التدريب التابع لشعبة الاستخبارات العسكرية، وقد عمل طيلة أسابيع مع شخص واحد يدعى اسحق، حيث تعلم أن يتذكر. كان اسحق يلقي العديد من الأشياء على الطاولة: قلم، ممحاة، سيجارة، مفاتيح، دبابيس وغيرها، بحيث يراها إيلي لثانية أو ثانيتين، ثم يغلق عينيه ويصف ما رآه. وتعلم كيفية تشخيص الطائرات، والدبابات والمدافع. ثم كان اسحق يقول له: "الآن دعنا نقوم بنزهة"، ثم يتوجه الاثنان إلى تل أبيب للقيام بجولة. وفجأة يهمس اسحق: "هل ترى هذا الكشك الذي يبيع الصحف؟ اذهب إلى هناك وتظاهر بأنك مشغول بتصفح الصحف، وفي هذه الأثناء حاول معرفة فيما إذا كنت تتعرض للمتابعة أم لا".

وحال عودتهم كان اسحق يصغى إلى تقرير طالبه، ثم يلقي مجموعة من الصور على الطاولة، ويقول:" لقد كنت على حق بالنسبة لهذا الرجل، لقد كان يراقبك حقا، لكن ألم تر الرجل الآخر الذي كان يقف إلى جوار الشجرة؟ لقد كان هو أيضا يراقبك".

ويسلم اسحق إيلي إلى مدرب آخر هو يهودا الذي بدأ يعلمه كيفية الإرسال بالراديو. وقد نجح إيلي في اجتياز الاختبارات النفسية، والرياضية والصحية. وفي أحد الأيام قدم اسحق لإيلي امرأة شابة تدعى مارسل كوزين وقال له: "لقد حل يوم الامتحان. ستقوم مارسل بتسليمك جواز سفر فرنسي باسم يهودي مصري هاجر إلى أفريقيا ويقوم بزيارات لإسرائيل، وسوف تسافر بهذا الجواز إلى القدس وستبقى هناك لمدة عشرة أيام، ولن تتحدث سوى الفرنسية والعربية، وتذكر أنك سائح، ويجب أن تقيم علاقات وتقابل أشخاصا وتخرج بصحبتهم دون الكشف عن هويتك الحقيقية، ويجب عليك التأكد دائما بأنك غير ملاحق".

قضى إيلي اسبوعين في القدس،وعندما عاد إلى تل أبيب حظي بعدة أيام إجازة. وقد أنجبت زوجته طفلة أسماها صوفي. وفي أيلول 1960، عرفه اسحق على شخصين لا يعرفهما من قبل، وقال له أحدهما:" لقد اجتزت الامتحان بنجاح، وقد آن الأوان للتوجه إلى أمور أكثر جدية".

بدأ كوهن يتعلم القرآن والصلاة الإسلامية بمساعدة شيخ مسلم، ورغم أنه تعلم، إلا انه كان يخطئ في بعض الأحيان. وقد عقب معلموه على ذلك بالقول: "لا توجد أهمية كبيرة للخطأ، فإذا ما سألوك قل لهم: إنك لست مسلما ورعا، وأن ذاكرتك حول الدين من أيام المدرسة ضعيفة".

سمع إيلي إنه سيتوجه قريبا إلى الخارج، إلى دولة محايدة ومنها سيتوجه إلى إحدى الدول العربية حيث سيقدم نفسه على أنه عربي، وسيقيم علاقات ويبني شبكة تجسس إسرائيلية، وقد وافق على ذلك. كان إيلي يتحلى بفطنة كبيرة ورباطة جأش ويعتقد أنه قادر على القيام بالمهمة التي أوكلت إليه. وقد قال له معلموه: "ستحصل على هوية عراقية أو سورية"، فقال:" لماذا؟ أنا لا أعرف شيئا عن العراق، أعدوا لي جواز سفر مصريا". لكن معلميه رفضوا ذلك قائلين: "يوجد في مصر سجلات كاملة لجميع المواطنين وجميع الجوازات التي تم إصدارها، أما في سورية والعراق فلا يوجد شيء من هذا القبيل".

بعد يومين عرضت عليه هويته الجديدة، وقالوا له: "اسمك كامل،اسم والدك أمين ثابت، وأمك سعيدة إبراهيم، كانت لك شقيقة، وقد ولدت في بيروت، وعندما بلغت الثالثة من العمر هاجرت عائلتك من لبنان إلى مصر، إلى الإسكندرية، لا تنسى أن هذه العائلة هي عائلة سورية. وبعد سنة توفيت شقيقتك. أما والدك فكان يعمل في تجارة النسيج، وفي عام 1946 هاجر عمك للأرجنتين، وبعد وقت قصير كتب لكم رسالة عرض عليكم فيها الالتحاق به. وفي عام 1947 ذهبت أنت وعائلتك إلى بوينس أيرس، حيث تشارك والدك وعمك مع شخص وفتحوا حانوت نسيج، بيد أن عملهم لم ينجح وأفلسوا. توفي والدك عام 1956، وبعد ستة أشهر لحقت به أمك، أما أنت فسكنت وقتا ما لدى عمك وعملت في وكالة سفريات، ثم بدأت طريق الأعمال وأحرزت نجاحا كبيرا".

كان يتوجب على إيلي أن يقدم رواية تغطية لعائلته، وقد قال لها: "حصلت على عمل جديد في شركة ذات علاقة بوزارتي الدفاع والخارجية، وهي في حاجة لمن يسافر إلى أوروبا ليشتري مواد وتجهيزات مختلفة للصناعات العسكرية وأن يعثر على أسواق لهذه المنتجات. وسوف آتي إلى البيت بين الوقت والآخر لإجازات طويلة. أنا أعرف أن الفراق سيكون صعبا لكنني سأحصل على أجر بصورة تمكننا بعد عدة سنوات من شراء أثاث في أوروبا وترتيب الشقة.

نقلت سيارة إيلي في مطلع شباط 1961 الى مطار اللد، حيث قام شاب يدعى جدعون بتسليمه جواز سفره الإسرائيلي الذي صدر باسمه الحقيقي وخمسمائة دولار وتذكرة سفر إلى زيوريخ. وعندما وصل إلى زيوريخ تقدم إليه في قاعة المسافرين رجل وأخذ منه جواز سفره الإسرائيلي وأعطاه جواز سفر آخر صادرا عن دولة أوروبية، وقال له: "يوجد في هذا الجواز فيزة دخول إلى تشيلي، وفيزة عبور إلى الأرجنتين، وفي بوينس ايرس سيقومون بتجديد فيزتك. ثم منحك تذكرة سفر إلى سنتياجو، وقال له: "غدا ستصل إلى بوينس أيرس، وفي صبيحة اليوم التالي لوصولك يجب أن تتوجه في الحادية عشرة صباحا إلى مقهى كوريانتس، هذا كل شيء".

وصل إيلي إلى العاصمة الأرجنتينية وتوجه إلى مكان اللقاء. وفي تمام الحادية عشرة توجه إليه شخص وقدم نفسه إليه على أنه أبراهام. وقال له: "اسكن في شقة مفروشة وجد لنفسك معلما يعلمك اللغة الأسبانية". هذا ولم يكن ليواجه مشاكل مالية، لإن أبراهام قال له أنه سيتكفل بدفع جميع المصاريف.

لم تكد تمضي ثلاثة أشهر حتى أصبح إيلي جاهزا للمرحلة الثانية، فقد أصبح يتحدث الأسبانية بصورة جيدة جدا، ويعرف بوينس أيرس جيدا، ويعرف كيف يرتدي ملابسه ويتصرف مثلما يتصرف آلاف المهاجرين العرب الذين يسكنون في العاصمة الأرجنتينية، كما تدرب على تكلم اللغة العربية باللهجة السورية.

وفي أحد الأيام سلمه أبراهام جواز سفر سوريا باسم كامل أمين ثابت يحمل صورته، وقال له: "يجب أن تغير عنوانك بدءا من الأسبوع الحالي، افتح حسابا بنكيا بهذا الإسم، وابدأ في تناول الطعام في المطاعم العربية، ودور السينما التي تبث أفلاما عربية، ونوادي الثقافة والسياسة العربية، واحرص على أن يروك، أقم علاقات مع عرب من المهمين، وليعلموا أنك رجل أعمال لامع، تعمل في مجال الاستيراد والتصدير والاستثمارات، ساهم بسخاء في صناديق الصدقة للجالية العربية. وأتمنى لك النجاح".

وحقا جاء النجاح يسعى إلى الجاسوس الإسرائيلي، لقد انخرط برباطة جأش تامة في قلب المجتمع العربي السوري في بوينس أيرس، وسرعان ما جذب سحره الشخصي، وثقتة الذاتية، وفطنته ومحفظته المفتوحة على سعتها عددا كبيرا من الشخصيات العربية الهامة في بوينس أيرس، وسرعان ما أصبح شخصية معروفة.

جاء الانفراج في إحدى الليالي بصورة مفاجئة. فقد عقدت أمسية ثقافية في المنتدى الإسلامي في بوينس أيرس، وهناك التقى برجل ذي ملامح محترمة، أصلع الرأس وذي شارب طويل، وقد قدم نفسه إليه باسم عبد اللطيف حسان رئيس تحرير صحيفة "العالم العربي" الصادرة في الأرجنتين. وقد نشأت صداقة بين الاثنين فورا.

وفي أعقاب الليالي والمناسبات الثقافية جاءت ليال أكثر قربا بصحبة زعماء الجالية العربية في بوينس أيرس. وأصبح إيلي ضيفا دائما في الحفلات والاستقبالات في السفارة السورية.

وفي إحدى حفلات الاستقبال الرسمية التي عقدتها السفارة السورية قاد حسان صديقه كامال ثابت باتجاه ضابط ذو مظهر محترم يرتدي ملابس جنرال سوري، وقال للضابط: "إسمح لي أن أقدم لك وطنيا سوريا حقيقيا ورائعا". ثم توجه إلى إيلي وقال له: "هذا الجنرال أمين الحافظ الملحق العسكري في السفارة".

بدا أن الأوان قد آن للشروع بمهمة التجسس الحقيقية. وفي أحد أيام تموز 1961 عقد لقاء خاطف بين أبراهام وكوهن. وفي صبيحة اليوم التالي زار إيلي حسان، وقال له أنه مل من الحياة في الأرجنتين، لقد أحب سورية أكثر من أي مكان آخر ويرغب في العودة إلى هناك، هل بمقدوره مساعدته بتزويده بكتب توصية؟ سارع حسان إلى كتابة أربع كتب توصية فورا: واحد لنسيبه في ألاسكندرونه، واثنين لأصدقاء في بيروت – أحدهما موظف بنك ذو مكانة – والرابع لإبنه في دمشق. قام إيلي بزيارة أصدقائه العرب، وسرعان ما امتلأت محفظته بكتب التزكية الحارة والممهورة بتوقيع كبار الشخصيات في الجالية العربية في بوينس أيرس.

طار كامل أمين ثابت في نهاية تموز 1961 إلى زيوريخ، ثم غير طائرته وطار إلى ميونيخ،وهناك وجد بانتظاره عميلا إسرائيليا قدم نفسه إليه باسم كزلينجر، حيث سلمه جواز سفره الإسرائيلي وتذكرة سفر إلى تل أبيب. وفي بداية آب عاد إيلي إلى بيته، وقال لعائلته: "سأقضي بضعة أشهر هنا".

كانت تلك الأشهر مخصصة لتدريبات شاقة. كان الغطاء له كعميل قد بات موجودا, فقد أصبح إيلي يمثل شخصيته الجديدة أحسن تمثيل. بدأت التدريبات على كيفية البث بالراديو مع المدرب يهودا. ولم تكد تمضي بضعة أسابيع حتى أصبح قادرا على البث والاستقبال لعدد من الكلمات يتراوح بين 12-16 كلمة في الدقيقة. وقرأ الكثير من الكتب والوثائق عن سورية، وعن جيشها، والأسلحة والوحدات السورية. لقد أصبح خبيرا في المشاكل السياسية والداخلية السورية. وفي كانون الأول 1961 طار مرة أخرى إلى زيوريخ في طريقه إلى دمشق، إلى فكي الأسد.

كان التوتر على الحدود السورية الإسرائيلية قد تصاعد بسبب الضعف الداخلي للنظام السوري. لقد انتابت سورية منذ عام 1948 سلسلة من الانقلابات العسكرية. كان الحكام السوريون الطغاة يموتون في حالات نادرة موتة طبيعية، لكنهم في الغالب كانوا يموتون على المشانق أو برصاص فرق الإعدام، أو على أيدى المغتالين.

كان الغليان متواصلا في الدولة التي تفتقر إلى الاستقرار. وفي بعض الأحيان، ومن أجل إبعاد أنظار الجماهير السورية عن المشاكل الداخلية، خلق السوريون صدامات حدودية. وكان ميدان السوق في دمشق يشهد الكثير من عمليات الإعدام العلنية. وكان الأشخاص المتهمون بأنهم جواسيس يعدمون الواحد وراء الآخر بوصفهم أعداء النظام أو كمتآمرين أو زعماء النظام السابق الذي أطيح

به. وفي الثامن والعشرين من أيلول 1961 نفذ الانقلاب الأخير الذي وضع حدا للوحدة السورية المصرية التي أطلق عليها الجمهورية العربية المتحدة.

قبل انطلاقه إلى الهدف اجتمع إيلي بزلمان الذي أعطاه عدة توجيهات دقيقة، وقال له: "جهاز الراديو خاصتك موجود في أيدي ضابط الاتصال زلينجر في ميونيخ. حال وصولك إلى دمشق سيتصل بك شخص ما،وهو أحد موظفي سلطة البث السورية،وهو أيضا مهاجر مثلك والذي سكن في سورية منذ زمن، لا تحاول بأية صورة من الصور البحث عنه، هو سيفتش عنك ويتصل بك".

عندما وصل إلى ميونيخ أعطاه زلينجر أشياء منوعة من وسائل التجسس: أوراق، حبر سري، كتب تستخدم كمفتاح للشيفرة، وآلة كاتبة، وراديو صغير زرع فيه جهاز إرسال، وجهاز كهربائي يستخدم هوائيه الكهربائي كهوائي لجهاز الإرسال، وأصابع ديناميت داخل قطع صابون، وعددا من أقراص السيانيد السامة للانتحار. بيد أن السؤال الذي طرح نفسه هو: كيف يمكن لإيلي أن يدخل كل هذه الأشياء إلى سورية التي تعتبر الرقابة الحدودية فيها متشددة؟

وأضاف زلينجر:"اشتر تذكرة للإبحار على متن الباخرة "النمسا" التي ستنطلق من جنوة إلى بيروت في مطلع كانون الثاني. وسوف يتصل بك شخص ما على متن السفينة، وسيهتم بمرورك من الجمارك السورية بسلام".

سافر إيلي فعلا على متن السفينة "النمسا"، وقد قال في شهادته فيما بعد: "بينما كنت جالسا بالقرب من مجموعة مسافرين مصريين، اقترب مني شخص وهمس في أذني: "تعال خلفي". نهضت وسرت خلفه، فقال لي أن اسمه ماجد شيخ الأرض وأن لديه سيارة، وبذلك ألمح لي أنه سيقلني إلى دمشق".

كان ماجد شيخ الأرض شخصا قصير القامة، ومغامرا دوليا، وتاجرا معروفا، ومشبوها في دمشق. كان متزوجا من يهودية مصرية، ورغم ذلك قضى أيام الحرب العالمية الثانية في ألمانيا النازية. لقد دفعته طبيعته غير المستقرة وجشعه للمال إلى أحضان المغامرة، وهكذا أصبح عميلا إسرائيليا سريا دون حتى أن يعرف ذلك. لقد اعتقد أنه يعمل لصالح جهات يمينية سورية متطرفة تعمل بالطرق السرية. وقد ساعد كامل أمين ثابت فيما بعد كثيرا. كانت أول مهام شيخ الأرض أن يضمن دخول حاجيات إيلي إلى سورية بسلام.

توقفت سيارة شيخ الأرض في العاشر من كانون الثاني 1962 وهي في طريقها من بيروت على الحدود السورية، وكانت حاجيات إيلي في حقيبتها، بما فيها جهاز الإرسال وباقي الأشياء التي تدينه، في حين جلس أيلي كوهن إلى جواره في المقعد الأمامي. وحينما توقفت السيارة على الحدود السورية قال شيخ الأرض لإيلي: صديقي أبو خلدون يعاني من أزمة مالية، ولا شك أن خمسمائة دولار يمكنها أن تحسن وضعه جدا". وبوساطة شيخ الأرض انتقل المبلغ المذكور من حافظة العميل الإسرائيلي إلى جيب أبو خلدون العامل في الجمارك السورية، وسرعان ما انفتح الحاجز وانطلقت السيارة متجاوزة الحدود، لقد أصبح إيلي كوهن داخل الأراضي السورية.

لم يكن من الصعب على إيلي كوهن الذوبان في دمشق التي تغص بالسكان والمساجد والأسواق، لكنه كان يريد عكس ذلك تماما، كان يريد أن يبرز وفي أسر ع وقت ممكن. عمد إيلي إلى استئجار فيلا فاخرة في حي أبو رمان بالقرب من قيادة الجيش السوري، وكانت واجهة الفيلا تواجه بيت الضيافة السوري الرسمي، ويحيط بها العديد من السفارات الأجنبية والمساكن الرسمية الفاخرة لرؤساء النظام وأثرياء التجار السوريين. قام إيلي فورا بتخبئة التجهيزات التي جلبها معه، وكي يحول دون خيانة الخدم، فضل أن يسكن في الفيلا وحده.

وصل إيلي كوهن إلى دمشق في ساعة مناسبة. فقد انحلت الجمهورية العربية المتحدة لتوها،وكان رؤساء الدولة الجدد والسياسيون وضباط الجيش يخشون من حدوث انقلاب ضدهم بوحي من المصريين، لذا لم يولوا أهمية لمسألة التجسس، هذا إضافة إلى أنهم كانوا يفتشون بلهفة عن مصادر قوة جديدة وأصدقاء جدد ومصادر تمويل في سورية وفي أوساط المهاجرين السوريين في الخارج، لذا كان كامل أمين ثابت المليونير والوطني المتشدد والذي جلب معه قدرا لا يستهان به من رسائل التزكية، بمثابة الرجل المناسب في الوقت المناسب.

نسج إيلي علاقاته بسرعة وفعالية، وقد فتحت كتب التزكية التي حملها أبواب الطبقات الراقية، والبنوك والأوساط التجارية التي وقع الانقلاب الذي أطاح بالجمهورية العربية المتحدة بوحي منها في التاسع والعشرين من أيلول 1961. وقام أصدقاؤه الجدد بتقديمه إلى قادة النظام، وقيادة الجيش ورجال الأعمال والنشطاء في الحزب الحاكم. وأخذ تاجران كبيران يسعيان لتزويج هذا الثري من بناتهما. وقد أسهم كامل ثابت بمبلغ كبير من أجل إقامة مأوى لفقراء دمشق. لقد مهدت مقدرته المالية الطريق أمامه إلى الزعامة السورية. ورغم ذلك حرص على عدم الاتصال أكثر مما ينبغي مع

زعماء النظام الجديد، لأن قلبه قال له: "إن هذه المرحلة ما هي سوى مرحلة عابرة، وأن بانتظار سورية هزات داخلية كبيرة في أعقاب الانفصال عن مصر".

بعد شهر من وصوله إلى دمشق زاره جورج سالم سيف المسؤول عن برنامج البث للسوريين في الخارج في راديو دمشق. كان هذا هو ضابط الاتصال الذي تحدث عنه زلمان في إسرائيل. كان سيف قد عاد إلى سورية قبل وقت قصير من عودة إيلي كوهن. وقد مكنته مكانته من تزويد إيلي بمعلومات حديثة وهامة عن الساحة السياسية الداخلية والعسكرية. كما أطلعه على التوجيهات السرية لوزير الإعلام والتي أوضحت له ما هي الأمور التي يجدر به إبرازها في وسائل الإعلام أو إخفاؤها عن أعين الجماهير. كما قابل إيلي خلال الحفلات التي كان سيف يعقدها في منزله العديد من الشخصيات الحكومية والعسكرية. ومن الجدير بالذكر أن سيف مثله كمثل شيخ الأرض لم يكن يعلم أي شيء عن الهوية الحقيقية لإيلي كوهن،وكان على قناعة بأن كامل أمين ثابت هو وطني سوري متطرف وصاحب مصالح سياسية معينة.

كان إيلي كوهن أكثر الجواسيس وحدة في العالم، دون أصدقاء حقيقيين، ودون كاتم أسرار، ودون أن يعرف فيما إذا كان في دمشق شبكة تجسس إسرائيلية أخرى أم لا . لقد كان في حاجة إلى أعصاب فولاذية كي يتمكن من الصمود في اختبار العزلة والوحدة الفظيع، وكي يلعب لعبة خطرة طيلة أربع وعشرين ساعة يوميا.

بدأ إيلي يبث لإسرائيل صبيحة كل يوم، وأحيانا يبث في المساء أيضا. وكان بثه السري يحظى بتغطية كاملة، فقد كان مكتبه موجودا بالقرب من هيئة الأركان السورية، حيث كانت تنطلق عمليات بث لا نهائية منه، و لم يكن بمقدور أية جهة أن تميز ما بين هذا البث وذاك.

لم تكن هناك أهمية كبيرة للمعلومات التي كان إيلي يبثها لإسرائيل خلال الأشهر الأولى من تواجده في دمشق. لقد نقل إلى إسرائيل معلومات حول تحركات الجيش السوري، حول المزاج السائد في أوساط الجيش وحول النزاعات الداخلية في قيادة السلطة.

تمكن كامل أمين ثابت في غضون الأشهر الستة الأولى من التغلغل عميقا في المجتمع السوري الراقي. وارتأى أنه آن الأوان للسفر إلى الخارج من أجل متابعة أعماله. وسافر إلى الأرجنتين واجتمع ببعض أصدقائه السابقين، ثم طار إلى أوروبا، ثم انحرف عن طريقه، ووصل في

ليلة صيف إلى مطار اللد، وحملته سيارة أجرة هو وهداياه الكثيرة التي حملها إلى شقته الصغيرة في بات يام حيث كانت زوجته وابنته الصغيرة بانتظاره.

وفي نهاية الخريف عاد إيلي إلى أوروبا من جديد، وبعد بضعة أيام توجه كامل ثابت إلى دمشق. وكان قد اجتمع مع مسؤوليه في أجهزة الأمن الإسرائيلية إبان تواجده في إسرائيل، واتفق معهم على أساليب نقل الصور والوثائق إليهم. وقد زوده جهاز المخابرات الإسرائيلي بكاميرا حديثة كي يتمكن من تصوير كل وثيقة هامة تقع في طريقه، وكان عليه إخفاء الفيلم في أحجار طاولة النرد. كان بمقدوره أن يفكك الصدف والعاج الذي يزين أحجار الطاولة ثم يعيد تركيبها من جديد بعد أن يخفي فيها الميكروفيلم. أرسل إيلي طاولة النرد إلى أصدقائه في الأرجنتين،ومن هناك أرسلت بالبريد الدبلوماسي إلى دمشق.

دارت أول التقارير التي بعثها إيلي بالأسلوب الجديد حول الغليان المتزايد في الجيش السوري، وتأثيره المتزايد على حزب البعث. شرع إيلي يقيم علاقات مع أعضاء حزب البعث، وأسهم بمبالغ كبيرة لصندوق الحزب. وقد أثبتت الأحداث أنه كان على حق، ففي الثامن من آذار 1963 وقع الانقلاب في سورية. وقام الجيش بالإطاحة بالحكومة وتسلم حزب البعث السلطة السورية، وأصبح الجنرال امين الحافظ – أحد أفضل أصدقاء إيلي- وزيرا للداخلية في حكومة صلاح البيطار. وفي تموز وقع انقلاب عسكري جديد داخل الحكومة نفسها، وأصبح حافظ رئيسا لمجلس الثورة ورئيسا للدولة. وحصل أفضل أصدقاء إيلي على مناصب رفيعة في الحكومة والقيادة العسكرية. لقد أصبح الجاسوس الإسرائيلي في الغرف السرية للنظام السوري. وحينها بدأ العرض الكبير.

أقيمت حفلة كبيرة في دمشق، وبدأ المدعوون يتوافدون الواحد تلو الآخر في سياراتهم الرسمية الفخمة إلى الفيلا الغارقة في الأضواء. كان تيار القادمين يبدو غير نهائي وهم يرتدون بزاتهم الفاخرة حيث يقابلهم المضيف لدى الباب: وزراء ومن ضمنهم وزير الدفاع الجنرال محمود جابر ووزير الإصلاح الزراعي وعدد كبير من الجنرالات ومن قادة حزب البعث، تجار ورأسماليون.

كان الكثيرون يلتفون حول العقيد سليم حاطوم الرجل الذي قاد قواته المدرعة إلى دمشق ليلة الانقلاب وقدم كرسي الرئاسة للجنرال حافظ والذي حضر بنفسه في ساعة متأخرة وصافح المضيف كامل أمين ثابت بحرارة. لقد جاء بصحبة زوجته متشحة بلباس رائع سبق أن قدمه لها ثابت

اعترافا بالمحبة التي يكنها المهاجرون للرئيس وزوجته. هذا ولم تكن زوجة الرئيس الوحيدة التي حصلت على هدايا من كامل ثابت، كانت مجوهرات بعض نساء الحاضرين، وسيارات بعض كبار رجال السلطة والحسابات البنكية لبعض النشطاء السياسيين الهامين هدايا من كامل ثابت.

تجمهر في إحدى الزوايا موظفون وضباط كانوا قد وصلوا لتوهم من الحدود الإسرائيلية، وكذلك مقاولون ومهندسون يعملون في المشروع السوري لتحويل نهر الأردن. وتجمهر في الممر الواسع مدراء راديو دمشق ومسؤولو وزارة الإعلام، لقد أصبح ثابت منذ فترة أحد زبائنهم، حيث اقترح عليه النظام أن يدير عدة برامج راديو موجهة إلى الخارج. وكان ثابت بنفسه يبث مقالات تحليلية سياسية واقتصادية.

كلفت الحفلة كامل ثابت مثلما هي العادة مبلغا طائلا من المال بيد أنه لم يتأثر، لقد وصل إلى قمة النجاح، ولم يعد هناك باب مغلق أمامه، فقد كان له أصدقاء جيدون في هيئة الأركان العامة السورية، كما أنه كان يشارك في الاجتماعات الهامة لحزب البعث.

أصبحت المعلومات التي ينقلها إلى إسرائيل تزداد أهمية يوما بعد يوم، وكان يبث معلومات يومية بلا نهاية في القضايا العسكرية: أسماء وطبيعة الضباط المختلفين، الأوامر التنفيذية العسكرية والكثير من المعلومات الأخرى، وأرسل إلى إسرائيل خرائط عسكرية وخصوصا مخططات التحصينات على الحدود الإسرائيلية السورية، وأرسل معلومات عن أنواع السلاح التي يستخدمها الجيش السوري وعن المشتريات العسكرية، ومقدرة الجيش السوري على استيعاب السلاح الجديد. ومن الجدير بالذكر أن ضابطا سوريا اعترف فيما بعد قائلا: "لم يكن هناك سر واحد من الأسرار الخاصة بالجيش السوري خافيا على إيلي كوهن".

كان إيلي يبث صباح كل يوم إلى إسرائيل، ولم يكن يخشى من انفضاح أمره بفضل قرب منزله من هيئة أركان الجيش السوري التي كانت تبث آلاف الرسائل يوميا، وفقط مرة واحدة فاجأه أحد أصدقائه وهو ضابط باسم زهر الدين والذي جاء لزيارته في ساعة غير مقبولة. لقد أحسن إيلي في إخفاء جهاز الإرسال بيد أن مجموعة الصفحات التي اشتملت على الشيفرة السرية في صورة مربعات كلمات متقاطعة بقيت على الطاولة. وقد سأل الضابط بفضول: "ما هذا؟ "فرد عليه كوهن ببرود: "هذه كلمات متقاطعة".

إضافة إلى البث والهدايا التي كان يرسلها بصورة دائمة إلى الأصدقاء في الأرجنتين، كانت لدى إيلي وسيلة ثالثة لنقل المعلومات إلى دمشق: راديو دمشق. فبناء على شيفرة حددت مسبقا كان يدخل في بثه كلمات وجمل كاملة موجهة إلى ضابط ارتباطه في شعبة الاستخبارات العسكرية.

بعد وقت ما قام إيلي بخطوة أخرى من أجل الحصول على معلومات سرية جدا. بدأت تروج في أوساط الجيش والقيادة السياسية شائعات تقول أن كامل ثابت يقيم في منزله حفلات ماجنة مغلقة، وأنه يدعو إلى هذه الليالي فقط الأصدقاء الأعزاء جدا والكثير من النساء الجميلات، وكانت بعضهن من المومسات وبعضهن الآخر فتيات عاديات. لقد كان كامل ثابت هو الوحيد الذي لا يفقد رباطة جأشه في هذه الحفلات.

أخذ إيلي على نفسه مسؤولية تزويد أصدقائه من كبار الشخصيات بسكرتيرات جميلات "وسخيات" في عطائهن. وكان الكولونيل سليم حاطوم أحد الأصدقاء الذين حظوا بهذه الخدمة، وكانت المحظية التي قدمها له كامل لتعمل في مكتبه تنقل إلى كامل كل كلمة يقولها الكولونيل.

كان كامل يتحدث بحماس بالغ عن قضية إسرائيل التي كان يصفها "أسفل عدو للقومية العربية"، وكان يحث الزعامة السورية على تعزيز دعايتها المضادة لإسرائيل وفتح جبهة ثانية ضد إسرائيل. واتهم زملاءه بأنهم لا يقومون بما يجب القيام به ضد الاعتداءات الإسرائيلية، وبذلك حصل على التأثير اللازم، فقد أخذه زملاؤه ثلاث مرات لزيارة التحصينات السرية على الحدود الإسرائيلية، وسمحوا له بمشاهدتها عن كثب، وجعلوه يشاهد الأسلحة الموجودة هناك، ومخططات الدفاع والهجوم، بل أن الملازم زهر الدين أخذه لزيارة في معسكر الحمة حيث وضعت كميات كبيرة جدا من الأسلحة. وخلال الزيارة الرابعة للحدود الإسرائيلية السورية كان كامل المدني الوحيد وسط مجموعة كبار الضباط السوريين والمصريين والذي كان على رأسها العسكري المصري المعروف علي عامر رئيس هيئة الأركان الموحدة للجيوش المصرية والسورية والعراقية.

في أعقاب الزيارة التي قام بها الجنرال علي عامر كلف السوريون كامل ثابت بمهمة ذات أهمية كبيرة: أرسلوه في مهمة مصالحة لزعيم البعث الكهل صلاح البيطار والذي ذهب في أعقاب الإطاحة به إلى أريحا للعلاج. سافر كامل إلى الأردن وقضى وقتا بصحبة البيطار، وعندما عاد إلى دمشق عام 1964 رافق إلى مطار دمشق أمين الحافظ الذي طار إلى باريس لتلقي العلاج، وعندما عاد الحافظ إلى دمشق بعد بضعة أيام كان كامل مرة أخرى بين المستقبلين الذين انتظروه في المطار.

أنجبت نادية عام 1963 ابنة ثانية لإيلي أسمتها إيريس, وفي تشرين الثاني 1964، وخلال زيارته الثانية لإسرائيل أنجبت له نادية ابنا أسماه شاؤول. ويقول أبناء عائلته:"تغير إيلي تغيرا كبيرا خلال الزيارة الأخيرة التي قام بها إلى إسرائيل، كان يبدو متقوقعا، عصبيا ومهموما، وفي الكثير من الحالات كان يخرج عن طوره ولم يكن يرغب في الخروج من البيت أو الاجتماع بأحد، وقال: "قريبا سأنهي عملي، وخلال السنة القادمة سأعود إلى إسرائيل، ولن أفترق عن عائلتي أبدا".

وفي نهاية تشرين الثاني قبل أولاده وزوجته وغادر إسرائيل مرة أخرى، ولم تكن نادية تعرف أن هذا الفراق الأخير.

فتحت مواقع عسكرية النار في الثالث عشر من تشرين الثاني 1964 على جرار إسرائيلي كان يقوم بالعمل في المنطقة الفاصلة بين الدولتين بالقرب من تل دان، وقد ردت المدفعية والدبابات الإسرائيلية على النار بالمثل، ولم تكد تمضي دقائق حتى دخلت الطائرات الإسرائيلية المعركة وشرعت في قصف المواقع السورية، ودمرت قنوات تحويل نهر الأردن التي حفرها السوريون، ودمرت الآلات الميكانيكية والقنوات والجرار السورية الواحد وراء الآخر، دون أن يتدخل سلاح الجو السوري في المعركة نظرا لأنه لم يكن قد تمكن من استيعاب طائرات الميج السوفييتية التي اشتراها.

بررت وسائل الإعلام العالمية الرد الإسرائيلي على العدوان العربي. لقد علق عدد من الضباط السوريين بعد بضعة أشهر على هذا الهجوم الإسرائيلي بالقول: إن إيلي كوهن كان أحد مهندسي الهجوم والنجاح الذي حققه في الثالث عشر من تشرين الثاني، والذي كان خلال الهجوم يقوم بزيارة عائلته في إسرائيل.

لقد عرف الإسرائيليون بفضل إيلي الوضع البائس لسلاح الجو السوري وعدم مقدرته على التدخل في المعارك، كما أنهم كانوا يعرفون الكثير جدا عن التحصينات السورية وعن العمليات الجارية لتحويل نهر الأردن، وكانوا يعرفون نوعية وكمية الأسلحة الموجودة في كل موقع.

شهدت الفترة الواقعة بين عام 1963-1965 أزمة شرق أوسطية حول مياه نهر الأردن، وهددت الاستعدادات التي قام بها السوريون لتحويل مياه النهر بنشوب حرب جديدة. شرعت إسرائيل في تلك الآونة في بناء خط "الناقل القطري للمياه" والذي انتهى بناؤه عام 1963. وفي تلك الفترة بدأت مؤتمرات القمة العربية تعقد والتي اتخذ خلالها قرار بتحويل مياه نهر الأردن، وبنيت على

الأراضي السورية أهم قنوات التحويل، ولم يكن أمام إسرائيل مناص من تدمير جميع الاستعدادات التي اتخذها السوريون من أجل هذا الغرض. وهنا دخل إيلي كوهن إلى الصورة، حيث كان ينقل إلى إسرائيل القرارات التي اتخذتها الحكومة السورية ومؤتمرات القمة العربية بهذا الصدد.

لقد تحدث إيلي خلال محاكمته في دمشق عن تمكنه من مصادقة المقاول السعودي بن لادن الذي تولى مهمة إعداد الأرض وحفر القنوات الأولى لمشروع التحويل السوري. وبفضل هذه الصداقة علمت إسرائيل قبل بضعة أشهر من الشروع بالمشروع بالمخطط الدقيق الذي أعد لبناء القنوات السورية والتفاصيل الفنية للمشروع، كما أنها كانت على علم تام بوسائل الحماية ومدى صمود القنوات أمام القصف الجوي، وعملت بناء على ذلك. لقد أرغمت العمليات العسكرية الإسرائيلية المتكررة ضد المشروع العرب في نهاية المطاف على التوقف عن تحويل النهر عام 1965.

وصلت رسالة تهنئة في منتصف كانون الثاني 1965 من إيلي إلى زوجته نادية في بات يام كتب فيها بالفرنسية: نادية الغالية: هذه السطور القليلة هي للتهنئة بالعام الجديد الذي آمل أن يحمل السعادة لكل العائلة، قبلاتي للأولاد ولك من أعماق قلبي". وعندما تسلمت نادية هذه الرسالة كان إيلي في سجن دمشق.

كانت المخابرات السرية في حالة طوارئ منذ بضعة أشهر، وكان الذي أصدر أمر الطواري رئيس الشعبة الفلسطينية في المخابرات السورية "طيارة". لقد لاحظ منذ صيف 1964 بأن جميع القرارات التي تتخذها الحكومة السورية في ساعات المساء أو الليل تبث صبيحة اليوم التالي في الإذاعة الإسرائيلية باللغة العربية، كما أن إسرائيل علمت ببعض القرارات السورية التي اتخذت وراء الأبواب المغلقة وبسرية تامة. كما أن طيارة ذهل جراء دقة القصف الإسرائيلي في حادثة الثالث عشر من تشرين الثاني 1964. وقد خرج باستنتاج منطقي مفاده إن إسرائيل تعرف ما يدور على الجبهة، لذا فإنها قادرة على توجيه ضربات مؤلمة إلى هذا الحد. ووصل إلى قناعة بأن هناك جاسوسا يخدم إسرائيل ويعمل في قلب القيادة السورية. ونظرا للسرعة الكبيرة في نقل المعلومات إلى إسرائيل، فقد استنتج أن المعلومات تبث باللاسلكي، بيد أن السؤال الذي كان يطرح نفسه هو: أين جهاز الإرسال.

بذلت المخابرات السورية في خريف 1964 جهودا هائلة من أجل اكتشاف مكان جهاز الإرسال بالاستعانة بتجهيزات سوفييتية حديثة بيد أن جميع الجهود التي بذلتها باءت بالفشل. وفجأة خدم الحظ السوريين.

وصلت إلى ميناء اللاذقية قبل بضعة أيام من التاريخ المذكور حمولة من أجهزة الاتصال السوفييتية الحديثة للحلول محل التجهيزات القديمة العاملة في الجيش السوري. وفي السابع من كانون الثاني 1965 جرت عملية الاستبدال. وكانت عملية الاستبدال والتأكد من فعالية التجهيزات الجديدة تتطلب وقف جميع أجهزة البث في الجيش السوري لمدة أربع وعشرين ساعة. وعندما توقفت جميع أجهزة البث التقطت أجهزة الاستقبال العسكرية السورية بثا وحيدا، بث الجاسوس الإسرائيلي.

توجهت خلايا المخابرات المجهزة بتجهيزات سوفييتية حديثة للبحث عن مصدر البث، بيد أنه توقف قبل أن يتمكنوا من تحديد مكانه. ورغم ذلك أشارت الأجهزة إلى عنوان واحد: منزل كامل أمين ثابت. علق أحد ضباط الأمن على هذا التحديد بالقول: "هناك خطأ في تحديد المكان، فلا يعقل أن كامل ثابت الذي يقول مسؤولو حزب البعث أنهم سيعملون على تعيينه وزيرا في الحكومة القادمة جاسوس". لقد كان كامل فوق الشبهات. ورغم ذلك أجرت المخابرات تجربة أخرى في ساعات المساء، وجاءت النتائج مشابهة.

كانت الساعة الثامنة صباحا من كانون الثاني 1965 عندما اقتحم أربعة من رجال المخابرات السورية الفيلا الفاخرة في حي أبو رمان في دمشق. لقد حطموا الباب واجتثوه من الأرض واندفعوا بكامل سرعتهم إلى غرفة النوم. كان الجاسوس في غرفة النوم، بيد أنه لم يكن نائما، لقد فاجأوه بينما يقوم بإرسال المعلومات الصباحية. لم يبد إيلي إية معارضة للضباط الذين أحاطوا به، وقال قائد خلية الاقتحام: "كامل أمين ثابت أنت رهن الاعتقال".

انتشر النبأ في دمشق بسرعة البرق. ولم تكن هناك كلمات قادرة على وصف حالة الذهول والدهشة التي انتابت زعماء سورية حينما تلقوا النبأ: أحد كبار مسؤولي حزب البعث، وصديق شخصي للرئيس، ومليونير ومحسن كريم هو جاسوس إسرائيلي؟ بيد أن الأدلة كانت كافية تماما: جهاز الإرسال الذي خبأه إيلي خلف أباجور النافذة في شقته، وجهاز الإرسال الاحتياطي الذي خبئ مفككا في الثرية الكبيرة الموجودة في غرفة الضيوف، والميكروفونات، والسجائر المملوءة بالمواد المتفجرة، والشيفرة السرية. أمر رؤساء السلطة بالشروع بالتحقيق بصورة جذرية. ما الذي كان كامل

يعرفه؟ وقد قدم الجنرال أمين الحافظ رئيس الجمهورية للتحقيق معه في زنزانته. ويقول الحافظ: "عندما نظرت في عينيه خلال التحقيق شعرت بشكوك هائلة في داخلي، فالرجل لم يكن عربيا أبدا. وقد طرحت عليه بحذر عدة أسئلة عن الدين الإسلامي وعن القرآن، وطلبت منه أن يقرأ علي سورة الفاتحة، لكنه توقف بعد أن قال عدة آيات، وحاول الدفاع عن نفسه بالقول أنه غادر سورية عندما كان صغيرا جدا، وأن ذاكرته تخونه. وحينها أدركت أنه يهودي".

أكمل خبراء التعذيب السوريين المهمة. وبينما إيلي ملقى في زنزانته المظلمة وأظافره مقتلعة من مكانها وفاقد الوعي، سلمت المعلومات التي استخلصت منه إلى الجنرال حافظ: الرجل ليس كامل ثابت، بل إيلي كوهن، وهو يهودي إسرائيلي.

نشرت وسائل الإعلام السورية في الرابع والعشرين من كانون الثاني 1965 نبأ مفاده أن قوات الأمن السورية ألقت القبض على جاسوس إسرائيلي هام. وقال ضابط مخابرات سوري لوسائل الإعلام:" إن إسرائيل هي الشيطان وإيلي كوهن هو رسول الشيطان".

استولى الذعر على دمشق: أحد أكثر الأشخاص الموثوقين والمقربين إلى أسرار الدولة هو جاسوس إسرائيلي. ترى هل كان وحيدا، أم أنه عمل في إطار شبكة تجسس؟ لقد اعتقلت المخابرات وقوات الأمن تسعة وستين سوريا آخرين،ومن بينهم سبع وعشرين امرأة. ومن بين المعتقلين كان ماجد شيخ الأرض، وجورج سالم سيف، والملازم زهر الدين وموظفون في وزارة الإعلام، ومومسات ونسوة لم يتم الإعلان عن هويتهن. وخلال التحقيقات التي جرت مع أربعمائة شخص آخرين كانت لهم علاقة مع إيلي برزت العديد من المشاكل. فقد اتضح أن بعض كبار المسؤولين في الجيش والاقتصاد كانوا من بين أصدقائه المقربين، ولم يكن بالإمكان المساس بهم، بل وكان يجب استبعاد أسمائهم بأي ثمن من القضية نظرا لأن أية إشارة إلى أسمائهم كانت ستخلق انطباعا بأنهم شركاء في عملية التجسس. كما أن إيلي بذل جهودا كبيرة للحيلولة دون قيام صلة بين أولئك الذين كانوا يقدمون إليه المعلومات.

عملت الرقابة العسكرية في إسرائيل على منع نشر أية أنباء عن اعتقال إيلي كوهن، وقد أملوا في إنقاذه، بيد أنه كان هناك أناس من حقهم أن يعلموا ما آل إليه مصيره. وفي أحد الأمسيات قام شخص مجهول بزيارة لأشقاء إيلي، وقال لهم: "شقيقكم اعتقل في دمشق بتهمة التجسس لصالح إسرائيل" ذهل أشقاؤه، وسارع أحدهم إلى منزل والدته وقال لها:" إمي أرجو أن تظلي قوية. لقد

اعتقل إيلي في سورية". صمتت الأم قليلا، ثم قالت: "في سورية؟ هل اجتاز الحدود خطأ؟ وعندما أوضحوا لها الأمر سقطت مغشيا عليها".

وقفت زوجته بين أولادها الثلاثة مذهولة، فرغم الشكوك التي ساورتها بشأن عمل زوجها، إلا أنها لم تكن تتخيل الحقيقة. حاول زملاء إيلي في المخابرات طمأنتها:"تعالي معنا إلى باريس فورا، سنقوم بتجنيد خيرة المحامين من أجل إنقاذه".

وصل إلى دمشق في الحادث والثلاثين من كانون الثاني جاك مرسيه الذي يعتبر أحد كبار المحامين الفرنسيين، والذي استأجرته عائلة كوهين على الصعيد الرسمي من أجل الدفاع عن إيلي، في حين أن إسرائيل قامت بتمويل المصاريف. لقد توجه إلى سورية على أمل فعل المستحيل. ويقول مرسيه فيما بعد: "لقد أدركت منذ اليوم الأول الذي قضيته في دمشق أن مصير إيلي كوهن قد حسم، وسوف يشنق، ولم يبق امامي سوى العمل على كسب الوقت إلى أبعد حد ممكن على أمل أن أعثر على الوسيلة التي تمكنني من إنقاذه".

ناضل مرسيه في البداية ضد تقديم إيلي للمحاكمة، واجتمع من أجل ذلك مع كبار شخصيات النظام وطرح أمامهم طلبه المتمثل في رؤية إيلي من أجل أخذ توقيعه على توكيله كمحام. بيد أن المسؤولين السوريين واجهوه بالرفض المطلق. وسرعان ما أدرك مرسيه أن له حلفاء في أوساط معينة في زعامة الدولة الذين كانوا ينظرون إلى الرأي العام باهتمام بالغ، وكانوا ينادون بأن يحظى أيلي بجميع الحقوق المعمول بها في المحاكمات من هذا القبيل. وقد أيدهم المتطرفون في أوساط الجيش والسلطة، وكبار أعداء حافظ الذي كان أحد أصدقاء كامل، وقد رغبوا في أن تجري المحاكمة بصورة مفتوحة وأن تتكشف الحقيقة كاملة معتقدين أن مثل هذه المحاكمة ستكشف النقاب عن فساد النظام القائم وستهز مكانته أمام الجماهير.

ووقف في الجانب الآخر من المتراس جميع الأشخاص الذين كانوا على صلة بكامل، فقد كانوا يدركون أن المحاكمة العلنية يمكنها أن تقودهم هم أيضا إلى المشنقة. وقد سعت هذه المجموعة لمنع إجراء المحاكمة والقضاء على إيلي كوهن في أسر ع وقت ممكن.

جرت المحاكمة وراء الأبواب المغلقة وقاعة دون جماهير، ولم ينشر التليفزيون السوري سوى مقاطع مختارة من تلك المحاكمة وبعد إجراء مونتاجات دقيقة لها. لم تكن هناك نيابة او محام، وعندما طلب إيلي توكيل محام للدفاع عنه، ثارت ثائرة القاضي، وقال له: "لست في حاجة إلى محام،

جميع الصحف العالمية تقف إلى جوارك، وجميع أعداء الثورة محاموك". كان القاضي هو المحقق والنائب العام والقاضي في نفس الوقت، والأسوأ من كل ذلك أنه كان صديق إيلي كوهن سابقا العقيد صلاح دالي. وقد تم تعيين سليم الحاطوم - أحد أصدقاء إيلي الحميمين - عضوا في لجنة المحلفين. وكي يتنصل من إيلي فعل كل ما بوسعه من أجل التأكيد على بعده عنه. وقد سأل الدالي إيلي: هل تعرف سليم حاطوم؟ فقام إيلي بتقليب عينيه في القاعة الفارغة ثم وجه عينيه إلى حاطوم مباشرة وقال:" لا، لست أراه في هذه القاعة". ويقول مرسيه: "لقد ضحكت دمشق كلها حينما سمعت هذا الرد، لم يكن ما يواجهه إيلي محاكمة، بل مأساة، سيرك".

أبدت كاميرات التلفزة في غرفة المتهمين فقط القليل من أصدقاء كامل ثابت: ماجد شيخ الأرض، والملازم زهر الدين، وجورد سيف. وبين المتهمات كانت هناك مومسات أخريات، ولم يعرف أحد من هن. هل هن نسوة ضباط رفيعي المستوى؟ هل هن سكرتيرات؟ صديقات كامل ورؤساء البعث؟ ترى ما هي الأسرار التي نقلها كامل إلى إسرائيل؟ لقد اتهم حقا بالتجسس، بيد أنه لم تقل كلمة واحدة طيلة المحاكمة عن الأعمال التي قام بها، أو عن فحوى المعلومات التي نقلها. إن ما لم تتمكن الكاميرا من إخفائه هو الرجفة العصبية التي كانت تنتاب صدغ إيلي الأيسر، والحركة الحادة من رأسه والتي كانت نتيجة التعذيب الذي عاناه خلال التحقيق.

تابعت إسرائيل المحاكمة بصمت مطبق، واجتمعت عائلة إيلي كوهن ليليا أمام جهاز التلفاز الذي أعير لها. وكانوا يبكون بصمت وهم يرون وجهه على شاشة التلفاز. وفي الحادي والثلاثين من آذار أعلنت المحكمة عن الحكم: الإعدام لإيلي كوهن، وماجد شيخ الأرض وزهر الدين.

فتح مرسيه جبهة نضال جديدة. وخلال شهري نيسان وآيار 1965 قام بثلاث زيارات إلى دمشق حاملا معه في كل مرة اقتراحات عملية من قبل إسرائيل. وقد أتى الاقتراح الأول في صورة صفقة: إسرائيل على استعداد لتزويد سورية بأدوية وجرارات بمبالغ كبيرة مقابل حياة إيلي كوهين. لكن السوريين رفضوا العرض، لكن رفضهم لم يكن قاطعا. واقترحت إسرائيل أن تعيد لسورية أحد عشر جاسوسا سوريا سقطوا في أيديها مقابل إيلي كوهن، لكن السوريين رفضوا هذا الاقتراح أيضا.

عاد مرسيه إلى دمشق حاملا اقتراحا سريا ثالثا أثار اهتماما لدى قادة النظام السوري، لكنهم في نهاية المطاف رفضوه أيضا. وقد قيل لمرسيه: إن صدور عفو من قبل الرئيس عن إيلي ليس أمرا مستحيلا، ووعد بأن لا يتم تنفيذ الحكم الصادر بحق إيلي قبل أن يرى مرسيه الرئيس.

خفضت المحكمة في الأول من آيار الحكم الصادر بحق ماجد شيخ الأرض، وفي الثامن من آيار تم الإعلان عن الحكم الصادر بحق إيلي كوهن على الملأ .

قامت إسرائيل بمحاولة أخيرة، وتوجهت نادية إلى السفارة السورية في دمشق وقدمت طلب عفو، وانهالت على دمشق طلبات العفو من جميع أنحاء العالم بتوقيع شخصيات معروفة مثل البابا بولس السادس، الفيلسوف برتراند راسل، وشخصيات فرنسية رفيعة، وسياسيين كنديين وإيطاليين وملكة بلجيكا، واثنين وعشرين برلمانيا بريطانيا، والصليب الأحمر، ورابطة حقوق الإنسان، وغيرهم.

في الوقت الذي كانت رسائل العفو تنهال على دمشق أعيد أيلي كوهن إلى غرفة التعذيب. ففي أعقاب نشر الحكم الصادر على إيلي، حاول الضباط من خصوم حافظ استخلاص معلومات واكتشافات جديدة من الجاسوس. وفي الثامن عشر من آيار، وتحت جنح الظلام أوقظ الحراس إيلي كوهن من نومه وألبسوه جلابية بيضاء طويلة، وأخذوه إلى ميدان السوق في دمشق. وبعد أن كتب عدة كلمات لأسرته، وتبادل كلمات قصيرة مع حاخام دمشق نسيم عندبو، علق السجانون على صدره يافطة كبيرة كتب عليها الحكم الصادر في حقه بأحرف بيضاء. والتقطت كاميرات وسائل الإعلام صورة الرجل الوحيد الذي يصعد إلى منصة المشنقة بين صفين من الجنود المسلحين.

أعدم إيلي كوهن، وطيلة ست ساعات عبرت الجماهير السورية أمام المشنقة لمشاهدة الجاسوس. وزال الصمت المطبق الذي خيم على إسرائيل فجأة وتحول إيلي كوهن إلى بطل قومي.

نعم، لقد كان الرجل جاسوسا.

الفصل التاسع

---

*منير ردفا طيار عراقي اغواه الموساد لسرقة طائرة "ميج- 21" واحضارها الى اسرائيل .

* "ميج-21 "... لؤلؤة تاج الترسانة السوفييتية وصفت بانها خطر أساسي على أسلحة الجو الغربية .

*الطائرة هبطت في اسرائيل قبل عشرة أشهر من نشوب حرب 1967 حيث ساعدت في الإعداد الإسرائيلي للحرب.

*الطائرة قادرة على التحليق على ارتفاعات عالية جدا.. وسريعة للغاية بحيث يصعب اللحاق بها في المطاردة.

* الامريكيون طالبوا برؤية الطائرة والتحليق بها لكن الإسرائيليين اشترطوا ذلك بتزويد إسرائيل بمعلومات حول صاروخ سام -2 ومطالب اخرى.

* عميت:"هذه الطائرة اسهمت إسهاما كبيرا في انتصار سلاح الجو الإسرائيلي في حرب 67 وفي تدمير سلاح الجو المصري في غضون بضع ساعات".

* منير وعائلته عاشوا في اسرائيل وضعا صعبا للغاية كانوا حزينين وبائسين ومساكين وفي النهاية غادروها الى اوروبا وعاشوا هناك كمنبوذين.

طيار عراقي
يهبط في إسرائيل
ميج -21؟ هل جننت؟

كان مائير عميت الذي خلف إيسر هرئيل في رئاسة الموساد رجلا فريدا من نوعه، كان رجلا حازما، متشددا، مركزيا يجمع العديد من الخيوط بين أصابعه، وفي نفس الوقت كان رجلا حميما، وذا سحر شخصي، وصديقا مخلصا. وقد قال لي موشيه ديان ذات مرة أن عميت هو الصديق الوحيد بالنسبة له. إن أحد أهم إنجازات عميت كان إنجازا إنسانيا حيث أصر في أعقاب حرب 1967 على إعادة سجناء فضيحة "لافون" المسجونين في مصر إلى إسرائيل في إطار تبادل الأسرى. كان أولئك السجناء هم أبطال عملية التخريب الغبية التي نفذت في القاهرة والإسكندرية في صيف 1954 وانتهت بفشل ذريع، وبوفاة شابين يهوديين، واعتقال آخرين. لقد مكث أولئك السجناء ثلاث عشرة سنة في السجن المصري، وبدا وكأن إسرائيل نسيتهم. وقد قرر مائير عميت إعادتهم إلى إسرائيل خلال المفاوضات حول تبادل الأسرى، بيد أن المصريين رفضوا الطلب بشدة.

قال موشيه ديان لعميت: "دعك من هذا الطلب، فالمصريون لن يوافقوا على إعادتهم". وأيضا رئيس الحكومة أشكول كان يحمل رأيا مماثلا لرأي ديان، لكن عميت أصر على موقفه. وفي النهاية أرسل رسالة إلى الرئيس المصري جمال عبد الناصر طلب فيها الإفراج عن المعتقلين سويية مع وولفجنج لوتس، الذي سبق أن أدين بالتجسس لصالح إسرائيل. كما واصل عميت التفاوض مع السوريين حول إعادة الأسرى، وطلب بالمقابل أن يحرر السوريون الأسرى من الجنود الإسرائيليين، ومعهم شوله كوهن -التي كان يطلق عليها في إسرائيل اسم اللؤلؤة- وهي جاسوسة أسطورية تعمل في الموساد، وقد نظمت عمليات تهجير آلاف اللاجئين اليهود من الدول العربية سرا، كما أنشأت شبكة تجسس متشعبة في لبنان وسورية.

انتصر مائير عميت في النهاية، وتم إعادة أسرى فضيحة لافون وشوله كوهن إلى إسرائيل سرا. وعميت من مواليد طبريا، ثم أصبح عضوا في كيبوتس ألونيم, وقد عمل غالبية

حياته في الجيش، حيث التحق بمنظمة الهجناه، وأصيب بجراح خلال حرب 1948، وعين قائدا للواء جولاني، ورئيسا لشعبة العمليات في هيئة الأركان، ورئيسا لشعبة الاستخبارات العسكرية، ورئيسا لشعبة هيئة الأركان واليد اليمنى لموشيه ديان في حرب سيناء.

لم تكن بداية عمل مائير عميت في الموساد ناجحة بشكل خاص، ولم يضع سابقه هرئيل فرصة دون مهاجمته. كان هرئيل قد عين في تلك الآونة مستشارا للشؤون الاستخبارية في مكتب رئيس الحكومة أشكلول، وحينها علم بدور مائير عميت والموساد في قضية بن بركة.

كان المهدي بن بركة زعيما للمعارضة في الغرب، وقد فر من بلاده وعاش في المهجر في أوروبا. كانت في تلك الآونة تقوم علاقات سرية بين إسرائيل والمغرب، بل وقام رجال الموساد بتدريب العملاء المغاربة، وتواجد ممثل للموساد بصورة دائمة في المغرب، وقام الجنرال أوفقير - وزير الداخلية المغربي- بزيارة إسرائيل عدة مرات. وفي إحدى الزيارات طلب أوفقير من مائير عميت أن يساعده في إلقاء القبض على بن بركة. لقد كان عميت والموساد ملتزمين بصورة عميقة للمغرب، وقد استجاب عميت لطلب المغاربة. اكتشف الموساد وجود بن بركة في جنيف وأغواه بالقدوم إلى باريس لإجراء لقاء في مقهى "دي ماجو" المعروف والواقع في حي سان جرمان. وقد وصل بن بركة إلى مكان اللقاء في المقهى وهناك اعتقله ضباط شرطة فرنسيون كانوا يقيمون علاقات سرية مع المغاربة.

اختفى بن بركة، ولم يتم العثور عليه حتى يومنا هذا. بيد أن الشهود الذين حقق معهم قاض فرنسي قالوا أنهم شاهدوا قادة المخابرات المغربية وهم يقتلون بن بركة، بل وقال أحدهم أن الجنرال أوفقير هو الذي طعن بن بركة. وقد قال عميت لبن جوريون: لقد قتل الرجل.

غضب الرئيس الفرنسي الجنرال ديجول جراء عملية الخطف والقتل، وأمر بسجن ضباط الشرطة الفرنسيين الذين تعاونوا مع أوفقير وجماعته. وثار غضب ديجول أكثر حينما علم أن الموساد متورط في القضية.

عندما علم هرئيل بما حدث، طالب بإقالة عميت من منصبه، لكن أشكول رفض، فقام هرئيل بالاستقالة من منصبه، وطالب بإقالة أشكول وعميت معا، وسرب القضية لوسائل الإعلام. ورغم أن الرقابة أوقفت نشرالقضية إلا أن القضية أثارت ضجة شديدة في قيادة الدولة. وتم

تشكيل لجنة تحقيق خاصة شارك فيها رئيس الأركان السابق إيجال يادين، وسكرتير الحكومة السابق زئيف شيرف، لكنها لم تجد أي خطأ من قبل عميت، ورغم ذلك لم يكف هرئيل عن مهاجمته، دون أن يعرف أن عميت عاكف في تلك الفترة على تنفيذ عدة عمليات كبيرة.، ومن بينها استيطان عملاء الموساد في كردستان العراقية.

كتب مائير عميت في مذكراته في نهاية تموز 1965: "بدأ حلمنا يتحقق، وتجسد الأمر الذي لم نكن نصدق أنه سيتجسد، لقد تمترس وفد إسرائيلي رسمي داخل معسكر الملا مصطفى، وأطلق على الوفد اسم "برقان-1". كان الوفد مؤلفا من شخصين. القائد "بريوزكه" – بني زئيف الذي اعتبر شخصية أسطورية في الجيش الإسرائيلي والموساد.

كان إرسال الوفد إلى كردستان بمثابة انجاز كبير للمخابرات الإسرائيلية، فقد أقام الموساد علاقة مع إحدى الكتل الثلاثة التي تشكل الشعب العراقي- الأكراد – الذين يخوضون نضالا متواصلا ضد النظام العراقي. كان المتمردون الأكراد يسيطرون على مساحات واسعة في كردستان، وقد ترأسهم الملا مصطفى البرزاني.

كان تحويل الأكراد إلى قوة عسكرية قوية يمكنه أن يشغل الرئيس العراقي ويحول طاقاته لمعالجة مشاكل العراق الداخلية، مما سيضعف توجهاته المعادية لإسرائيل. واعتقد الإسرائيليون أن التحالف مع الأكراد يمكنه أن يجلب لهم إنجازات لا تقدر بالذهب.

بقي "برقان-1" ثلاثة أشهر في كردستان، حيث ظل أعضاؤه ملازمين للملا مصطفى البرزاني، وكانوا يذهبون معه إلى كل مكان، وهو يشاركهم في كل شيء. لقد وضعت خلال هذه الزيارة أسس التعاون الذي تطور فيما بعد بمرور السنين، حيث قام الزعماء الأكراد بزيارة إسرائيل سرا، وقام رؤساء الموساد ومن بينهم مائير عميت نفسه بزيارة كردستان، وزودت إسرائيل المتمردين بالأسلحة وساعدتهم في مجال التدريب بل ووقفت إلى جانبهم في المؤسسات الدولية.

عندما وصل بني زئيف إلى كردستان في زيارته الأولى، أبقى زوجته جليلة التي كانت بانتظار مولود في لندن، وقد ولد ابنه "نداب" بينما والده يتجول مع البرزاني في جبال كردستان. وقد أرسل إليه "ريمون" – الاسم الحركي لمائير عميت- برقية مشفرة قال فيها:" الوالدة

والمولود في حالة جيدة. مبروك". وعندما سمع الملا البرزاني عن ولادة الطفل أخذ أربعة أحجار ووضعها كسلسلة حدود لقطعة أرض وقال لزئيفي: "هذه هديتي لابنك، وعندما يكبر بمقدوره أن يأتي ويطلبها مني في أي وقت". وفي الوقت الذي كانت فيه العلاقات آخذة في التوطد مع الأكراد شرع مائير عميت في التخطيط لإحدى عمليات الموساد الكبيرة: "عملية اللؤلؤة".

توفى عميت في السابع عشر من تموز 2009 وقد اجتمعنا معه خلال السنة التي سبقت وفاته عدة مرات في بيته في رمات جان،وقد كشف أمامنا العديد من الروايات حول الكثير من العمليات التي قام بها الموساد خلال فترة ولايته، لكنه أولى لعملية اللؤلؤة أهمية كبيرة، وبدا شديد الاعتداد بالنفس وهو يحكي عنها، فقال:

"بدأت العملية خلال اللقاء الذي جرى بيني وبين عيزر وايزمن قائد سلاح الجو آنذاك. لقد اعتدنا الاجتماع لتناول وجبة الإفطار كل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع، وقد سألته خلال أحد هذه اللقاءات: ما الذي يريده مني بوصفي رئيسا للموساد؟ فقال لي: مائير أريد طائرة ميج-21. فسألته: هل جننت؟ لا يوجد في الغرب حتى طائرة واحدة من هذا القبيل. لكن وايزمن واصل القول:" نحن في حاجة إلى طائرة ميج-21، يجب أن تبذل المستحيل من أجل الحصول على طائرة من هذا القبيل".

كلف عميت بهذه العملية رحابيه وردي – رجل عمليات قديم وبارع والذي حاول في السابق الحصول على طائرة ميج -21 في مصر وسورية. وقد قال وردي لمجلة سلاح الجو الإسرائيلية: "لقد عملنا أشهر طويلة من أجل هذا الهدف، وكانت الصعوبة تكمن في الربط بين الفكرة والجانب العملي للعملية".

بدأت هذه العملية في التقرير الذي وصل إلى يعقوب نمرودي – رئيس وفد الموساد في طهران- عن يهودي عراقي يدعى يوسف شماش والذي قال أن بمقدوره إنشاء صلة مع طيار عراقي قادر على جلب طائرة إلى إسرائيل. وشماش هو أعزب وذكي وزير نساء ويعشق حياة المتعة. وقد تلقى الضوء الأخضر للشروع بالعمل على الفكرة.

ويقول نمرودي: "لسان شماش يقطر عسلا، ولديه مقدرة إقناع غير عادية، وقد تمكن من تجنيد الطيار العراقي بأفضل الصورة المهنية الكاملة، وقد استغرقت عملية الإقناع سنة

كاملة". لقد أرسل نمرودي شماش للقيام بعدة عمليات تجسس ثانوية، فنجح فيها جميعا نجاحا باهرا، وحينها كلفه نمرودي بالعمل على جلب طائرة الميج.

كان لدى شماش عشيقة مسيحية، وكانت شقيقتها متزوجة من طيار في سلاح الجو العراقي يدعى منير ردفا وهو أيضا مسيحي. وكان شماش يعلم أن منير يشعر بخيبة الأمل والإحباط ، فرغم أنه كان طيار طائرة ميج متميزا، لم يتم ترفيعه، وأرسل رغم إرادته لقصف الأكراد في طائرة من طراز ميج -17 قديمة، الأمر الذي اعتبره بمثابة إهانة له وتقليلا من شأنه. وقد فهم خلال الحديث مع قادته أنه لن يرقى أبدا، ولن يعين قائدا لسرب بسبب كونه مسيحيا. وبناء على ذلك توصل ردفا إلى قناعة بأنه لم يعد من المجدي العيش في العراق.

أجرى شماس محادثات متواصلة مع ردفا طيلة سنة كاملة، وفي النهاية نجح في إقناعه بالتوجه إلى أثينا في نزهة. ونجح شماش في إقناع السلطات العراقية بأن زوجة الطيار تعاني من مرض في رأسها، وأن إنقاذ حياتها يتطلب أن تجري لها فحوص في الخارج، وطلب أن يرافقها زوجها منير بوصفه الوحيد في العائلة الذي يجيد الإنجليزية. وهكذا وافقت السلطات العراقية على أن يسافرا إلى أثينا وهناك اجتمعوا مع العقيد زئيف ليرون- لوندنر- وهو طيار في سلاح الجو الإسرائيلي.

وزئيف من مواليد بولندا، ويعمل رئيسا لشعبة الإستخبارات في سلاح الجو الإسرائيلي. جرت المحادثات بين ليرون ومنير على حدى. وقد قال ليرون لمنير أنه طيار بولندي يعمل في منظمة مناوئة للشيوعية. وتحدث منير عن عائلته وعن حياته في العراق وعن شعوره بالإحباط جراء تكليف قادته له بقصف القرى الكردية التي تعيش فيها في الغالب نساء وشيوخ وأطفال. لقد كان هذا التكليف بالنسبة له بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير وجعلته يفكر في مغادرة العراق.

وبناء على توجيهات الموساد انتقل ليرون ومنير إلى جزيرة يونانية هادئة، وهناك تصادق الاثنان في ظل الأجواء الهادئة. وقد سأله ليرون ما الذي سيحدث إذا غادر العراق مع طائرة؟ فرد منير عليه قائلا: "سوف يقتلونني، هذا عداك عن أن أية دولة لن توافق على استقبالي". فقال له ليرون أن هناك دولة واحدة على استعداد لاستقباله، وكشف له الحقيقة قائلا:

"أنا طيار إسرائيلي ولست بولنديا". صمت منير تماما عندما سمع ذلك. فقال له ليرون: "سنتحدث عن ذلك غدا صباحا".

وفي صباح اليوم التالي شرع الاثنان في التحدث عن الشروط والمبلغ المالي الذي سيحصل عليه منير، والذي كان متواضعا في مطالبه.

ويقول ليرون:"أعطاني مائير عميت مبلغا من المال، وقال لي أن بمقدوري مضاعفته له، لكنني لم أصل إلى هذه المرحلة، فقد وافق فورا على المبلغ الذي عرضته عليه، واتفقنا على أن تأتي عائلته معه إلى إسرائيل".

عاد الاثنان من الجزيرة اليونانية إلى روما، وكان منير قد سلم نفسيا بحقيقة أنه سيفر من العراق. اقترح ليرون أن يضم إلى اللقاء طيار جوي إسرائيلي من سلاح الجو الإسرائيلي كي يساعد منير في التخطيط في الطيران من العراق إلى إسرائيل. وبعد بضعة أيام وصل إلى روما يهودا بورات، وهو ضابط أبحاث في استخبارات سلاح الجو الإسرائيلي، والذي بدأ باستجواب منير ردفا.

ويقول بورات:"كان ردفا مؤدبا، مفكرا، ومحترما، ولم يكن ثرثارا، بل كان شجاعا ولم يكن أمامه عقبات كتلك التي يمكنك أن تجدها في أمثاله".

بلور الطرفان في روما طرق الاتصال، وتم الاتفاق على أنه حينما يسمع منير في صوت إسرائيل باللغة العربية أغنية "مرحبتين مرحبتين" يجب أن يدرك أنه آن الأوان للانطلاق. لم يكن منير يدرك أنه كان طيلة المقابلات التي جرت في روما تحت الفحص المجهري للموساد.

ويقول مائير عميت: "قررت أن آخذ انطباعا بنفسي عن الطيار قبل أن تدخل العملية في مراحلها الأخيرة، فسافرت إلى روما، وذهبت إلى المقهى الذي كان من المفروض أن يصل اليه الطيار ومرفقوه، وجلست بالقرب من نافذة قريبة وانتظرت، وحينها وصل الطيار ومن معه. وقد أحدث لدي انطباعا جيدا، فأشرت إلى مرافقه من الموساد خفية أن يجلس، وأن كل شيء على ما يرام وغادرت المكان.

أصر عميت خلال اللقاء الذي أجريناه معه أن يقرأ لنا من كتابه "رأس برأس" وصف اللقاء السري الذي رأه مع الطيار وزملائه: "العاشق اليهودي كان ينتعل نعلا بيتيا بسبب إصابة قدمه بجرح، وكانت عشيقته سمينة وشبه قبيحة، ولا أدري ما الذي وجده فيها كي يعشقها، واللؤلؤه –وهو الاسم الشيفري الذي أطلقه الموساد على منير – رجل قصير القامة، وقوي البنية، عريض الصدر، وعلى وجهه نظرة جدية، ولم تكن المجموعة تعرف أنها تجتاز اختبارا".

وقال عميت لنا: "أنه شعر بأن بالإمكان الاعتماد على الطيار، وحينها فقط أعطى الضوء الأخضر لرحابية وردي- المسؤول عن العملية -للدخول في المرحلة النهائية للفرار. لكن فجأة ظهرت عقبة كادت أن تشوش العملية كلها. كان من المفروض أن يطير ليرون ومنير من مطار أثينا إلى إسرائيل، بيد أن منير صعد خطأ على طائرة متجهة إلى القاهرة بدلا من تل أبيب، وعندما أصبح ليرون في الطائرة اكتشف أن منير ليس من ضمن الركاب.

ويقول ليرون: "كدت آكل نفسي من الغيظ ، كنت واثقا من أن كل شيء فشل، وبعد لحظات بدا منير في الطائرة، واتضح أن مضيفي الطائرة المصرية عدوا الركاب فوجدوا أن هناك راكبا زائدا، ففحصوا التذاكر ووجهوه إلى الطائرة المتجهة إلى تل أبيب.

مكث منير في إسرائيل يوما واحدا فقط حيث تم تدريبه على الرحلة الجوية التي يعتزم القيام بها. كما علمه الموساد كيفية الكتابة بالحبر السري، وتجولوا معه في شارع اللنبي، وفي المساء أخذوه إلى مطعم في يافا ومنحوه إحساسا بيتيا.

ويقول عميت: "كانت هناك لحظة في العملية كدت أن أصاب خلالها بسكتة قلبية، فقبل بضعة أيام من تنفيذ العملية أعلن الطيار عن أثاث بيته للبيع. ولنتخيل ما معني أن يعلن طيار عن نيته بيع أثاث منزله؟ لقد خفت من أن يكتشف جهاز الأمن العراقي الأمر، ويحقق معه ويعتقله وتذهب جميع الجهود التي بذلناها أدراج الرياح. لكن حسن حظنا شاء أن لا يلاحظ جهاز الأمن العراقي الأمر، ومرت عملية بيع أثاثه بسلام ولم يعتقل."

كانت هناك مشكلة أخرى تتمثل في كيفية إخراج أقارب منير من العراق أولا إلى بريطانيا ثم إلى الولايات المتحدة. كان لديه عدة أخوات وأنسباء والذين كان عليهم أن يحزموا حقائبهم وأن يطيروا خارج العراق قبل يوم فراره الذي بدأ يقترب. كما تم الاتفاق على نقل عائلته

إلى إسرائيل. ولم تكن زوجته تعرف شيئا عن الأمر، فقد خشي زوجها أن يقول لها الحقيقة، لكنه تحدث معها حول المكوث فترة طويلة في أوروبا. وحقا كان رجال الموساد بانتظارها في أمستردام ومن هناك نقلوها مع ابنيها إلى باريس.

ويقول ليرون:" استقروا في شقة صغيرة ذات غرفة وسرير زوجي، وعلى هذا السرير، كشفت لها النقاب في الليلة التي سبقت السفر إلى إسرائيل أنني إسرائيلي، وأن زوجها سيصل غدا إلى إسرائيل وأننا أيضا سنطير إلى هناك".

وفي التقرير الذي قدمه ليرون إلى مسؤوليه عن تلك الليلة قال:" كان رد فعلها صعبا للغاية، فقد بكت وصرخت طيلة الليل، وقالت إن زوجها خائن، وأن خيانته لها وللعراق، وأن إخوتها سيقتلونه عندما يعلمون ما فعله. وأرادت الذهاب إلى السفارة العراقية في باريس كي تروي لهم ما يعتزم فعله. كانت طيلة الليل تصرخ وتبكي، وحاولت أن أهدئها وقلت لها: "إذا أردت أن تريه فيجب أن تأتي معي إلى إسرائيل"، وقد أدركت أنه لا مناص أمامها، وهكذا صعدت إلى الطائرة المتجهة إلى إسرائيل بأعين منفوخة وطفل مريض".

وصلت رسالة مشفرة من منير في السابع عشر من تموز 1966 قال فيها ان موعد قدومه قد اقترب، وفي الرابع عشر من آب انطلق، بيد أن عطلا كهربائيا في الطائرة اضطره للعودة بها إلى مطار الرشيد.

ويقول مائير عميت: "اتضح فيما بعد أن العطل لم يكن خطيرا فقد امتلأت الطائرة بالدخان بسبب احتراق سلك، ولا شك أنه لو واصل طيرانه لوصل إلى هدفه دون صعوبة، بيد أنه لم يرغب في المخاطرة وعاد إلى القاعدة".

انطلق منير بعد يومين بطائرته مرة أخرى، وحرص على التحليق في المسار المتفق عليه. كانت الرادارات الإسرائيلية تحدد المكان الدقيق للطائرة الأجنبية التي تقترب إلى إسرائيل. وفي الساعة الثامنة صباحا، أي بعد خمس وستين دقيقة بعد أن غادر بغداد هبط بطائرته في قاعدة سلاح الجو الإسرائيلي في حتسور. وقام الطيار ران فقر – وهو أحد الطيارين الذين رافقوا منير في المرحلة الأخيرة من الرحلة- بإرسال تقرير أفاد فيه : "إن الضيف قلل من سرعته، وأشار لي بأصبعه حول نيته الهبوط، ويحرك جناحيه الأمر الذي يعني أن نواياه سلمية".

وهكذا هبطت الطائرة بعد سنة من بداية العملية، وقبل عشرة أشهر من نشوب حرب 1967 في قاعدة حتسور. لقد هبطت الطائرة التي كانت تعتبر لؤلؤة تاج الترسانة السوفيتية، والتي وصفت بأنها خطر أساسي على أسلحة الجو الغربية. لقد أصبحت في إسرائيل.

هبط منير مهموما ومشوشا، وأخذ فورا إلى منزل قائد القاعدة الجوية في حتسور، حيث أقيمت حفلة على شرفه. لقد احتفل ضباط القاعدة بوصول الطائرة إلى القاعدة بغض النظر عن مشاعر منير بهذا الشأن. ويقول مائير عميت: "فوجئ منير في البداية من الحفلة، وبدا وكأنه يشارك في حفلة زواج لا يعرف أصحابها، لذا تقوقع على نفسه وصمت".

وبعد استراحة قصيرة، وعندما بات واضحا أن زوجته وأبناءه أصبحوا على متن طائرة العال الإسرائيلية في طريقهم إلى إسرائيل تم أخذ منير إلى مؤتمر صحفي والذي أشار خلاله إلى التمييز العنصري الذي يمارس ضد المسيحيين، وتحدث عن عمليات القصف التي يقوم بها سلاح الجو العراقي للأكراد، وأن هذه الأسباب مجتمعة هي التي دفعته لاتخاذ قرار الفرار بالطائرة إلى إسرائيل.

وفي نهاية المؤتمر الصحفي سافر منير إلى هرتسيليا للاجتماع بعائلته. وقد كتب عميت في كتابه: "حاولنا أن نهدأ روعه، ونشجعه ونهنأه على العملية الممتازة. ووعدته بأننا سنبذل قصارى جهدنا كي نعيد تأهيله وتأهيل عائلته. لكنني في الحقيقة كنت خائفا من عملية تأهيل عائلته، لأنني كنت أعرف أنها ستثير لنا المشاكل".

لم يكد يمضي يومان من وصول منير وعائلته إلى إسرائيل، حتى هبط في إسرائيل شقيق الزوجة الأكبر ومعه يوسف شماش وعتشيقته كميل. كان شقيقها ضابطا في الجيش العراقي، وقد بدا مهموما حيث قيل له أن شقيقته مريضة للغاية ويجب أن يزورها على وجه السرعة في أوروبا، لكنه لم يتوقع أن يصل إلى إسرائيل. وقد انفجر غاضبا على منير، ووصفه بالخائن، وهاجمه وضربه. واتهم شقيقته بأنها كانت على علم بالأمر وشريكة في الجريمة، ولم يفدها نفيها شيئا، وطلب أن يغادر إسرائيل فورا، وبعد بضعة أيام كان قد غادرها.

كان داني شبيرا – وهو طيار مقاتل متميز- أول من قاد طائرة الميج -21. وقد اتصل به قائد سلاح الجو الإسرائيلي موطي هود وقال له: "ستكون أول طيار غربي في العالم يقود

طائرة ميج -21، يجب أن تبدأ في دراسة الطائرة، قدها بأقصى سرعة ممكنة واستق العبر والجدوى".

توجه شبيرا للقاء منير،ويقول: "تقابلنا في هرتسيليا بعد بضعة أيام من وصوله وعندما عرفوه علي وقف صامتا، ثم اجتمعنا في قاعدة حتسور بالقرب من الطائرة، حيث أطلعنا على العديد من مزايا الطائرة وقرأ لي الكتابة على الأجهزة باللغتين العربية والروسية، ثم قلت له أنني أعتزم أن أطير بالطائرة، فبدا مذهولا، وقال لي: "لكنك لم تجتز دورة طيران عليها". فقلت له: "إنني طيار تجارب، فبدا قلقا وطلب أن يكون بالقرب من المكان عندما أحلق بالطائرة فوعدته بفعل ذلك".

في أعقاب الطلعات التجريبية أدرك سلاح الجو الإسرائيلي لماذا طائرة ميج-21 تعتبر تهديدا على الغرب. فهي طائرة قادرة على التحليق على ارتفاعات عالية جدا، وسريعة للغاية، بحيث يصعب اللحاق بها في المطاردة، حيث كان وزنها يقل عن وزن طائرات ميراج التي يستخدمها سلاح الجو الإسرائيلي بطن.

تركت عملية تهريب الطائرة اصداء واسعة في شتى أنحاء العالم، وقد ذهل الأميركيون من تمكن إسرائيل من تهريب الطائرة، وفي غضون أيام معدودة جاء طاقم أميركي كبير طالبا التحليق بالطائرة من أجل فحص خصائصها، لكن الإسرائيليين اشترطوا ذلك بسلسلة من المطالب وعلى رأسها تزويد إسرائيل بمعلومات حول صاروخ سام -2، وقد قام الطيارون الأميركيون بالتحليق بالطائرة.

إن حصول إسرائيل على الطائرة قبل حرب 1967 ساعد في الإعداد الإسرائيلي للحرب. ويقول مائير عميت :"لقد أسهمت معرفة هذه الطائرة إسهاما كبيرا في انتصار سلاح الجو الإسرائيلي على أسلحة الجو العربية خلال الحرب، وخصوصا في تدمير سلاح الجو المصري في غضون بضع ساعات".

لقد أخذ رجال الموساد النصر وأكاليل الغار لأنفسهم في هذا القضية بيد أن منير وعائلته هم الذين دفعوا الثمن، وتقول شخصية رفيعة في الموساد: "في أعقاب وصوله إلى إسرائيل عاش منير وعائلته وضعا صعبا للغاية، كانوا حزينين، وبائسين ومساكين. إن محاولة

إعادة تأهيل عميل هي مهمة مستحيلة. وكان منير يشعر أنه محبط بسبب عائلته الكبيرة، والتي تدمرت كلها". لقد حاول منير طيلة ثلاث سنوات التأقلم في إسرائيل، وبدأ يطير على طائرات من طراز دكوتا التابعة لشركة خط تل أبيب أبو رودس. كانت عائلته تسكن في تل أبيب تحت غطاء لاجئين إيرانيين، بيد أن زوجته التي كانت كاثوليكية متعصبة لم توافق على مواصلة العيش في إسرائيل، ووجدت صعوبة بالغة فلي العثور على أصدقاء وشعرت أنها منبوذة.

غادرت عائلة منير إسرائيل إلى إحدى الدول الأوروبية تحت هوية مستعارة، وهناك أيضا بقيت دون عائلة وأصدقاء تحيط بهم مجموعة من رجال الأمن المحليين، وكانت العائلة تشعر بأنها مهددة ومعزولة وخائفة من اليد الطويلة للمخابرات العراقية. وفي آب 1998 توفي منير ردفا بسكتة قلبية.

وبعد ثلاث وعشرين سنة من فرار منير ردفا إلى إسرائيل، انطلقت طائرة ميج -23 من طراز "أم.أل.دي" من قاعد سورية يقودها الرائد باسم عادل، وقد اجتازت الحدود الإسرائيلية بسرعة ألف ومائتي كيلو متر في الساعة بعد أن أغلقت جميع أجهزة اتصالها وعلى ارتفاع منخفض جدا يصل إلى خمسين مترا كي لا تلتقطها الرادارات، وبعد دقائق معدودة هبطت في مطار مجيدو العسكري الإسرائيلي. لقد أدى فحص الطائرة لمعرفة أنها لم تكن تحمل صواريخ، بل مسلحة بمدافع فقط. مثل عادل أمام مسؤولي سلاح الجو الإسرائيلي وقال أنه أراد الفرار إلى إسرائيل. وقد تم فحص الطائرة الجديدة وفي النهاية احتلت مكانها في متحف إسرائيل.

الفصل العاشر

---

*" قاتل ريجه".. نازي من لاتافيا مسؤول عن قتل ثلاثين ألف يهودي وقتل مئات اليهود المعتقلين بعيارات البنادق أو المسدسات ونكل باليهود المتدينين.

* تسوكورس فر الى فرنسا وأخذ معه "شهادة تأمين"غريبة: يهودية شابة تدعى مريم والتي بدأت تزكيه لدى الكثيرين بوصفه الرجل الذي أنقذها.

*الموساد خطط لاعتقال تسوكورس واستدرجه إلى مونتبيداو وتحولت عملية إلقاء القبض عليه إلى معركة دموية فقد فيها حياته بطريقة فظيعة.

*الموساد وضع جثة تسوكورس في صندوق وارفق معها رسالة تقول: "نظرا للتهم الخطيرة ضد تسوكورس ونظرا لمسؤوليته الشخصية عن قتل ثلاثين ألف شخص من الأولاد والشيوخ والنساء وإزاء الوحشية الفظيعة التي أبداها في تنفيذ جرائمه قررنا إصدار حكم الإعدام ضده".

"يجب أن نقتل أحد
كبار المجرمين النازيين"

ترجل رجل أصلع، سمين يناهز الخامسة والأربعين من العمر في أحد أيام شهر أيلول 1964 من القطار في محطة القطارات المركزية في روتردام في هولندا. كان يضع نظارة شمسية على عينيه وقد بدا شاربه ينمو. كان قادما في القطار السريع من باريس، وحال وصوله بدأ عملا سريعا وغريبا جدا. لقد سجل اسمه في فندق "رينهوتل" في مركز المدينة باسم أنطوان كينتسله، رجل أعمال نمساوي. ومن هناك انطلق إلى فرع البنك القريب وطلب تسجيل صندوق بريد على اسمه، ثم فتح حسابا في بنك "أمرو" وهو بنك هولندي محترم وأودع ثلاثة آلاف دولار، وطلب ورق كتابة وبطاقة زيارة باسم كينتسله مدير شركة استثمارات في روتردام، وملأ استمارة طلب فيزة إلى البرازيل وأجرى فحوصا طبية، وفحوص أعين، وطلب عدسات مكبرة ذات زجاج سميك رغم أنه لم يكن في حاجة إليها أبدا، وقام بزيارة سريعة لزيوريخ وفتح حسابا أيضا في البنك السويسري كردي سويس، وأودع هناك ستة آلاف دولار نقدا، ثم عاد إلى باريس حيث قام بتركيب شارب كثيف لنفسه، ثم التقط صورا وأخذها وعاد إلى روتردام حيث قام موظف برزيلي بإلصاقها على طلب الفيزة. ثم اشترى بطاقة طيران إلى ريودي جانيرو في البرازيل مع الاستمرار من هناك إلى ساو باولو ومونتبيداو في الإرجواي.

وفي كل مكان قام بزيارته تحدث في صورة ثرثرة عن أعماله وصفقاته في النمسا، والفنادق الفاخرة التي حل فيها، والمطاعم المختارة التي تناول طعامه فيها. لقد كان كينتسله حقا رجل أعمال ثريا وناجحا.

لقد بنى عميل الموساد يعقوب (ميو) ميدد بأعماله الروتينية لنفسه رواية تغطية حصينة، وفي الطريق ما بين باريس وروتردام وزيوريخ تلاشى ميو ميدد واختفى، وظهر بدلا منه شخص جديد ذو عنوان في روتردام، وحساب بنكي، وبطاقة زيارة، وفيزة وبطاقة طيران إلى البرازيل يدعى أنطوان كينتسله، رجل أعمال.

لقد دعي ميو –رجل شعبة عمليات الموساد- قبل يوم واحد- أي في الأول من أيلول- إلى غرفة آمنة في حي فرساي الباريسي، حيث كان بانتظاره رئيس وحدة "قيسارية" يوسكه يريف وشخص آخر من أعضاء الوحدة يدعى مردخاي روتم – اسم مستعار. كان ميدد وروتم يتوقعان أن يكلفهما يوسكه بمهمة ما، لكنهما لم يكونا يتخيلان ما الذي سيتحدث معهما عنه. استهل يوسكه حديثه بالقول:" إن برلمان ألمانيا الغربية سيجري في غضون عدة أشهر تصويتا حاسما على قانون تقادم الجرائم النازية. وإذا ما تم التصويت فعلا فسوف يندفع آلاف المجرمين النازيين من الجحور والمخابئ التي يختبئون فيها حتى الآن وسيصبح بمقدورهم العودة إلى الحياة العادية وكأنهم لم يرتكبوا أية جرائم من قبل. الكثير من الألمان يتطلعون لطي صفحة الماضي وترك المرحلة النازية المظلمة خلفهم. كما أن دول العالم ليست تواقة للتفتيش عن المجرمين النازين وتقديمهم إلى المحاكمات. لقد تضاءل اهتمام العالم منذ محاكمة إيخمان في إسرائيل وإعدامه بالمجرمين النازين، وكأن إعدامه أنهى فصلا من فصول التاريخ. ومن الضرورة أن نعمل على إيقاظ الرأي العام العالمي وأن نحاول منع المصادقة على قانون التقادم على جرائم النازيين".

كان لدى يوسكه فكرة أيضا حول كيفية فعل ذلك،وقال لروتم وميدد: "يجب أن نعمل على تصفية احد كبار المجرمين النازيين". لقد تمكن أحد عملاء الموساد الموجودين في أميركا الجنوبية من العثور عليه بصورة مؤكدة، وهو المجرم المسمى "قاتل ريجه" وهو نازي من لاتافيا مسؤول عن قتل ثلاثين ألف يهودي، وهو يسكن في البرازيل باسمه الحقيقي هربرت تسوكورس، وقد صادق رئيس الموساد مائير عميت على العملية بسبب الجرائم الفظيعة التي ارتكبها.

توجه يوسكه لميو، الذي كان من مواليد ألمانيا وقد قتل والداه في المحارق. وكان يعرف أيضا أن ميدد كان من بين أوائل المتطوعين للجيش البريطاني خلال الحرب العالمية عندما توجهت بريطانيا لمحاربة هتلر. لقد اقترح عليه يوسكه أن يبني لنفسه قصة تغطية نمساوية والسفر إلى البرازيل من أجل مراقبة تسكورس، والاتصال به واكتساب ثقته. ستكون هذه هي الخطوة الأولى توطئة لإعدام القاتل النازي. واقترح على ميدد اسمه الجديد:أنطوان كينتسله.

بعد عشرة أيام من اللقاء المذكور في باريس طار انطوان كينتسله إلى البرازيل. كان متأثرا إزاء المهمة التي كلف بتنفيذها، حيث لم يسبق له أن قام بمهمة من هذا القبيل. كان عليه العمل وحده في بلاد غريبة ويقوم بمحاولة لمصادقة هذا المسخ، ولا شك أن للمسخ مشاعر مرهفة وحادة تتوقع أن يقوم شخص مثله بمحاولة لتصفيته. لقد أدرك كينتسله أن أي خطأ يمكنه أن يحبط العملية كلها، وربما تكلفه حياته.

تصفح كينتسله قطعا من الصحف وهو في طريقه إلى البرازيل تحدثت كلها عن هربرت تسوكرس. كانت روايته مذهلة، وتثير الاشمئزاز. لقد اشتهر تسوكرس في الثلاثينات بوصفه طيارا متميزا وصادقا. وسبق له أن طار من لاتافيا إلى جامبيا الأفريقية في طائرة خاصة قام هو ببنائها بنفسه، وحصل على وسام دولي. وكان الكثيرون يصطفون في الطابور أمام متحف الحرب من أجل مشاهدة الطائرة التي عبر بها تلك المسافة. وكان تسوكورس قومي لاتافي متطرف، إضافة إلى أنه كان يصادق العديد من اليهود،وزار إسرائيل وعاد مليئا بالإعجاب بالعمل الصهيوني الاستيطاني، وألقى محاضرات أمام الجماهير حول تأثره وانطباعاته من أرض إسرائيل، وكان أصدقاؤه اليهود يشعرون بالارتياح تجاهه.

لكن عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية تغيرت الأمور بصورة فجائية، فقد احتل السوفييت في البداية لاتافيا، وسرعان ما جعلوا اللاتافيين يكرهونهم، حيث طاردوا القوميين المتطرفين الذين كان تسوكورس منهم بشكل خاص، لكن السوفييت منوا بهزيمة، واضطروا للتراجع داخل الاتحاد السوفييتي في أعقاب اجتياح هتلر لبلادهم، واحتل الجيش الألماني لاتافيا.

طرأ تغيير جذري على تسوكورس، وبوصفه أحد رؤساء المنظمة الفاشية "بركونسكروست" - صليب الرعد- والذي تطوع لخدمة النازية، فقد أصبح القاتل السادي المتوحش ليهود ريجه، ولم يكتف بإصدار الأوامر لقتل اليهود، بل قام بقتل يهودا بيديه وبجميع الطرق الممكنة. وفي البداية قام هو وجنوده بدفع ثلاثمائة يهودي في كنيس محلي وأحرقوها، ولم يسمحوا بنجاة أحد منهم، وبدأ يعتقل اليهود هو ورجاله، وكان يضرب البعض منهم بعقب مسدسه حتى الموت، وقتل مئات اليهود المعتقلين بعيارات البنادق أو المسدسات ونكل باليهود المتدينين، وأطلق النار على الأولاد والكهول، وحطم رأس طفل. وفي إحدى المرات أرغم فتاة يهودية على

التعري أمام مجموعة من الأسرى اليهود واليهوديات ثم أرغم حاخاما كهلا على التحرش بها وسط ضحكات الحراس اللاتافيين. وخلال الصيف أشرف على إغراق 1200 يهودي في بحيرة كولديجه، وفي تشرين الثاني 1941 قاد ثلاثين ألفا من يهود ريجه إلى جزيرة القتل في غابة رومبوله، وهناك قام الجنود النازيون بخلع ملابسهم عنهم ثم قتلهم.

شعر كينتسله بالغضب الشديد جراء الشهادات التي أدلى بها بعض اليهود الذين نجوا بأعجوبة ووصفوا المذابح المتواصلة التي نفذها تسوكورس ضد يهود مدينته.

في نهاية الحرب فر تسوكورس إلى فرنسا بأوراق مزورة لمزارع، ومن هناك أبحر إلى ريودي جانيرو، وأخذ معه "شهادة تأمين" غريبة: يهودية شابة تدعى مريم كيتسنر والتي دافع عنها خلال الحرب، والتي بدأت تزكيه لدى الكثيرين بوصفه الرجل الذي أنقذها.

أقام تسوكورس في ريودي جانيروا علاقات صداقة مع الكثير من اليهود البرازيليين، واعتاد أن يروي لأصدقائه الجدد رواية مريم المذهلة: "ألقى النازيون القبض عليها في لاتافيا، وكانت ستقتل بالتأكيد، لكنني تمكنت من إنقاذها مع تعريض حياتي للخطر". ولا شك أن منقذ يهود وبطل كهذا لا يأتي كل يوم إلى ريودي جانيرو، لذا بذل يهود البرازيل كل ما بوسعهم من أجل أن يثبتوا لهذا اللاتافي الشجاع إلى أية درجة يقدرون عمله النبيل.

كان الوضع على هذا النحو حتى شرب اللاتافي الشجاع نبيذا ذات ليلة أكثر مما ينبغي، لقد تحدث عن اليهود هذه المرة أيضا بيد أنه وصفهم بالخنازير وحثالة الجنس البشري، وتحدث بحماس عن الطرق التي ذبح بها يهود أوروبا، وعن اليهود الذين أحرقوا أحياء، وأغرقوا، وقتلوا رميا برصاص المسدسات والبنادق، والذين ضربوا حتى الموت. لقد أثارت هذه الأقوال الكثير من التساؤلات لدى يهود البرازيل: من هو هذا الرجل الذي يعرف خبايا جرائم النازية؟ وشرعوا بالتحقيق، والبحث، وعندما عرفوا النتائج، أصيبوا بذهول تام.

وعندما انكشف الوجه الحقيقي له أمام يهود ريودي جانيرو، سارع تسوكورس للاختفاء، لكنه لم يغادر المدينة بل انتقل إلى حي آخر بعيد، وتخلى عن مريم كيتنسر حيث لم يعد في حاجة إليها. وقامت هي بالزواج من يهودي محلي وانخرطت في المجتمع البرازيلي. وكذلك تسوكورس تزوج وأنجب ثلاثة أولاد.

مرت عشر سنوات، واصبح تسوكورس مديرا محترما لشركة سيارات أجرة. بيد أن المنظمات اليهودية اكتشفت مكانه صدفة، وقرروا هز الرأي العام عبر القيام بمظاهرة احتجاجية. وقام الطلبة اليهود بمهاجمة مكاتب الشركة، وحطموا الأثاث ومزقوا الوثائق، وكسروا النوافذ. وقد أخذ تسوكورس زوجته وأبناءه وفر من ريودي جانيرو إلى ساو باولو.

ورغم أن إنسانا لم يتعرض له بأذى في مقره الجديد إلا أنه كان يشعر أنه لم يخرج من دائرة الخطر، بل على العكس كانت المخاوف تطارده وتقض مضجعه. وفي حزيران 1960 – أي بعد أيام معدودة من اختطاف أدولف إيخمان- توجه تسوكورس إلى مكتب الشرطة في ساو باولو وطلب حماية الشرطة. ورغم أن الشرطة استجابت لطلبه، إلا أن النبأ نشر في وسائل الإعلام ووصل إلى أقارب ضحاياه في أنحاء العالم فعرفوا أين يقيم.

ازدادت مخاوف تسوكورس بمرور الأيام وكشف النقاب لزوجته وأولاده عن أن من المحتمل أن يقوم الضحايا أو أقاربهم بالعمل على قتله، وعمد إلى إعداد قائمة بأسماء أعدائه الخطرين، والذين كانوا من اليهود البرازيليين ممن كانوا يحتلون مناصب مركزية، ومن ضمنهم الدكتور أهارون شطينبروك، سناتور، الدكتور ألفرد جرتنبرج، الدكتور ماركوس كونستنتينو، الدكتور إسرائيل سكولنيكوف، والسيد كلينجر والسيد بايرتسكي.

لقد بنى تسوكورس منزله كحصن وحظي بحماية الشرطة السرية، على ما يبدو مقابل رشوة كبيرة. وقام بعدة صفقات في ساو باولو بيد أنه لم ينجح فيها. وكان عنوانه الأخير الذي سلم الى كينتسله هو مرفأ زوارق بالقرب من بحيرة صناعية على مداخل ساو باولو. لقد اعتاد تسوكورس تأجير الزوارق، كما كان يقوم بجولات جوية مع السياح في طائرته البحرية.

أدرك كينتسله أن ظهوره بالقرب من تسوكورس سيثير الشكوك، لذا فضل الأسلوب غير المباشر. لقد قضى في البداية عدة أيام في ريو دي جانيرو، وتمتع بالمناظر الجميلة والبحر والنساء على الشاطئ، وقام بدور السائح العادي من جميع النواحي، وتصادق مع عدة شخصيات ومن ضمنهم وزير السياحة المحلي، وقدم له نفسه على أنه رجل أعمال يحب الاستثمار في البرازيل.

توجه كينتسله إلى ساو باولو وعثر بسرعة على مرفأ تسوكورس، وشاهد الطائرة البحرية القديمة القابعة بجوار زوارق المتعة، وشاهد بجوار الطائرة رجلا طويل القامة قوي الجسم يرتدي ملابس الطيارين، كان ذلك هو تسوكورس. توجه كينتسله إلى الشابة الألمانية الجميلة التي كانت تبيع بطاقات النزهات لزوارق تسوكورس وطلب منها أن تشرح له الوضع السياحي في المنطقة، ولم يكن يعلم أن الفتاة هي زوجة أحد أبناء تسوكورس، وقد اعترفت له بأنها ليست خبيرة بشؤون السياحة، وأشارت إلى تسوكورس وقالت: "توجه إليه وهو الذي سيفيدك".

توجه كينتسله إلى تسوكورس وقدم نفسه إليه على أنه مستثمر نمساوي. نظر إليه تسوكورس بشك ونفاد صبر، بيد أن كينتسله بدأ يمطره بالأسئلة المهنية وتسوكورس يرد عليه ردودا مقتضبة دون رغبة، بيد أنه أصبح لطيفا جدا عندما طلب منه كينتسله القيام برحلة جوية في سماء ساو باولو، وفي غضون عدة دقائق وجد كينتسله نفسه بين السماء والأرض في طائرة إلى جوار القاتل من ريجه. كان كينتسله يجيد كسب الناس، لذا في نهاية الجولة دعاه تسوكورس إلى سفينته لتناول كأس من النبيذ. وبينما هما يتناولان الخمرة انفجر تسوكورس فجأة بغضب ضد التهم الموجهة ضده والتي تصفه بأنه مجرم نازي، وقال: "لقد أنقذت يهودية خلال الحرب". وبدا لكينتسله أن انفجار تسوكورس ما هو سوى محاولة لمعرفة رد فعله. وسأله تسوكورس: "هل خدمت خلال الحرب العالمية؟" فقال كينتسله:" نعم، في الجبهة الروسية"، بيد أن لهجته قالت عكس ذلك.

أجرى كينتسله خلال الجلسة تقديرا للوضع: كان تسوكورس في وضع اقتصادي صعب. كانت ملابس الطيار القديمة، والطائرة القديمة، والصيانة البائسة للزوارق، تدل على مستوى حياة متدني. لذا يجب أن يبدو في أعين تسوكورس وكأنه فرصته الوحيدة للخلاص من وضعه الاقتصادي الصعب، وكشخص قادر على جلب مكاسب كبيرة له. لذا أكثر من الحديث عن شركته، وشركائه، وعن مخططاته الطموحة لاستثمار مبالغ كبيرة في السياحة في أميركا الجنوبية، وألمح لتسوكورس إلى رغبته في إدخاله في مخططاته نظرا لأنه على معرفة بطبيعة السياحة في البرازيل.

أصغى تسوكورس باهتمام، لكن كينتسله نهض فجأة وقال: "لست أرغب في أن إضايقك كثيرا، فلديك الكثير من العمل". رد تسوكورس قائلا: "لا"، واقترح على كينتسله أن يأتي إلى بيته في يوم من الأيام بعد العمل لمناقشة هذه القضية المشتركة".

بدأت الصلة، ورمى كينتسله الطعم، ولم يبق سوى دفع تسوكورس لابتلاعه. أرسل كينتسله في نفس الليلة برقية الى يوسكه أعلمه فيها بالتقدم الذي أحرزه، ولأول مرة استخدم الاسم الذي أطلقه ياريف لتسوكورس: المرحوم.

جلس تسوكورس في نفس الليلة أيضا لكتابة شيء ما، فقد اضاف إلى أسماء أعدائه اسما جديدا: أنطون كينتسله.

وصلت سيارة أجرة بعد أسبوع إلى حي ريفيره في ساو باولو، وتوقفت بجوار منزل صغير وبسيط بيد أنه محمي كالقلعة، ومحاط بسور وسياج شائك مرتفع، وبوابة حديدية يحرسها كلب مخيف وشاب يقف إلى جواره. ترجل كينتسله من السيارة وطلب من الشاب –الذي اتضح أنه أحد أبناء تسوكورس- أن يعلم الطيار بقدومه. وقد استقبله تسوكورس بحرارة، وطاف به في حجرات المنزل وعرفه على زوجته وأولاده، ثم فتح درجا وأطلع الضيف على حوالي خمسة عشر وساما من أيام الحرب، كان الكثير منه مزينا بالصليب المعقوف. ثم فتح درجا آخر، حيث شاهد كينتسله فيه مخزن سلاح كامل: ثلاثة مسدسات ثقيلة، وبندقية نصف أوتوماتيكية، وقال:"إن المخابرات البرازيلية منحته رخصا لجميع الأسلحة التي بحوزته، وقال: "أنا أجيد الدفاع عن نفسي".

كان كينتسله يصغي لكل كلمة يقولها تسوكورس وأدرك أن في أقواله تحذيرا معينا، وكأنه يقول له: "إذا حاولت الليلة أن تلحق بي الأذى، فيجب أن تعرف أنني مسلح وعلى أهبة الاستعداد".

وعرض عليه تسوكورس أن يقوم معه بجولة في مزرعتين يملكهما في البرازيل، فوافق، بيد أنه حينما خرج من البيت اشترى لنفسه خنجرا حادا للطوارئ.

بعد حوالي أسبوع توجه الاثنان في سيارة كينتسله المأجورة إلى الجبال. كانت الرحلة مليئة بالتوتر. فقد كان كينتسله المسلح بالخنجر يبذل قصارى جهده من أجل إثارة اهتمام

تسوكورس بماله واكتساب ثقته كي يتمكن من دفعه إلى الموت من جهة. بينما من الناحية الأخرى كان تسوكورس قوي البنية يشك فيه ويبدي الكثير من الحذر ويحمل مسدسا ثقيلا، لكنه لم يكن يستطيع الصمود أمام إغواء المال الغزير الذي أصبح كينتسله رمزا له في عينيه. فكر كينتسله إن من الجائز أنه هو الضحية في هذه القضية، وأن تسوكورس لا يصدق رواية التغطية التي ساقها إليه، وأنه يأخذه إلى الجبال لقتله.

زار الاثنان مزرعة مهملة، والتي لم تثر اهتمام كينتسله، وفجأة استل تسوكورس بندقيته النصف آلية الأمر الذي أثار توتر كينتسله، وتساءل بينه وبين نفسه:" لماذا أحضر تسوكورس بندقية ومسدس؟"، قطع تسوكورس عليه حبل أفكاره بسؤاله: "ما رأيك بأن نجري مباراة في التهديف؟"، أدرك كينتسله فورا الهدف: كان تسوكورس يرغب في اختبار مقدرته، وفيما إذا كان حقا جنديا على الجبهة الروسية خلال الحرب، وهل يجيد التهديف؟.

أشار تسوكورس إلى هدف معلق على إحدى الأشجار، ثم حشا البندقية وأطلق عشر عيارات نارية بصورة سريعة، وأصاب الهدف إصابات جيدة، ثم علق هدفا آخر على الشجرة وأعطى البندقية لكينتسله والذي كان ذا ماض طويل في الجيش البريطاني والجيش الإسرائيلي. تناول كينتسله البندقية وأطلق بسرعة، فأصاب الهدف بصورة أفضل من تسوكورس، الذي ربت على كتفه وقال له: "كل الاحترام لك".

عاد الاثنان إلى السيارة واستقلاها إلى المزرعة الثانية، والتي كانت أكبر من الأولى ولم يكن فيها أحد، وشاهد كينتسله نهرا يعج بالتماسيح يمر من وسط المزرعة المليئة بالأشجار. قاد تسوكورس ضيفه إلى داخل الغابات الكثيفة، الأمر الذي جعل كينتسله يفكر فيما إذا كان يقوده إلى مصيدة؟ هل أحضرني إلى هنا كي يقتلني ولا يترك أي أثر لي؟ وفجأة انغرز أحد مسامير حذائه وأصاب أصبعه بجرح، فركع كينتسله على الأرض وخلع الحذاء. كان تسوكورس ينحني فوقه، وفجأة استل مسدسه، وقال له: "خذ المسدس واضرب المسمار بعقبه". لقد انقلبت الصورة بشكل مفاجئ. كان الاثنان وحدهما في مزرعة جبلية، ولم يكن هناك إنسان على بعد عدة كيلومترات، والمسدس محشو، وكان بمقدوره أن ينهي قضية تسوكورس في لحظة. لكنه بدلا من

ذلك ضرب رأس المسمار بقوة بعقب المسدس حتى أعاده إلى مكانه وأعاد المسدس إلى تسوكورس.

عاد الاثنان في المساء إلى كشك صغير ومتداع وسط المزرعة وأعدا وجبة عشاء كانا قد جلباها معهما، ثم فرشا أكياس نوم على سريرين من الحديد وناما. شاهد كينتسله تسوكورس يضع مسدسه تحت وسادته فساورته الكثير من المخاوف وتلمس الخنجر الذي كان مخبأ معه. وفي صبيحة اليوم التالي عاد الاثنان إلى ساو باولو.

دعا كينتسله تسوكورس في الأسبوع التالي إلى مطاعم فاخرة وملاه ليلية راقية وأماكن متعة أخرى، ولاحظ في أعين تسوكورس اللهفة لتناول الطعام الفاخر الذي قدم لهما، وأدرك أن الرجل محروم منذ زمن طويل من النعم التي يمكن للمال أن يوفرها.

كانت الخطوة التالية هي أن يقوم كينتسله بدعوة تسوكورس لمرافقته لعدة رحلات جوية على حسابه، حيث حرص على أن يتمتع خلالها بالكثير من ملذات الحياة والفنادق الفخمة والطعام الجيد. ثم اقترح كينتسله عليه السفر معه إلى مونتبيداو عاصمة أرجواي حيث حددها شركاؤه كمقر لأعمالهم في أميركا الجنوبية. وقام بإعطائه مبلغا كي يستصدر جواز سفر له. وبعد بضعة أيام طار تسوكورس إلى مونتبيداو لكنه أخذ معه كاميرا نظرا لأن شكوكه لم تكن قد زالت تماما. كان كينتسله بانتظاره في المطار، وفجأة استل تسوكورس كاميرته والتقط له صورة.

استأجر كينتسله سيارة أميركية كبيرة، وحجز له ولتسوكورس غرفتين في أفخم فنادق المدينة، وقضى الاثنان الوقت بحثا عن عمارة مناسبة لاتخاذها مقرا لشركة كينتسله. ورغم أنهما لم يعثرا على مبتغاهما، إلا أنهما قضيا إجازة خيالية في المطاعم الفاخرة والنوادي الليلية والنزهات، ونوادي القمار. ثم افترق الاثنان، حيث عاد كينتسله إلى أوروبا لمواصلة أعماله، واعدا تسوكورس بالعودة بعد بضعة أشهر لمواصلة العمل المشترك.

عاد تسوكورس إلى ساو باولو سعيدا، بيد أنه قال لزوجته أنه سر جدا خلال الرحلة، بيد أنه شعر أن هناك من يتعقبه، لذا يجب أن يظل يقظا دائما.

اجتمع كينتسله في باريس مرة أخرى مع يريف وزملائه، وشرعوا فورا بترتيبات العملية، واتخذوا قرارا نهائيا بتصفية تسوكورس في مونتبيداو لعدة أسباب: أن تسوكورس كان

في البرازيل تحت حماية الشرطة الأمر الذي سيجعل من الصعب قتله. ويوجد في البرازيل أيضا جالية يهودية كبيرة ومن المحتمل أن تقوم ألمانيا أو الجهات النازية بإلحاق الأضرار بها انتقاما لمقتله، كما كانت البرازيل تقر قانون الإعدام ومن ثم إذا ما ألقي القبض على خلية الإعدام فسوف يحكم عليهم بالإعدام.

تم تركيب خلية الإعدام بصورة نهائية، وضمت خمسة أشخاص: يوسكه يريف، زئيف عميت، أريه ، أنطون كينتسله ومناحم بربش، وكان بربش قد تجهز بجواز سفر نمساوي وغير اسمه إلى أوسولد تاوسيج.

توجهت الخلية إلى مونتبيداو خلال شهر شباط 1965 بطرق مختلفة، واستأجر أوسولد سيارة فولكسواجن خضراء، واستأجر منزلا صغيرا في شارع كرتجنه في حي كرسكو، وكان عليه أيضا لعب دور رهيب: فقد اشترى من أحد الحوانيت صندوق سفريات كبيرا لوضع جثة تسوكورس فيه في أعقاب قتله، أرسل الصندوق إلى منزل في شارع كرتجنه.

كان كينتسله طيلة الوقت يتراسل مع تسوكورس، ودعاه للقدوم إلى مونتبيداو. توجه تسوكورس في الخامس عشر من شباط 1965 إلى شرطة ساو باولو وطلب التحدث مع أحد الضباط المدعو ألسيدو سينتره بيليو، وقال له: "أنا رجل أعمال، وأنا تحت حماية الشرطة البرازيلية منذ سنوات نظرا لأن لدى الكثير من الأسباب التي تجعلني أخشى على حياتي، وقد طلب مني رجل أعمال أوروبي أن أسافر لأجتمع به في مونتبيداو، فهل تعتقد أن بمقدوري السفر إلى الإرجواي؟ وهل هذا خطر؟ رد الضابط بشدة قائلا: "لا تسافر، أنت تعيش هنا بهدوء لأننا نحميك، ولا تنس أنك في اللحظة التي ستغادر فيها البرازيل فلن يحميك إنسان، وانت تكشف نفسك لأعدائك، وإذا كان لديك أعداء، فأنا لا أؤمن بأنهم نسوك".

بدا تسوكورس مستغرقا في التفكير للحظة، وتردد قليلا، ثم نهض وقال: "كنت دائما رجلا شجاعا، أنا لا أخاف، وأجيد حماية نفسي، وأنا أحمل معي مسدسا دائما، ورغم مضي زمن طويل، إلا أنني لا زلت أجيد التهديف بصورة ممتازة".

وصل تسوكورس إلى مونتبيداو في الثالث والعشرين من شباط واجتمع بكينتسلة، و كانت المصيدة جاهزة، قاد كينتسله تسوكورس في سيارة الفولكسواجن التي استأجرها هو أيضا

إلى المنزل المستأجر حيث كمنت له خلية التصفية. وفي الطريق توقف الاثنان عدة مرات لفحص مبان قد تصلح كي تكون مقرا لشركة كينتسله، وفي النهاية وصلا إلى المنزل المستأجر. كان هناك عمال يعملون بالقرب من المنزل، وشاهد كينتسله سيارة أوسولد الخضراء واقفة بالقرب من المبنى. ترجل كينتسلة من السيارة واتجه بثقة نحو الباب في حين سار تسوكورس خلفه. فتح كينتسله الباب وشاهد أمامه منظرا غريبا. كان أعضاء الخلية يقفون بجوار الجدار بملابسهم الداخلية فقط ، لقد كانوا يعرفون أنهم لن يستطيعوا إخضاع تسوكورس دون قتال دموي، لذا خلعوا ملابسهم كي لا تصيبهم دماؤه. كان المنظر فظيعا: مجموعة من الأشخاص يرتدون ملابسهم الداخلية ويقفون في العتمة بانتظار قدوم ضحيتهم كي يقتلوه.

تنحى كينتسله جانبا، ودخل تسوكورس خلفه إلى البيت، وفي اللحظة التي أصبح فيها في الداخل، أغلق كينتسله الباب، وهاجمه أعضاء الخلية الثلاثة، وحاولوا إسقاطه أرضا، بيد أنه قاومهم بكل قوته، ونجح في إبعادهم عنه واندفع باتجاه الباب، وخلع يد الباب من مكانها، وحاول استلال المسدس الذي يحمله في الوقت الذي قال بالألمانية: "دعوني أتكلم". حاول يوسكه سد فم تسوكورس كي لا يسمع المارة صراخه، لكن تسوكورس عضه بكل قوته إلى الدرجة التي كاد فيها أن يقطع إصبعه، فصرخ "يوسكه" من الألم، وفي هذه اللحظة قفز زئيف على تسوكورس وفي يده مطرقة بناء وضربه على رأسه، فسقط أرضا وهو يحاول إخراج مسدسه، بينما هاجمه أعضاء الخلية من كل مكان. لقد استغرق الأمر برمته ثواني معدودة،وقام أحد أعضاء الخلية بوضع مسدسه المزود بكاتم صوت في رأس تسوكورس وضغط على الزناد مرتين، وسال دمه على الأرض. وحينها فقط نهض أعضاء الخلية وأجسامهم ملطخة بالدم.

خرج مناح بربش إلى الساحة وفتح صنبور المياه الرئيسي كي يتمكن أعضاء الخلية من غسل أنفسهم، كما قاموا بشطف الأرضية والجدران ورغم ذلك بقيت بقع دماء كبيرة في المكان. ويقول أحد أعضاء خلية التصفية أنهم كانوا يعتزمون إلقاء القبض على تسوكورس حيا ومحاكمته محاكمة ميدانية قبل قتله، بيد أن عدم تقدير توازن القوى بصورة صحيحة أدى إلى أن تتحول عملية إلقاء القبض عليه إلى معركة دموية. لقد كان من الأفضل أن يطلقوا النار عليه من البداية. وعلى ما يبدو أنه لم يجر التخطيط للعملية كما يجب: لقد استأجر عملاء الموساد المنزل

في شارع كرتجنه في اللحظات الأخيرة، كما اشتروا صندوق السفريات أيضا في اللحظات الأخيرة، كما أن المعركة الدموية التي صاحبت العملية لم يكن لها أي لزوم، فقد كان بمقدورهم بدلا من القفز على الضحية وهم يرتدون الملابس الداخلية فقط أن يضعوا حدا لحياته بعيار ناري واحد. لكن في نهاية المطاف تم تنفيذ العملية.

وضعت الخلية جثة تسوكورس في الصندوق كي يعطوا انطباعا بأنهم كانوا يعتزمون اختطافه وتهريبه إلى خارج الإرجواي، ثم وضعوا مع الجثة رسالة كانوا قد أعدوها مسبقا: "نظرا للتهم الخطيرة ضد هربرت تسوكورس، ونظرا لمسؤوليته الشخصية عن قتل ثلاثين ألف شخص من الأولاد والشيوخ والنساء وإزاء الوحشية الفظيعة التي أبداها في تنفيذ جرائمه، قررنا إصدار حكم الإعدام ضد تسوكورس، وقد تم إعدام المحكوم عليه في الثالث والعشرين من شباط 1965 بأيدي أولئك الذين لن ينسوا للأبد".

خرج أعضاء الخلية من البيت في سيارتي الفولكسواجن السوداء والخضراء. لقد عانى يوسكه آلاما جسيمة من يده، وظل حتى نهاية حياته لا يستطيع تحريك أصبعه الذي عضه تسوكورس. غادرت الخلية كلها مونتبيداو بطرق مختلفة إلى أوروبا متجهة إلى إسرائيل. وعاد زئيف إلى باريس وهو يشعر أنه مريض نفسيا وقد لاحقته الكوابيس أشهر طويلة ولم تدع له مجالا للنوم أو الراحة.

عندما خرجت خلية التصفية كلها من أميركا الجنوبية، اتصل أحد رجال الموساد بمكاتب وكالات الأنباء في ألمانيا وأعلمها بتصفية المجرم النازي في مونتبيداو على أيدي أولئك الذين لا ينسون أبدا. بيد أن وسائل الأعلام التي تلقت النبأ لم تتطرق إليه أبدا وعلى ما يبدو أنها اعتقدت أنه ليس صحيحا. وبعد بضعة أيام عندما لم تتطرق وسائل الإعلام للنبأ أعد رجال الموساد نبأ أكثر تفصيلا ودقة وأرسلوه تليفونيا وفي البريد لعدة وكالات أنباء في ألمانيا. وفي هذه المرة أرسل النبأ إلى مراسل إحدى الصحف في مونتبيداو الذي استدعى الشرطة. وفي السادس من آذار وبعد أكثر من عشرة أيام من تصفيته قدمت الشرطة إلى المنزل الذي تمت فيه العملية. وفي صبيحة اليوم التالي أفادت جميع وسائل الإعلام أنه تم العثور على جثة تسوكورس في منزل مهجور، وأشارت إلى اسم أجنبيين مشبوهين بالقيام بعملية الاغتيال: أنطون كينتسله وأوسولد

تاوسيج، وبعد بضعة أيام نشرت صحيفة في ريو دي جانيرو صورة أنطون كينتسله على صفحة كاملة ,وأطلقت عليه اسم "النمساوي المبتسم"، كما نشرت الصورة أيضا في الصفحة الأولى من جريدة معاريف، وقد تعرف عدد من مقربيه عليه فورا في الصورة. وبعد بضعة أيام وصلت رسالة إلى منزل تسوكورس، وكانت هذه الرسالة بمثابة المحاولة الأخيرة التي حاول فيها كينتسله إخفاء آثاره، وقد جاء فيها: "عزيزي هربرت: الحمد لـلـه لقد تمكنت بمساعدة عدد من أبناء بلدنا من الوصول إلى تشيلي سالما، والآن سأرتاح من السفريات المضنية، وآمل أن تعود أنت أيضا قريبا إلى بيتك. لقد علمت أن رجلا وامرأة كانا يتعقباننا، لذا يجب أن نتوخى الحذر والحيطة. مثلما قلت لك مرات عديدة إنك تخاطر كثيرا بإبقاء اسمك الحقيقي والعيش تحته، هذه مخاطرة يمكنها أن تلحق بك كارثة وايضا يمكن أن تكشف هويتي الحقيقية.

وبناء عليه فإنني آمل أن الورطة التي وقعنا فيها في الإرجواي كانت بمثابة عبرة مفيدة للمستقبل، وأن تجعلك أكثر حذرا، وإذا ما اكتشفت شخصا مشبوها حول بيتك، تذكر نصيحتي: اختف لسنة أو لسنتين في اوساط رجال فون ليدس – فون ليدس كان زعيما نازيا معروفا وقد فر إلى القاهرة وجمع حوله مجموعة من المهاجرين الألمان- حتى ينتهي النقاش حول قانون التقادم على جرائم النازية. أرجو أن ترسل لي حال تسلمك هذه الرسالة ردا إلى سانتياجو دي تشيله على العنوان الذي تعرفه. المخلص أنطون ك".

الفصل الحادي عشر

----

*منظمة "ايلول الاسود" اختطفت الرياضيين الاسرائيليين في ميونخ وقلة خبرة الالمان تسببت في قتل الرهائن جميعهم.

*غولدا مائير صادقت على تصفية قادة "أيلول الأسود"وشكلت لجنة"إكس" التي كانت تدرس ملف كل مرشح للاغتيال قبل تنفيذ العملية للمصادقة عليه.

* عادل زعيتر مخرب متعصب، قاس، يدير عمليات "أيلول الأسود" في روما بحزم وانصياع تام اغتاله الموساد بإطلاق النار عليه 12 مرة.

* الهمشري مؤرخ محترم اعتبره الموساد الرجل الثاني في قيادة "أيلول الأسود" في أوروبا واغتاله عبر اتصال هاتفي .

* عبد الخير ضابط الاتصالات مع الاتحاد السوفييتي والمسؤول عن إدخال المخربين من الدول العربية إلى إسرائيل عبر قبرص اغتاله الموساد بعملية تفجير رهيبة.

تصفية قيادات
أيلول الأسود(1)
"النسور تهاجم قبل الفجر"

هاجم ثمانية مسلحين ببنادق أوتوماتيكية فجر الخامس من أيلول 1972 شقة الوفد الإسرائيلي للألعاب الأولمبية في ميونيخ، وقتلوا بالرصاص موشيه ينبيرج مدرب فريق المصارعة الإسرائيلي عندما حاول اعتراض طريقهم، كما قتلوا جو رومانو بطل رفع الأثقال الإسرائيلي، ونجح بعض الرياضيين الذين استيقظوا على صوت الصراخ والعيارات النارية في الفرار بالقفز من النوافذ، وتمكن المسلحون - الذين يخفون وجوههم بلثام- من أخذ تسعة رياضيين كرهائن.

وصلت قوات الأمن الألمانية إلى المكان ومعها العشرات من المراسلين الصحفيين والمصورين وطواقم التليفزيون والذين بدأوا يتابعون عن كثب تسلسل المأساة في القرية الأولمبية. لقد تابع العالم كله ولأول مرة عملية قاتلة على شاشات التليفزيون، بمن فيهم رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير بعد أن أيقظها سكرتيرها العسكري في منتصف الليل.

شعرت جولدا مائير نفسها بأنها في مصيدة. لقد وقعت العملية في دولة أوروبية صديقة مما يلقي عبء التعامل مع الحدث على أكتاف المانيا، وفي نفس الوقت رفضت السلطات البافارية بأدب الاقتراح الإسرائيلي لإرسال جنود من دورية استطلاع هيئة الأركان، وقد قال الألمان لممثلي إسرائيل: "لا يوجد أي سبب يجعلكم تقلقون، سوف نتمكن من تحرير جميع الرهائن". لكن الحقيقة هي أن ألمانيا كانت تفتقر إلى التجربة والخبرة والجرأة والمعالجة الجذرية المطلوبة في مواجهة المنظمات المسلحة شديدة الدهاء.

وبعد مفاوضات مضنية بين السلطات الألمانية والمخربين والتي استغرقت النهار بكامله، نقل المخربون والرهائن إلى مطار فيرستنفلدبروك القريب من ميونيخ، حيث وعدوا بالسماح لهم بالصعود إلى طائرة ومغادرة ألمانيا، بيد أن الشرطة المحلية أعدت لهم في المطار كمينا طفوليا (170)كذاك الذي ينصبه الهواة. فقد قامت بجر طائرة خالية ودون طاقم جوي إلى

وسط المطار، وكان من المفروض أن تقلع هذه الطائرة في غضون دقائق معدودة. وقد اكتشف المخربون الخدعة فورا وردوا على ذلك بإطلاق النار وإلقاء القنابل اليدوية. وخلال المعركة التي نشبت مع وحدة الشرطة قام المخربون بقتل جميع الرهائن الإسرائيليين، كما قتل ضابط ألماني خلال عملية تبادل إطلاق النار وخمسة من المخربين الثمانية، والقت الشرطة القبض على الثلاثة الباقين – بيد أنها أطلقت سراحهم في أعقاب اختطاف طائرة "لوفتهانزا" على أيدي زملائهم فيما بعد.

شاهد رئيس الموساد تسفي زمير الذي أرسلته جولدا مائير إلى ألمانيا العملية بكاملها من برج مراقبة المطار. ولم يسمح له الألمان بالتدخل فيما يجري، وقد وعدوه المرة تلو الأخرى بأن الخطة التي وضعوها ممتازة، وأنهم سينقذون الرهائن. وقد شاهد زمير قتل الرهائن دون أن يستطيع تحريك ساكن. وقد أعلنت منظمة "أيلول الأسود" مسؤوليتها عن تنفيذ العملية.

كان ياسر عرفات قد قرر تشكيل هذه المنظمة السرية المسماة "أيلول الأسود"، وجعلها متحررة من انتهاج الأساليب "المحترمة" في النضال والتي أقرها ياسر عرفات كي يحظى باعتراف المجتمع الدولي. كانت المنظمة الجديدة منظمة قاسية تعمل دون أية قيود أو رحمة. ولم يكن هناك وجود لهذه المنظمة على الصعيد الرسمي، وكان عرفات ينفي أن تكون له أية علاقة بها، أما في حقيقة الأمر فقد كان زعيمها وموجهها، وعين أبو يوسف - أحد كبار مسؤولي حركة فتح - رئيسا لها، وعين علي حسن سلامه ضابطا لعملياته، وهو شاب متحمس وشجاع وذكي، وهو ابن حسن سلامه الذي عين قائدا للقوات الفلسطينية خلال حرب 1948 في أعقاب وفاة عبد القادر الحسيني. وقد قتل حسن سلامة في معركة راس العين، وقد قرر ابنه حسن مواصلة مسيرة والده.

لم تثر أول عمليات "أيلول الأسود" اهتماما كبيرا في إسرائيل، حيث لم توجه إليها، لكن سرعان ما انتقلت هذه المنظمة للعمل ضد إسرائيل، وهكذا ولدت عملية ميونيخ.

لقد حظي علي حسن سلامة جراء عملية ميونيخ التي خطط لها باسم جديد، فقد انتشرت شائعات في أوساط المنظمات حول توقه الشديد للدم والقتل، لذا أطلقوا عليه اسم "الأمير الأحمر".

طلب ضابطان إسرائيليان سابقان برتبة لواء الاجتماع برئيسة الحكومة الإسرائيلية في مطلع تشرين الأول 1972، وهما رئيس الموساد تسفي زمير ومستشار رئيس الحكومة لشؤون الإرهاب أهارون ياريف، الذي كان في السابق رئيسا لشعبة الاستخبارات العسكرية.

أصيبت رئيسة الحكومة الإسرائيلية جولدا مائير ليلة مقتل الرياضيين الإسرائيليين بصدمة شديدة، فقد قتل اليهود مرة أخرى وهم أسرى ومقيدون على الأراضي الألمانية. كان من المعروف عن جولدا أنها امرأة قوية الشكيمة، لذا بات واضحا أنها لن تسمح بمرور هذه الحادثة بسلام ودون رد إسرائيلي، وقد جاء زمير وياريف إليها لاقتراح الرد المناسب.

لم يكن تسفي زمير من بين قادة الجيش الإسرائيلي البارزين، وكانت أكبر رتبة وصل إليها في الجيش هي رتبة قائد القطاع الجنوبي، ثم عمل ملحقا للجيش في أوروبا وممثلا لوزارة الدفاع هناك. وفي عام 1968 عين رئيسا للموساد في أعقاب انهاء مائير عميت لمنصبه. وقد واجه تعيينه الكثير من الانتقادات، فقد كان يفتقر إلى التجربة، عداك عن كونه شخصية باهتة الملامح تختبئ وراء الأشياء، ولم يكن يعتبر نفسه قائدا وحيدا للموساد على غرار إيسر هرئيل أو مائير عميت قبله، فقد أحال الكثير من صلاحياته لموظفين في الموساد. إن المسألة الوحيدة التي جعلته يحظى بالتقدير وأوصلته إلى رئاسة الموساد هي أنه كان الوحيد الذي حذرالمسؤولين الإسرائيليين من اقتراب الحرب عام 1973، هذا رغم أن تحذيراته كانت تتنافى مع تقديرات رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية آنذاك إيلي زعيرا. لكنه لم يكن قادرا عام 1972 على تسجيل أية إنجازات له.

وياريف أيضا كان مثله، رجل ظل أكثر من كونه رجلا تسلط عليه الأضواء. لقد شغل منصب رئيس شعبة الأركان بصورة جيدة خلال حرب 1967، واكتسب مكانته جراء كونه متعلما ومحللا، لقد كان أقرب لأن يكون بروفيسورا من أن يكون رجل استخبارات.

كان هناك تشابه كبير بين الرجلين، وكان من المفروض أن يكونا خصمين جراء التداخلات والصدامات القائمة في مجال عملهما، بيد أنهما عملا بصورة متناغمة. وكان الاثنان هادئين، وقادرين على ضبط نفسيهما وخجولين. وقد عملا بصمت وأعربا عن رأيهما بحذر بالغ.

لكن النصيحة التي حملاها هذه الليلة إلى جولدا مائير كانت مذهلة ومفاجئة وتقول: "يجب تكليف المخابرات الإسرائيلية بالعثور على قادة "أيلول الأسود" وقتلهم جميعا".

لقد عكف الاثنان خلال الشهر الذي تلا مقتل الرياضيين الإسرائيليين على العمل بكل جهد، وتمكنا من كشف الكثير من أسرار أيلول الأسود، وقدما إلى جولدا مائير كي يقولا لها أنهما جاهزان. وقالا لها: "إن "أيلول الأسود" يود شن حرب لا هوادة فيها ضد إسرائيل. إن هذه المنظمة تعتزم قتل أكبر عدد من اليهود: مواطنين، مدنيين، رجال ونساء. والطريقة الوحيدة لوقف "أيلول الأسود" هي تصفية قادتها. يجب ان نقطع رأس الثعبان".

ترددت جولدا طويلا، فلم يكن من السهل عليها اتخاذ قرار يفضي إلى إرسال شبان لتنفيذ مهام قتل خطرة. صمتت جولدا وقتا طويلا، ثم بدأت الحديث بصوت منخفض، وكأنها تتحدث مع نفسها، فاستعرضت ما عاناه اليهود خلال الحرب العالمية الثانية، ثم رفعت رأسها ونظرت في أعين الاثنين نظرة حازمة وقالت لهما: "أرسلا الشبان لتنفيذ المهام".

بدأ زمير باتخاذ الاستعدادات اللازمة لتنفيذ المهمة التي أطلق عليها اسم "غضب الـلـه". لم تكتف جولدا مائير بوعد الاثنين لها بان يقوم الشبان الذين سيتم إرسالهم بقتل رؤساء "أيلول الأسود " ونشطائه فقط ، فقد كانت تدرك أن عمل الموساد بطبيعته خارج إطار القانون، وأنه إذا ما تركت الحبل دون أن تشده بإحكام، فلن يطول الأمر حتى يقتل مدنيون، لذا قامت بتشكيل لجنة سرية، شارك فيها وزير الدفع موشيه ديان، ونائب رئيس الحكومة يجآل ألون. لقد شكل الثلاثة نوعا من أنواع المحاكم الميدانية السرية، حيث كان ياريف وزمير يقدمان إليهم ملفات رؤساء "أيلول الأسود" المرشحين للتصفية، وبعد أن تقوم هذه اللجنة – التي كانت بعض الجهات الإسرائيلية تطلق عليها اسم لجنة إكس - بإعطاء الضوء الأخضر، تقوم وحدة الاغتيالات في الموساد بالتوجه إلى الهدف.

ألقيت مهمة التنفيذ على عاتق وحدة "قيساريه" – شعبة عمليات الموساد التي كان يترأسها مايك هراري، والتي كانت تسمى آنذاك متسادة-. وقد جرت جميع العمليات تقريبا في أوروبا، حيث كانت "أيلول الأسود" قد نشرت وحداتها. كان رسل "أيلول الأسود" يعملون تحت أغطية مختلفة وذكية للغاية. وكان يجب العثور عليهم، وإزالة القناع عن وجوههم.

قام هراري بتنظيم رجاله وفقا لنمط كرر نفسه كثيرا فيما بعد خلال عمل الموساد. كلفت الوحدة التنفيذية لـ"متسادة" – كيدون(الرمح) بعملية التنفيذ. أما الطواقم التي أرسلت بحثا عن مسؤولي "أيلول الأسود" فقد ركبت من عدة وحدات فرعية: قام بعملية تشخيص ومتابعة المشبوهين طاقم من ستة رجال ونساء على الأقل. وكان عليهم التأكد من أن الشخص الذي يجب اغتياله هو حقا الشخص المطلوب. وكان أعضاء الطاقم يتوجهون إلى مكان الاغتيال قبل بضعة أيام من تنفيذ العملية، ويقومون بمراقبة الضحية، وتصويره ودراسة تحركاته وعاداته وأصدقائه والتعرف على مكان سكنه الدقيق، والمطاعم والبارات التي اعتاد أمها والتردد عليها وساعات خروجه إلى العمل وعودته إلى بيته.

كانت هناك خلية صغيرة مؤلفة في العادة من رجل وامرأة تأخذ على عاتقها مهمة توفيرالإمداد اللوجستي للعملية مثل استئجار الشقق والفنادق. كما قام طاقم فرعي بتنظيم عملية الاتصال مع الهيئة الأمامية للعملية والتي اتخذت مقرها في العادة في إحدى الدول الأوروبية، ومع قيادة الموساد في إسرائيل.

أما طاقم التصفية فكان يتألف بصورة عامة من عدة مقاتلين من الموساد, وكان أعضاء هذا الطاقم يصل متأخرا إلى ساحة العملية. وكانت مهمة هذا الطاقم تتمثل في التوجه إلى عنوان محدد في الوقت الذي يحدد له وقتل الشخص الذي تسلم صورته وتفاصيل أخرى تميزه له. وحال تنفيذ العملية يجب على هذا الطاقم مغادرة الدولة التي نفذت فيها العملية. وإبان تواجد الطاقم في دولة العملية كان طاقم آخر من وحدة الحماية والسائقين المسلحين يتواجد قريبا منه ومن ساحة العملية مع سيارات جاهزة للعمل بغية حماية طاقم التنفيذ. كان طاقم الحماية مكلفا بحماية طاقم التنفيذ حتى لو أدى الأمر لاستخدام السلاح. وكان على طاقم الحماية أيضا مغادرة الدولة التي تتم فيها العملية حال تنفيذها. أما طاقم المراقبة والتشخيص، فكان يغادر ساحة العملية قبل الشروع بتنفيذ العملية. وكان هناك آخرون مسؤولون عن البقاء في أعقاب العملية للعمل على محو الآثار والأدلة التي قد تشير إلى الفعلة، ولإعادة السيارات المستأجرة لتنفيذ العملية.

كانت روما هي المدينة الأولى التي سيتم تنفيذ العملية الأولى فيها. كان طاقم المتابعة يراقب هناك آخر شخص يمكن الاشتباه بمشاركته في الأعمال الإرهابية: موظف صغير في

السفارة الليبية، فلسطيني من مواليد نابلس يناهز الثامنة والثلاثين ويدعى عادل زعيتر. رجل نحيف البنية ولطيف وابن لمترجم معروف للغة العربية. وقد عمل هو أيضا في مجال القراءة وترجمة الأدب الجميل والأشعار من وإلى اللغة العربية. كما كان من عشاق الفنون وذا ذوق فني رفيع للغاية. كان زعيتر يعمل مترجما أجيرا في السفارة الليبية بأجر ضئيل للغاية يقدر بمائة ليرة ليبية، لكنه يكتفي بالقليل.

كان زعيتر يعيش في شقة صغيرة في بياتشه أنيبليانو وقد عرف بين زملائه بأنه رجل لين ومعتدل يشمئز من أعمال العنف، وقد أعرب أمام زملائه المرة تلو الأخرى عن معارضته الشديدة لأعمال الإرهاب والقتل. ولم يكن أقرب أصدقائه يعرفون وجهه الآخر: مخرب متعصب، قاس، يدير عمليات "أيلول الأسود" في روما بحزم وانصياع تام. لقد خطط وقاد قبل فترة وجيزة عملية ذكية، فقد ركز جهده على فتاتين بريطانيتين جميلتين وبريئتين، كانتا قد قضتا بضعة أيام في روما قبل توجههما لقضاء إجازة في إسرائيل.

قام زعيتر بإرسال شابين فلسطينيين إلى الفتاتين، وقام هذان الشابان بمغازلة الفتاتين بإصرار حتى وصلا إلى إقامة علاقة معهما. وقبل أن يفترق الأربعة طلب أحد الشابين منهما أن يأخذا معهما جهاز اسطوانات موسيقية لنقله إلى عائلته في الضفة الغربية كهدية. وقد وافقت الفتاة الساذجة وأخذت الهدية المحزومة جيدا ووضعتها بين حاجياتها في مكتب شركة العال الإسرائيلية. لم تكن الفتاتان تعرفان أن زعيتر وعاشقيهما قد أرسلوهما للتو إلى الموت، لقد قام رجال "أيلول الأسود" "بزرع عبوة ناسفة صغيرة في جهاز الإسطوانات تنفجر حالما تصل الطائرة إلى ارتفاع معين. لقد زرع في العبوة جهاز لقياس الارتفاع، وحينما تصل الطائرة الى الارتفاع المطلوب يقوم هذا الجهاز بخلق دائرة كهربائية وتفجير العبوة التي كانت ستؤدي إلى تدمير الطائرة وإسقاطها.

لقد شاء حسن طالع الفتاتين والركاب أن لا يعرف رجال "أيلول الأسود" مسألة واحدة وهي أنه وفي أعقاب انفجار طائرة تابعة لشركة "سويس إير" بنفس الطريقة، قامت شركة العال بتحصين غرف الشحن فيها بصفائح من الفولاذ تحمي هيكل الطائرة من الانفجارات الشديدة. لقد

انفجر جهاز الإسطوانات حقا، بيد أن الطائرة لم تتأثر، وقد لاحظ كابتن الطائرة ضوء التحذير وهبط بالطائرة فورا. وقد تم التحقيق مع الفتاتين فروتا كل ما حدث معهما.

من البديهي القول أن الشابين العاشقين لم يبقيا في روما، فقد سارع زعيتر إلى إخراجهما من إيطاليا في أعقاب توديعهما للفتاتين الإنجليزيتين في المطار، لكن الآثار قادت دون أدنى شك إلى المترجم الخجول والحالم.

أرسلت طواقم المتابعة إلى روما وراقبت زعيتر بضعة أيام. كان هناك شاب وشابة يتجولان أمام السفارة الليبية، وتقوم الفتاة باستخدام كاميرا سرية من أجل التقاط صورة لزعيتر في كل مرة يخرج أو يدخل فيها للسفارة.

وصل عدد من السياح في رحلات مختلفة إلى روما، وقد سكن أحدهم في فندق "إكسلسيور" في (فيه فنتو) وتوجه آخرون إلى فنادق أخرى واستأجروا سيارات من وكالات تأجير سيارات مختلفة مع تقديم عناوين وهمية، لقد استكملوا جميع الإجراءات الخاصة بالعملية.

وفي ليلة السادس عشر من تشرين الأول عاد زعيتر إلى بيته، وعزم على وضع عشر ليرات إيطالية في صندوق تفعيل المصعد. كان مدخل العمارة مظلما، وهناك صوت موسيقى ينطلق من بيانو في الطابق الثالث، وفجأة برز من بين الظلام شخصان وأطلقا النار على زعيتر من مسدسات مزودة بكواتم للصوت اثني عشرة مرة، ثم اختفيا مثلما برزا، وكانت بانتظارهما سيارة صغيرة من نوع "فيات"، وقد انطلقت بهما فورا، ولم تكد تمضي بضع ساعات حتى كانا خارج حدود الدولة.

وفي أعقاب مقتلة زال الغطاء الذي كان يختفي تحته، وفي بيروت كتبت العديد من المقالات التأبينية باسم المنظمات الفلسطينية والتي أطلق على زعيتر فيها اسم "أحد مقاتلينا الأشداء".

****

رن جرس الهاتف بعد بضعة أيام في شقة فاخرة في شارع أليزه 175 في باريس. وعندما رفع الدكتور الهمشري سماعة التليفون سمع من الطرف الآخر صوتا يسأل: هل أنت الدكتور الهمشري ممثل منظمة التحرير في فرنسا؟ كان الرجل الذي يتحدث على الطرف الآخر

يتحدث بلهجة إيطاليه وقدم نفسه كصحفي إيطالي يؤيد القضية الفلسطينية، وطلب أن يجري مقابلة مع الهمشري لصحيفته. وقد حدد الاثنان موعدا للقاء في اليوم التالي في مقهى منزوي بعض الشيء.

الدكتور الهمشري هو مؤرخ محترم يعيش في باريس مع زوجته الفرنسية ماري كلود وابنتهما الصغيرة. وقد اتخذ في الآونة الأخيرة الكثير من الاحتياطات الحذرة، فعندما كان يسير في الشارع كان يتأكد من أنه لا يوجد من يراقبه، وفي الكثير من الأحيان كان يغادر مطاعم ومقاهي بصورة مفاجئة حتى قبل أن يجلبوا الطعام أو الشراب الذي طلبه. وأحيانا كان يسأل الجيران فيما إذا كان هناك من سأل عنه.

والحقيقة هي أنه لم يكن لدى الهمشري ما يدفعه لمثل هذا الحذر، فلقد كان إنسانا معتدلا ومثقفا ومقبولا في الأوساط الأدبية الفرنسية. لكن أجهزة الأمن الإسرائيلية كانت تعرف عدة أشياء أخرى، مثل تورط الدكتور الهمشري في محاولة اغتيال بن جوريون في الدنمارك عام 1969، وفي عملية تفجير طائرة "سويس إير" التي كانت في طريقها إلى إسرائيل عام 1970، والتي قتل فيها سبعة وأربعون مسافرا وطاقم الطائرة. وعلاقاته مع شبان عرب غامضين، والذين كانوا يتوجهون إلى شقته في ساعات غير مقبولة وهم محملون بحقائق ثقيلة. كما كان الموساد على علم بأن الهمشري هو الرجل الثاني في قيادة "أيلول الأسود" في أوروبا.

في الوقت الذي كان الهمشري يتوجه إلى المقهى للاجتماع بالصحفي الإيطالي، قام بعض الأشخاص المجهولين بالتسلل إلى شقته ومكثوا فيها بعض الوقت. وفي اليوم التالي انتظر المجهولون حتى خرجت زوجته وابنته من البيت وبقي الهمشري في البيت وحده، وحينها رن جرس الهاتف مرة أخرى، ورفع الهمشري السماعة، فتناهى إليه من الناحية الأخرى صوت الصحفي الإيطالي متسائلا: "الدكتور الهمشري"؟ فقال: "نعم، أنا هو". وحينها سمع صوت صفير حاد ثم صوت انفجار قوي. لقد انفجرت عبوة ناسفة زرعت تحت طاولة التليفون وأصابت الهمشري بجراح خطيرة. وبعد بضعة أيام توفي الهمشري متأثرا بجراحه بعد أن أدان الموساد بتنفيذ العملية التي أدت إلى إصابته وقتله.

****

بعد بضعة أسابيع من اغتيال الهمشري وصل مايك هراري وبصحبته أحد كبار أعضاء طاقم الاغتيالات والذي حمل جواز سفر باسم جونثان إينجلبي إلى نيقوسيا في قبرص. واستأجر الاثنان غرفتين في فندق أوليمبيه. لقد تحولت قبرص في تلك الآونة إلى ساحة اقتتال بين العملاء العرب والأسرائيليين، وذلك بسبب قربها من تل أبيب وسورية ولبنان ومصر. أما هذه المرة فقد اهتم عميلا الموساد بأحد سكان الفندق وهو فلسطيني يدعى حسين ابو الخير. لقد تم تعيين ابو الخير قبل أشهر معدودة ممثلا لأيلول الأسود في قبرص، هذا إضافة إلى أنه كان يشغل منصب ضابط الاتصال مع الاتحاد السوفييتي والكتلة الشرقية، والتي كانت تشكل ملجأ آمنا للمخربين، الذين كانوا يتلقون تدريباتهم في قواعد الجيش والوحدات الخاصة في الاتحاد السوفييتي، تشيكوسلوفاكيا، هنجاريا وبلغاريا. ومن هناك كانت تتدفق إليهم أيضا إرساليات السلاح والتجهيزات كما حظي البعض منهم بتثقيف أيديولوجي في جامعة باتريس لومومبا في موسكو.

كان ابو الخير ضابط الاتصالات مع الاتحاد السوفييتي، والمسؤول عن إدخال المخربين من الدول العربية إلى إسرائيل عبر قبرص، إضافة إلى قيامه بأعمال عديدة ضد العرب المشبوهين بأنهم قدموا إلى قبرص للاجتماع بضباط اتصالهم الإسرائيليين. وقد حكمت عليه لجنة "إكس" بالموت.

توجه ابو الخير في الليل إلى غرفته، وأطفأ الأضواء ودخل إلى سريره. وعندما اقتنع جونثان إينجلبي أن الرجل غط حقا في نومه ضغط على جهاز سيطرة عن بعد كان بحوزته، وحينها وقع انفجار هائل هز الفندق. وقد توجه موظفو الفندق إلى غرفة ابو الخير وعندما انجلى الغبار والدخان شاهد أحد الموظفين منظرا فظيعا جعله يسقط مغشيا عليه، كان رأس ابو الخير المقطوع يطل عليه من داخل كبينة المرحاض.

****

الفصل الثاني عشر

---

* القبيسي رجل قضاء معروف ومحاضر في الجامعة الأميركية في بيروت يتهمه الموساد بمحاولة اغتيال غولدا مائير.. اغتيل بتسعة عيارات نارية.

*الموساد اقتحم لبنان من البحر ونفذ عملية "ربيع الشباب" بقتل قادة فتح كمال عدوان وكمال ناصر وابو يوسف النجار وسرقوا وثائق من منازلهم حلت قضية "كوماندو الفصح".

* أعضاء "كوماندو الفصح" كانوا يعتزمون تفجير تسعة فنادق في تل أبيب في أوج الموسم السياحي وقتل العديد من السياح والإسرائيليين.

* محمد بودية جزائري وسيم ومدير مسرح في باريس إنسان مثقف ومفكر ومخطط عملية"كوماندو الفصح" دوخ الموساد عبر تغيير شكله عدة مرات وفي النهاية تم تفجير سيارته وقتله.

*الموساد اغتال علي حسن سلامة في" ليلهامر "بأربع عشرة رصاصة ثم اكتشف انه ارتكب خطأ مصيريا في تشخيص الرجل.

*الموساد اغتال " الأمير الأحمر" وريث عرفات القادم والقائد الأخير في منظمة "أيلول الأسود"بتفجير ضخم .

تصفية قيادات

أيلول الأسود(2)

"النسور تهاجم قبل الفجر"

ردت منظمة أيلول الأسود على العمليات فورا، ففي السادس والعشرين من كانون الثاني 1973 اجتمع شاب إسرائيلي يدعى موشيه حنان يشاي مع صديق فلسطيني في بار موريسون في شارع خوزيه أنطونيو في مدريد، وخرج الاثنان إلى الشارع، وفجأة توجه إليهما رجلان وقطعا عليهما الطريق، وقد فر الفلسطيني فورا في حين قام الرجلان بإفراغ مسدسيهما في صدر يشاي وفرا من المكان. واتضح بعد بضعة أيام أن اسم يشاي الحقيقي هو باروخ كوهن، وأنه عميل موساد قديم كان يقوم بتفعيل شبكة طلبة فلسطينيين في مدريد. أما الشاب الذي كان معه فقد كان أحد مخبريه والذي قامت "أيلول الأسود" بزرعه. لقد انتقمت "أيلول الأسود" لمقتل ابو الخير بقتل كوهن.

اشتبهت إسرائيل أيضا بأن "أيلول الأسود" هي التي قامت بإصابة عميل الموساد تسادوق أوفير بجراح في بروكسل، وبإرسال مظروف المتفجرات الذي قتل الدكتور عامي شحوري الملحق في السفارة الإسرائيلية في لندن.

في أعقاب مقتل ابو الخير عينت "أيلول الأسود" خلفا له وأرسلته إلى نيقوسيا. ولم تكد تمضي أربع وعشرون ساعة على وصوله إلى نيقوسيا حتى توجه للقاء أحد رجال المخابرات السوفييتية – كي.جيه.بي- ثم عاد إلى فندقه، وتوجه إلى سريره وبعد وقت قصير انفجرت غرفته على غرار ما حدث مع ابو الخير وقتل الرجل فورا.

قرر ياسر عرفات وعلي حسن سلامة الانتقام بصورة أشد، وخططا لاختطاف طائرة وملئها بالمتفجرات وإسقاطها على تل أبيب على أيدي طيار انتحاري – لقد كانت هذه الفكرة هي الأساس الذي نفذت على خلفيته عملية برجي التوأم في الولايات المتحدة عام 2001- الأمر الذي سيوقع بين الإسرائيليين مئات القتلى.

بدأ رجال الموساد بمراقبة مجموعة من الفلسطينيين في باريس ممن كانوا مشاركين في التخطيط للعملية، وفي إحدى الليالي اكتشف المراقبون شخصا جديدا قد انضم إلى مجموعة المخططين، والتقطوا له صورا، حيث اتضح منها أنه البروفيسور باسل القبيسي – أحد كبار مسؤولي أيلول الأسود-. كان القبيسي رجل قضاء معروفا، ومحاضرا في القضاء في الجامعة الأميركية في بيروت، رجل يحظى بالكثير من الاحترام في مجاله. لقد كان هو أيضا مثل زملائه ذئبا يرتدي ثوب حمل: لقد حاول عام 1956 قتل فيصل ملك العراق باستخدام سيارة ملغومة لكن محاولته باءت بالفشل مما جعله يفر إلى الولايات المتحدة. وبعد بضع سنوات حاول زرع سيارة ملغومة على طريق جولدا مائير إبان الزيارة التي قامت بها للولايات المتحدة، وعندما فشلت هذه الخطة أيضا خطط لاغتيالها إبان اجتماع الاشتراكية الدولية في باريس، وفشل أيضا. انضم القبيسي إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بوصفه نائبا لجورج حبش، وشارك في التخطيط للعملية التي نفذها مخربون أجانب وعرب في قاعة المسافرين في مطار اللد والتي شارك فيها الياباني كوزو أكوموتو. وفي مرحلة لاحقة أقام اتصالا مع "أيلول الأسود". والآن قدم إلى باريس – على ما يبدو للإشراف على عملية الطائرة الانتحارية- ونزل في فندق صغير على بعد قليل من ميدان همدلن.

عاد القبيسي في السادس من نيسان إلى فندقه بعد أن تناول وجبة العشاء وفي الميدان كان الطاقم التنفيذي للموساد بانتظاره، انتظره شخصان على جانبي الطريق واثنان آخران في سيارة، وقد اعتمر أحدهما باروكة شعر شقراء. وعندما حانت لحظة التنفيذ حدث شيء غير متوقع، فقد توقفت بجوار القبيسي سيارة فارهة وأطلت منها امرأة جميلة وتحدثت مع القبيسي الذي صعد إلى السيارة التي غادرت المكان فورا. واتضح للطاقم أن المرأة هي مومس وقد أغوته للذهاب معها.

كادت العملية كلها تفشل بسبب مومس. لكن قائد العملية هدأ روع الطاقم قائلا: "سوف تعيده إلى هنا بعد قليل". لقد كان الرجل على حق، فلم تكد تمضي عشرون دقيقة حتى عادت السيارة وأنزلته، وبدأ يسير باتجاه فندقه، وفي هذه اللحظة اعترضه اثنان من الطاقم. وقد أدرك القبيسي فورا ما سيحدث، فصاح بالفرنسية: "لا، لا تفعلوا ذلك"، بيد أن تسعة عيارات نارية

أوقفت باقي الجملة في حلقه، وسقط بالقرب من كنيسة همدلن، في حين اختفى أعضاء الطاقم بسرعة.

في صبيحة اليوم التالي كشفت الجبهة الشعبية – على غرار ما حدث في قضية زعيتر- العمل الحقيقي للبروفيسور في قيادة الجبهة.

قتل جنود وحدة كيدون في غضون الأشهر التالية عددا من رسل "أيلول الأسود" في اليونان، ممن توجهوا إلى هناك لشراء سفن من أجل ملئها بالمتفجرات ودفعها إلى الموانئ الإسرائيلية. لكن ترى أين كان علي سلامة؟ كان موجودا في أمان في قيادته يخطط للعمليات التالية، وأولها سيطرة رجال "أيلول الأسود" على السفارة الإسرائيلية في تايلند، لكن الضغوط التي مارسها الجنرالات التايلنديون الأشداء وبمساعدة ووساطة المصريين، أفرج رجال "أيلول الأسود" عن الرهائن وغادروا بانكوك.

كانت العملية التالية لعلي سلامة أكثر جرأة، فقد اقتحم رجاله المدججون بالسلاح السفارة السعودية في الخرطوم وألقوا القبض على جميع الطاقم الدبلوماسي الأجنبي في العاصمة السودانية، لكنهم أفرجوا عن غالبية الرهائن بأمر من عرفات، وأبقوا في أيديهم السفير الأميركي كليئو نوال، ونائبه جورج كرتيس مور، والسفير البلجيكي جي إيد. وبناء على أوامر علي سلامة قاموا بقتلهم بوحشية بالغة، حيث قاموا أولا بإطلاق النار على سيقانهم ثم على ركبهم وبطونهم وفي النهاية على القسم العلوي من أجسادهم، وقد قامت السلطات السودانية باعتقالهم، لكنها أطلقت سراحهم بعد وقت قصير.

رد العالم باشمئزاز على عملية القتل الدبلوماسية الوحشية، الأمر الذي أشعر إسرائيل بأنها ستحظى بالدعم إذا ما وجهت ضربة قاصمة إلى "أيلول الأسود"، وبناء على ذلك وافقت جولدا مائير على تنفيذ عملية "ربيع الشباب".

توجه سائح بلجيكي يدعى جيلبر ريمبو في الأول من نيسان 1973 إلى فندق ساندس في بيروت ونزل فيه. وفي نفس اليوم وصل سائح آخر إلى الفندق يدعى ديتر ألتنودر. لم يكن السائحان يعرفان بعضهما البعض، وقد حجز كل واحد منهما غرفة تطل على البحر. وفي السادس من نيسان وصل ثلاثة سياح آخرين إلى الفندق: أندرو فيتشلاو البريطاني الذي يرتدي

ملابسه بصورة أنيقة، وشارل بوسار البلجيكي الجنسية، وجورج ألدر البريطاني هو أيضا. وفي نفس الوقت سجل بريطانى آخر يدعى أندرو مييسي نفسه في فندق أطلنطك.

قام الستة بجولات واسعة في بيروت كل واحد منهم على حدى وتعرفوا على المدينة ودرسوا شوارعها، واستأجر كل منهم سيارة قوية – في الغالب أميركية الصنع- من شركتي أفيس ولنكار، وبذلك استكملوا المرحلة الأولية للعملية.

أبحرت في التاسع من نيسان قافلة مؤلفة من تسع سفن صواريخ حربية إسرائيلية وانخرطت في طرق الإبحار الدولية. كانت السفينة المسماة "مبطاح" تقل وحدة مظليين بقيادة المقدم أمنون ليفكيين شاحك. وكانت هذه الوحدة مكلفة بمهاجمة مقر الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، والتي تعتبر منظمة إرهابية خطرة وذات توجهات ماركسية مشوهة. أما السفينة "جاعش" فقد حملت وحدة مظليين أخرى ودورية استطلاع هيئة الأركان بقيادة أيهود باراك، وقد كلفت هذه الوحدة بمهمة أخرى. لقد تسلم كل واحد منهم قبل انطلاقه إلى المهمة أربع صور لأبو يوسف – محمد يوسف النجار- القائد الأعلى لأيلول الأسود، وكمال عدوان – كبير ضباط عمليات حركة فتح، والمسؤول عن عمليات "أيلول الأسود" في المناطق التي تحتلها إسرائيل، وكمال ناصر، الناطق باسم حركة فتح. وقد قيل للجنود أن هؤلاء الثلاثة يسكنون في نفس العمارة في شارع الفردان. أما الصورة الرابعة فكانت لعلي حسن سلامة، والذي لم يكن أحد يعلم أين يمكن العثور عليه.

كان المظليون يرتدون ملابس مدنية. وفي حوالي الساعة التاسعة عندما اقتربت السفن من الساحل اللبناني، اعتمر المظليون باروكات وتظاهروا بأنهم سكارى. أما أيهود باراك فارتدى ملابس شابة جميلة، ووضع في "صدريتها" الكبيرة عدة عبوات ناسفة.

وعلى غرار ما يحدث في الأفلام اندفعت زوارق مطاطية صغيرة إلى شاطئ بيروت، ناقلة الجنود من الزورق الأم. وعلى الشاطئ وجدوا السيارات الستة بانتظارهم وفي كل واحدة منها يجلس سائح من السياح الستة أنفي الذكر. وكان كل جندي يعرف السيارة التي يجب أن يتوجه إليها، ولم تكد تمضي دقائق حتى انطلقت السيارات باتجاه الأهداف بسرعة كبيرة.

نقلت بعض السيارات المظليين إلى قيادة الجبهة الديمقراطية في شارع الخرطوم، أما السيارات الأخرى فتوجهت نحو العمارة التي يسكنها رؤساء "أيلول الأسود". اقتحم المظليون مبنى الجبهة الديمقراطية بعد أن تغلبوا على الحراس في معركة قصيرة بالنار، وقد قتل خلال تبادل إطلاق النار جنديان إسرائيليان، ثم قام المظليون بوضع عبوة ناسفة تبلغ زنتها ثمانين كيلو جراما من المتفجرات على مداخل المبنى وفجروها.

هاجم جنود المظليين والكوماندو البحري في نفس الوقت قواعد المسلحين جنوبي بيروت في عملية تمويه لإبعاد نظر المسلحين والجيش اللبناني عن العملية الأساسية. وفي نفس الوقت اقتحم الجنود المبنى في شارع الفردان، وبينما هم يهمون باقتحام المبنى مر شرطيان لبنانيان بالمكان وشاهدا أمامهما رجلا وامرأة متعانقين كعاشقين متيمين. كان الرجل الذي يعانق المرأة موكي بيتسر – أحد أشد المقاتلين في دورية استطلاع هيئة الأركان، أما الفتاة فلم تكن سوى أيهود باراك.

واصل الشرطيان طريقهما، وحينما أصبح الوضع ملائما اندفع جنود دورية هيئة الأركان داخل المبنى، واقتحما في نفس الوقت شقة كمال عدوان في الطابق الثاني، وكمال ناصر في الطابق الثالث، وأبو يوسف في الطابق السادس. لم تكن هناك أية فرصة أمام القادة الفلسطينيين الثلاثة أمام القوة المهاجمة. وعندما اندفع الجنود إلى شققهم حاولوا الوصول إلى أسلحتهم، بيد أن المظليين كانوا أسرع منهم، وقتلوهم في غضون دقائق. حاولت زوجة أبو يوسف الدفاع عنه بجسمها فأصيبت هي أيضا برصاص الجنود. كما وقعت امرأة أخرى ضحية للعملية وهي إيطالية كهلة تسكن في الشقة المواجهة لشقة عدوان. لقد سمعت الضجة وفتحت الباب لترى ما يحدث فقتلها الجنود بصلية بندقية. وقد أخذ الجنود كميات كبيرة من الوثائق التي وجدوها في خزائن وأدراج رؤساء "أيلول الأسود".

عندما انتهت العملية سارع الجنود لركوب السيارات التي جاءت بسرعة لالتقاطهم والتقاط المصابين في شارع الخرطوم والفردان. واتجهت السيارات مباشرة إلى الشاطئ حيث كانت الزوارق المطاطية بالانتظار.

ترك رجال الموساد السيارات الستة على الساحل بعد أن أوقفوها إلى جوار بعضها، وتركوا المفاتيح فيها. وبعد بضعة أيام قامت شركة أميركان إكسبرس بدفع مبلغ مالي مقابل استئجار السيارات إلى أصحابها.

صعد المظليون ورجال الموساد إلى الزوارق المطاطية التي اختفت في عتمة الأمواج حتى وصلت إلى السفن الحربية الراسية، فالتقطتهم واتجهت إلى إسرائيل.

لقد توجت العملية بنجاح تام، فقد انهار مبنى الجبهة الديمقراطية على رؤوس العشرات من أعضائه، وقتل كبار مسؤولي أيلول الأسود وعلى رأسهم القائد الأعلى أبو يوسف النجار. بيد أن ما لم يعرفه المظليون هو أن علي سلامه كان ينام على بعد خمسة أمتار من المبنى في شارع الفردان دون أن يزعجه أحد.

وعندما اتضح أن أبو يوسف النجار قتل، وجد علي سلامه نفسه قائدا جديدا لـ"أيلول الأسود". والحقيقة هي أن عملية "ربيع الشباب" كانت بمثابة بداية النهاية لـ"أيلول الأسود"، حيث لم تقم قيامة لهذه المنظمة بعد أن قتل جميع قادتها ما عدا قائد واحد.

عندما انتهى فحص الوثائق والمستندات التي أخذها الجنود من منازل القادة الفلسطينيين، تمكنت إسرائيل من حل لغز قضية كبيرة شغلت الموساد منذ سنتين، وهي قضية "كوماندو الفصح".

هبطت في إسرائيل في نيسان 1971 امرأتان فرنسيتان تحملان جوازي سفر مزورين. بيد أن قوات الأمن الإسرائيلية التي كانت على علم بقدومهما أخذتهما إلى غرفة جانبية حيث جرى تفتيشهما شخصيا وتفتيش حقائبهما. كانت ملابس الفتاتين تزن ضعفي وزنها الحقيقي، وقد اكتشف رجال الشرطة أن الملابس غمست في مادة بيضاء وتركت لتجف عليها وفيها، وحينما أزيلت هذه المادة البيضاء اتضح أنها مواد بالستية شديدة الانفجار وتبلغ زنتها خمسة كيلوجرامات. وعثر رجال الشرطة في حقيبة إحداهما على عشرات صواعق التفجير.

انهارت الفتاتان واعترفتا أنهما أختان، وهما ابنتا رجل أعمال مغربي ثري، واسمهما نادية ومادلين برادلي. وأن شخصا معينا أرسلهما من باريس، وقد وافقتا على تهريب المواد المتفجرة نظرا للمغامرة الشيقة في عملية التهريب.

وبعد الظهر داهم رجال الشرطة غرفة صغيرة في فندق كومودور واعتقلوا فرنسيين كبيرين في السن: بيير وأديت بورجهلتر. وعندما فكك رجال الشرطة جهاز الترانزستور الذي جلبه الكهلان معهما من باريس وجداه مليئا بأجهزة توقيت الانفجار.

في صبيحة اليوم التالي وصلت إلى إسرائيل قائدة العملية، وهي فتاة جميلة تناهز السادسة والعشرين وتدعى في جواز سفر فرنسي أدلين ماريه، لكن اسمها الحقيقي كان أفلين برج، وهي معروفة جيدا للمخابرات بوصفها مخربة محترفة وماركسية متشددة، وقد سبق أن شاركت في عدة عمليات تخريبية في أوروبا.

اعترف أعضاء "كوماندو الفصح" أنهم كانوا يعتزمون تفجير العبوات الناسفة في تسعة فنادق في تل أبيب في أوج الموسم السياحي، وقتل العديد من السياح والإسرائيليين، مما سيؤدي إلى توجيه ضربة شديدة للسياحة في إسرائيل.

لقد تم إرسال كل هذه المجموعة إلى السجن، بيد أن الشخص الذي دبر كل هذه العملية كان لا يزال حرا طليق السراح، ويدعى محمد بودية، وهو جزائري وسيم، ومدير مسرح في باريس ويقوم أيضا بالتمثيل. إنسان مثقف ومفكر، وفنان يحظى بالتقدير والذي كانت حياته على المسرح ليست سوى غطاء لحياته السوداء على أرض الواقع، وهو عشيق أفلين برج، ومتورط في قصص غرامية بلا نهاية. إن علاقاته مع العديد من الفتيات اللاتي كن – على ما يبدو عاشقات له- دفعت الموساد لاطلاق اسم "أزرق الذقن"عليه. كان بودية على علاقة بجورج حبش والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

انضم بودية بعد سنة من إلقاء القبض على "كوماندو الفصح" الى "أيلول الأسود"، وأصبح رئيسا لهيئة المنظمة في فرنسا ومساعدا لعلي سلامة في أوروبا، وقد تورط في قتل خضر كانو، الصحفي السوري الذي يعمل في باريس واشتبه بكونه عميلا للموساد.

كان بوديه مسؤولا عن رسل "أيلول الأسود" في أوروبا وشريكا في التخطيط للعملية التي وقعت في معسكر المهاجرين من الاتحاد السوفييتي الذي أقيم في فيينا.

اتخذ بودية في أعقاب اغتيال الهمشري وسائل حذر غير عادية، الأمر الذي خلق صعوبات جمة في متابعته ومراقبته. وفي شهر أيار 1972 وصلت مجموعة من عملاء (متسادة)

إلى باريس وحاولت العثور على بودية، وكان لديها معلومات حول عشيقته الجديدة، وقاموا بالتناوب على مراقبة منزلها، وقد شاهدوا بودية عدة مرات يأتي بصورة فجائية إلى منزلها ويدخل، لكن في صبيحة اليوم التالي عندما يخرج سكان العمارة ذاهبين إلى أعمالهم لم يكن يخرج معهم، وكأن الأرض انشقت وابتلعته. وبعد حوالي شهر، وعندما قام عملاء الموساد بمقارنة تقاريرهم اتضحت ظاهرة غريبة. ففي صباح كل ليلة كان بودية يأتي إلى شقة عشيقته لقضاء الليل، كانت تخرج امرأة ضخمة الجثة من العمارة وهي تضع على رأسها باروكة شعر مختلفة في كل مرة. لقد أدرك عملاء الموساد الآن أن بودية استغل مهارته في المكياج بوصفه ممثلا وتنكر في صورة امرأة إبان خروجه من المبنى. لكن في هذا الوقت الذي اكتشف العملاء أين يختفي بودية كف عن القدوم إلى شقة عشيقته، الأمر الذي أفقدهم آثاره.

كان عملاء الموساد على علم بأمر واحد يمكنه أن يقودهم إليه، وهو أنه كان يمر كل صباح في محطة القطارات التحتية "إتوآل" الواقعة تحت بوابة النصر، هي محطة كبيرة للغاية، وعبارة عن مجمع لعشرات القطارات التحتية، التي تقل يوميا ملايين الأشخاص، فكيف يمكن العثور على شخص ما وسط كل هذه الملايين، وخصوصا بوديه الذي لا يعتبر شخصا يعرفون وجهه، بل شخصا ذا ألف وجه؟ لكن لم تكن هناك أية خيارات، وقد تم استدعاء جميع عملاء الموساد في أوروبا، وتسلم عشرات الإسرائيليين صورة بوديه ووقفوا في جميع الممرات والمعابر والأرصفة في المحطة الهائلة.

مضت ثلاثة أيام دون أن يجد جديد، بيد أن أحد العملاء اكتشف في اليوم الرابع بوديه الذي كان متنكرا ويضع الكثير من المساحيق على وجهه، بيد أنه كان فعلا الرجل المطلوب. وفي هذه المرة لازموه كظله حتى صعد إلى سيارته التي أوقفها قريبا من المكان، فلاحقوه طيلة اليوم، وراقبوا سيارته أيضا في ساعات الليل. وفي صبيحة التاسع والعشرين من حزيران 1973 صعد بوديه إلى سيارته التي وقفت في شارع " ري دي بوسه سان برنار" بعد أن فحصها من جميع النواحي. وما كاد بوديه يجلس في مقعد السائق حتى وقع انفجار كبير دمر السيارة وقتله فورا. ويقول المراسلون الصحفيون أن تسفي زمير كان من بين الأشخاص الذين كانوا يتفرجون على ما حدث.

****

لم يجد رؤساء الموساد الوقت الكافي للاحتفال بنجاح العملية، فقد جاءهم نبأ عاجل يقول: إن علي حسن سلامة اجتاز أوروبا بصورة ملتوية وغريبة، ووصل إلى بلدة ليلهامر النرويجية. ولم تمض بضعة أيام حتى كان طاقم من وحدة "كيدون" تحت قيادة مايك هراري منتشر في ليلهامر. ولم يكن أحد يعرف ما الذي يفعله علي حسن سلامه في هذه المدينة الجبلية الهادئة.

انتشر أعضاء الطاقم، وعثروا فورا على علي حسن سلامة يتجول في أحد مطاعم المدينة، والتقطوا صورا له، وأرسلوها إلى الموساد الذي أكد خبراؤه بأنها صور علي حسن سلامة. وبناء على ذلك لازم طاقم الموساد الرجل وتابعه مثل ظله، وقام بإعلام هيئة الموساد بتحركاته داخل المدينة، وشاهده بصحبة شابة نرويجية حامل.

تم اتخاذ جميع الخطوات اللازمة لتنفيذ العملية، وقدم عملاء موساد آخرون من إسرائيل، ومن بينم تسفي زمير. أوكلت عملية الاغتيال إلى جونثان إينجلبي ورولف باهر وجرار أميل لافون. قام الطاقم باستئجار سيارات وغرف في فنادق. وهناك من يقول أن سكان المدينة لاحظوا فورا الدلائل غير المالوفة: تواجد عدد كبير من السياح الأجانب في ليلهامر، وسياراتهم المندفعة في كل مكان، وهو الأمر الذي لم يكن مألوفا في أيام الصيف.

وفي الساعة العاشرة وخمس وثلاثين دقيقة ليلا من الحادي والعشرين من تموز 1973 خرج علي حسن سلامه بصحبة الفتاة النرويجية من السينما التي دخلاها لمشاهدة فيلم "النسور هاجمت في ساعات الفجر"، وصعد الاثنان إلى حافلة وترجلا منها في شارع هادئ وخال من الناس، وفجأة توقفت إلى جوارهما سيارة بيضاء وقفز منها رجلان وفي أيديهما مسدسين، وأطلقا النار على علي حسن سلامة أربع عشرة رصاصة، فسقط "الأمير الأحمر" على الأرض وفارق الحياة.

أمر مايك هراري أعضاء الطاقم في أعقاب العملية مغادرة النرويج فورا. وتمت عملية الإخلاء وفقا للقواعد المعمول بها: حيث خرج المكلفون بعملية الاغتيال أولا بعد أن تركا سيارتهما في أحد شوارع ليلهامر، وطارا في أول رحلة جوية من أوسلو. أما غالبية العملاء

الباقين وعلى رأسهم مايك هراراي، فخرجوا بعد ذلك، تاركين وراءهم الطاقم الذي كان من المفروض أن يخلي الشقق التي استأجروها ويعيد السيارات المأجورة. لكن اليقظة التي أبداها عاشقان تسبب في وقوع أخطر مشكلة في تاريخ الموساد حتى الآن. كان الاثنان يتعانقان في حرش قريب من ساحة الجريمة، وشاهدا إحدى السيارات واستدعيا الشرطة، الأمر الذي قلب الأمور رأسا على عقب. عثر رجال الشرطة النرويجية على السيارة، واعتقلوا عميلي الموساد دان أربيل ومريان جلدنيكوف واللذين لم يصمدا في التحقيق وانهارا. أدت اعترافاتهما إلى اعتقال سيلفيا رفائيل وإبراهام جمر، كما تم اعتقال عميلين إسرائيليين آخرين في نفس اليوم.

كشف أربيل وجلدنيكوف الكثير من المعلومات السرية أمام رجال الشرطة النرويجية المذهولين: أسماء المشاركين الآخرين في العملية، والعناوين التي يلجأون إليها في النرويج وفي أوروبا، أوامر وقواعد التعامل، أرقام التليفونات المختلفة وأساليب عمل الموساد. وبناء على ذلك قامت الشرطة بمداهمة شقة في أوسلو وضبطت هناك وثائق، واكتشفت العلاقة مع السفارة الإسرائيلية والتي يديرها يجآل إيل ضابط أمن السفارة. كان الانهيار كاملا. وفي صبيحة اليوم التالي نشرت وسائل الإعلام النرويجية نبأ اعتقال عملاء الموساد الإسرائيلي، الأمر الذي اعتبر بمثابة ضربة ساحقة لمكانة وكرامة الموساد، والأدهى من ذلك أن وسائل الإعلام النرويجية أفادت أن الموساد قتل رجلا بريئا وليس علd حسن سلامة. كان القتيل نادلا مغربيا يدعى أحمد بوشيكي والذي قدم إلى ليلهامر بحثا عن عمل، وتزوج امرأة وكانت في شهر حملها السابع. لقد ارتكب عملاء الموساد خطأ مصيريا في تشخيص الرجل.

قدم النرويجيون العملاء الذين ألقي القبض عليهم إلى المحاكمة وحكم على بعضهم بالسجن، ومن بينهم سيلفيا رفائيل التي مثلت أمام قضاتها باحترام وكبرياء. لقد جلبت لها هذه الحادثة الكثير من السرور، حيث أحبت محاميها وتزوجته في أعقاب قضائها فترة محكوميتها وبقيت معه في النرويج حتى توفيت بالسرطان عام 2005. ومن الجدير بالذكر إن إسرائيل اعترفت بخطئها في اغتيال بوشيكي ودفعت لعائلته تعويضا بقيمة أربعمائة ألف دولار.

عمد رؤساء الموساد في أعقاب الخطأ الجسيم الذي تم ارتكابه في ليلهامر إلى إجراء عملية فحص وتقييم جذرية، وتغيير أساليب العمل، والتخلي عن الشقق الآمنة التي كانوا

يستأجرونها في أوروبا، وهدم علاقات تم بناؤها بجهد كبير. بيد أن كل ذلك كان لا شيء إزاء الشعور بالهزيمة المرة التي مني بها الموساد في أنحاء العالم، والتي هدمت أسطورة الموساد الذي لا يهزم. وأمرت جولدا مائير زمير بوقف عملية "غضب اللـه".

قدمت أجمل امرأة في العالم في أحدى أمسيات ربيع عام 1975 إلى منزل أصدقاء لها في بيروت، كانت المرأة تدعى جورجينا رزق، والتي كانت فخورة باللقب الذي تحمله، حيث انتخبت قبل أربع سنوات ملكة جمال العالم خلال المنافسة التي جرت في ميامي بيتش. وقد حظيت الفتاة اللبنانية الجميلة بجواز ونزهات ولقاءات مع كبار الشخصيات في العالم، ثم عادت إلى لبنان، وهناك أحرزت نجاحا كبيرا كعارضة أزياء، وصاحبة محل ملابس راق.

لقد شاهدت في تلك الليلة شابا وسيما ومتحمسا، وشعر كل منهما بانجذاب شديد تجاه الآخر، وولدت بينهما محبة من النظرة الأولى. وبعد مضي سنتين، وفي الثامن من حزيران 1977 تزوجا، ولم يكن العريس السعيد سوى علي حسن سلامة.

كانت مكانته قد تحسنت جدا في غضون السنوات القليلة الماضية رغم انهيار منظمة "أيلول الأسود" تماما، فقد أصبح اليد اليمنى والابن بالتبني لياسر عرفات، وأفادت الشائعات أنه سيعين وريثا له.

عين علي حسن سلامة في أعقاب تصفية "أيلول الأسود" قائدا للقوة 17 والتي تعتبر وحدة الأمن والاستخبارات الخاصة لحركة فتح والتي كانت تعتبر مسؤولة عن الأمن الشخصي للرئيس عرفات. لقد رافق علي حسن سلامة عرفات حينما دخل إلى الجمعية العمومية للأمم التحدة وهو يحمل غصن زيتون في يده، وصاحبه أيضا في رحلته إلى موسكو ولقاءاته الأخرى مع كبار الشخصيات العالمية، وتحول أيضا – رغم عدم ارتياح إسرائيل – إلى عميل لوكالة المخابرات الأميركية "سي.آي.إيه". لقد قررت الوكالة في أحد أخطائها الكبيرة، تجاهل طابع "الأمير الأحمر"، وتجاهل الأعمال التي قام بها في السابق تجاهها، مثل قتل الدبلوماسين الأميركيين في الخرطوم، وتحويل سلامه إلى مخبر لها. قررت تجاهل حقيقة أن سلامة كان أحد كبار المخربين في العالم، واعتقدت بسذاجة أنه سيكون مخلصا لها، وبذلك أثبت الأميركيون مرة أخرى إنهم لا يفهمون الشرق الأوسط. عرضت الوكالة على علي سلامة مئات آلاف الدولارات

بيد أنه رفضها، ورغم ذلك وافق على الذهاب في إجازة طويلة مع جورجينا رزق إلى جزر هاواي على حساب الوكالة.

تغيرت حياة علي سلامة، وخيل لأصدقائه أن الأخطار التي كانت تهدد حياته اختفت هي أيضا، بيد أنه كان يشعر أن أيامه معدودة، لذا لم يكف عن الحديث عن موته الوشيك، وقد قال لمراسل مجلة التايم: "عندما يحين مصيري ستأتي النهاية، ولن يستطيع أحد إنقاذي". ويبدو أن إسرائيل قررت أن يحين مصيره.

تغيرت الكثير من الأشياء في إسرائيل منذ انهيار "أيلول الأسود"، فقد تخلت جولدا مائير عن منصبها في أعقاب حرب 1973، واضطر خليفتها اسحق رابين للاستقالة عندما اتضح أنه وزوجته يحتفظان في واشنطن بحساب بنكي بالدولار بصورة مخالفة للقانون الإسرائيلي. وانتخب مناحم بيجن رئيسا للحكومة، ووقعت اتفاقية السلام مع مصر، وعين اسحق حوفي – قائد القطاع الشمالي سابقا - رئيسا للموساد. واختطفت طائرة شركة "إير فرانس" إلى عنتيبا، وقامت إسرائيل باستردادها وتخليص الرهائن في عملية جريئة، وقد لعب الموساد في هذه العملية دورا كبيرا، بيد أنه لم يكن مركزيا.

واصل المسلحون الفلسطينيون تنفيذ عملياتهم في إسرائيل، الأمر الذي عزز لدى إسرائيل الرغبة في توجيه ضربة مرة أخرى إلى قيادتهم. أرسل الموساد إلى بيروت أحد عملائه من أجل البحث عن علي حسن سلامة والعثور عليه، ونجح في الوصول إلى نادي اللياقة البدنية الذي يتدرب فيه سلامه بصورة دائمة، وذات مرة وجد العميل نفسه وجها لوجه مع علي سلامه العاري في حمام الساونة. درس الموساد إمكانية قتل سلامة عبر زرع عبوة ناسفة في نادي اللياقة البدنية، لكنه تخلى عن الفكرة حينما اتضح أنها ستوقع ضحايا مدنيين. وحينها ظهرت في بيروت أريكه ماري تشمبرس،وهي بريطانية عزباء تناهز الخامسة والثلاثين، غريبة الأطوار، وقد سكنت في ألمانيا خلال السنوات الأربعة الماضية.

استأجرت أريكه شقة في مبنى يقع في زاوية شارع فردان ومدام كيري، وقد اعتاد جيرانها تسميتها "بنلوفه" وقد أعلمتهم أنها ممثلة لرابطة دولية تعالج مشاكل الأطفال الفقراء، وقد شاهدها الكثيرون فعلا في المستشفيات ومؤسسات الإغاثة. وهناك من يقول إنها تعرفت على علي حسن

سلامه. كانت أريكه وحيدة تماما، وكانت تكسر وحدتها عبر التجوال في الشوارع وإطعام القطط ، كما كانت تجلس ساعات طويلة أمام نافذة منزلها ترسم مناظر بيروت، وإضافة إلى ذلك اهتمت أريكه بحركة سيارتين كانتا تعبران يوميا تحت نافذة غرفتها، الأولى سيارة شبرولت ستيشن بنية والثانية سيارة جيب لاند روفر يسير في أعقابها. كانت أريكه تسجل يوميا بحرص بالغ موعد عبور السيارتين الدقيق كل صباح من حي صبرا إلى شارعي مدام كيري وفردان، ثم تتجه جنوبا نحو قيادة حركة فتح، ثم تعود السيارتان في ساعات الظهر من نفس الطريق، ثم تظهر مرة أخرى بعد الظهر في طريقها جنوبا. كانت أريكه تراقب السيارة الأولى بمنظار مكبر وتشاهد المرة تلو الأخرى علي حسن سلامه جالسا بين حارسيه خلف السائق، أما السيارة الثانية فكانت مليئة بالمسلحين.

لا شك أن حراس علي سلامة كانوا قادرين على الدفاع عنه بأجسادهم، بيد أنهم لم يكونوا قادرين على إنقاذه من أكبر أعداء أي شخص يعمل بصورة سرية، وهو الروتين. فمنذ زواجه من جورجينا رزق اعتاد علي حسن سلامة الذهاب إلى عمله بوصفه موظفا مواظبا وملتزما صباح كل يوم، وكان دائما يتوجه إلى قيادة حركة فتح في نفس الطريق، ويعود ظهرا إلى منزله أيضا في نفس الطريق لتناول الغداء مع زوجته، لقد نسي جميع الأسس التي يقوم عليها العمل السري والتي تقول:" لا يجب أبدا أن تنتهج نهجا ثابتا، ولا تمر بنفس الطريق وخصوصا في أوقات متقاربة".

تلقت وكالة "لنكار" في الثالث عشر من كانون الثاني 1979 محادثة تليفونية من لندن تقول إن سائحا يدعى بيتر شريبر سيصل إلى بيروت في الثامن عشر من الشهر، ويرغب في استئجار سيارة صغيرة. لقد وصل شريبر حقا في التاريخ المذكور، وحجز غرفة له في فندق مديترانه وحصل على السيارة المطلوبة، وهي من طراز "فولكس واجن جولف".

وفي نفس اليوم اجتمع مع سائح كندي يدعى رونالد كولبيرج، والذي كان قد وصل قبله بيوم واحد إلى بيروت ونزل في فندق "رويال جاردن" واستأجر هو أيضا سيارة من شركة "لنكار" من نوع "سيمكه كرايزلر"، ثم قامت أريكه هي أيضا باستئجار سيارة "داتسون" من نفس الشركة بدعوى أنها تعتزم القيام بجولة جبلية، وأوقفتها غير بعيد عن منزلها.

اقتربت في نفس الليلة ثلاث سفن صواريخ إسرائيلية إلى ساحل مهجور يقع بين بيروت وميناء جونيه، وأفرغت عبوة ناسفة كبيرة، وقد كان شريبر وكولبيرج في المكان وأخذا العبوة الناسفة.

أوقف شرييبر سيارته في الحادي والعشرين من كانون الثاني في شارع فردان في مواجهة شقة أريكه، ثم أوقف سيارة وانطلق بها إلى المطار وطار إلى قبرص، وقام بير كولبيرج أيضا بترك الفندق الذي كان ينزل فيه وانتقل إلى فندق آخر في جوني'

قضى علي حسن سلامة ذلك اليوم بعد الظهر في منزله، وفي تمام الساعة الرابعة إلا ربعا صعد إلى سيارته، وصعد حراسه إلى سيارة الجيب، وشقت القافلة طريقها باتجاه قيادة حركة فتح.

انطلقت السيارتان في شارع مدام كيري، ثم اتجهتا نحو شارع فردان. كانت أريكه تطل على المكان من الطابق الثامن وهي تمسك في يدها جهاز سيطرة عن بعد، وعندما أصبحت سيارة علي سلامة بمحاذاة سيارة "الفولكس واجن" ضغطت أريكه على الجهاز، مما أدى إلى انفجار سيارة "الفولكس واجن" بصوت هائل جدا وتحولت إلى كرة نار، وسرعان ما أمسكت النيران بسيارة علي سلامه التي انفجرت هي أيضا، وتطايرت الشظايا في جميع الاتجاهات، وتحطمت حوانيت المنازل القريبة، وقد شاهد المارة جثث ركاب سيارة شبرولت بين بقاياها المحترقة. سارعت سيارات الإسعاف إلى المكان وأخرجت من السيارة أربع جثث: السائق والحارسين الشخصيين وعلي حسن سلامة.

وفي دمشق حيث كان ياسر عرفات يشارك في اجتماع في فندق مريديان، حمل رسول مذعور رسالة وسلمها إليه، وحينما قرأها عرفات انفجر بالبكاء.

اقتربت سفينة حربية إسرائيلية في نفس الليلة من ميناء جونية وأنزلت زورقا مطاطيا شق طريقه إلى الساحل حيث كان بانتظاره رولاند كولبيرج وأريكه تشمبرس، فصعدا إلى الزورق الذي توجه إلى السفينة الحربية.

إن اسم أريكه ماري تشمبرس هو الاسم الحقيقي لعميلة الموساد، وهي يهودية بريطانية كانت تعيش في بريطانيا وأستراليا قبل أن تهاجر إلى إسرائيل. وقد قام الموساد بتجنيدها خلال فترة دراستها في الجامعة العبرية. كانت هذه العملية هي نهاية المطاردة، ونهاية عملية "غضب الـلـه". لقد تمت تصفية "أيلول الأسود" ولم تقم له بعد ذلك قائمة.

الفصل الثالث عشر

----

*مسؤولو الجالية اليهودية في سورية طالبوا الموساد بإخراج الفتيات اليهوديات من سورية لأنهن لا يجدن يهوديا يتزوجهن .

*"عملية الغطاء"..عملية قام حسبها أربعة عملاء موساد بالعديد من الرحلات إلى دمشق وهربوا مجموعات من الشبان والشابات اليهوديات عبر البحر إلى إسرائيل.

* يوآل إدري.. مقاتل سابق في الكوماندو البحري الإسرائيلي وشارك في العديد من العمليات الجريئة وفي أعقاب إحدى العمليات في دولة عربية القي القبض عليه وعذب لكنه لم يعترف.

* يوآل قدم قصة التغطية لسفره إلى دمشق: فهو طالب في علم الآثار وقد جاء لزيارة أماكن أثرية في سورية من أجل إعداد مشروع التخرج من الجامعة التي يدرس فيها وحصل على مساعدة الملحق الثقافي السوري.

* أعضاء المجموعة قاموا خلال الفترة الواقعة بين أيلول 1972 ونيسان 1973 بعشرين عملية نقل مماثلة ليهود سورية عبر سواحل طرطوس، وسواحل لبنان بنجاح تام.

عمليات العرائس
السوريات
"الفتيات بالانتظار في شارع البردوس"

بعد تسع سنوات من شنق إيلي كوهن في دمشق جلس عميل موساد إسرائيلي شاب في طائرة تابعة لشركة الطائرات السورية "سيريا إير" في طريقه إلى العاصمة السورية. كان الإسرائيلي يوآل إدري - اسم مستعار- يشعر بتوتر كبير فيما بدأت الطائرة تحلق فوق المطار استعدادا للهبوط في دمشق. كان يعرف أنه يضع روحه على كفه حينما يقوم بدخول دولة معادية قاسية سبق لها أن عذبت وأعدمت عميلا إسرائيليا سبقه في الدخول إليها. كان يعرف تماما بأنه إذا ما ألقي القبض عليه، فإن مصيره الموت.

بدأ طاقم الطائرة في اتخاذ الاستعدادات الأخيرة للهبوط، ووجد العميل أن المشاعرالتي تنتابه ممزوجة بالكثير من المخاوف، وبدأ يتخيل عمليات التعذيب التي سمع أن السوريين مارسوها على الطيارين الذين سقطت طائراتهم في الأراضي السورية.

كان يوآل شابا وسيما في السابعة والعشرين من العمر، وكان في السابق مقاتلا في الكوماندو البحري طيلة خمس سنوات، وشارك في العديد من العمليات الجريئة، وفي أعقاب إحدى العمليات التي نفذت ضد قاعدة مسلحين في دولة عربية بعيدة، تمكن الجيش المحلي لتلك الدولة من إلقاء القبض عليه، وضربه وتعذيبه لكنه لم يعترف بأي شيء، وفي النهاية تم إطلاق سراحه، فعاد إلى إسرائيل عبر روما، وخلال عودته دعاه الموساد لاستجوابه على وجه السرعة. لم يكن رؤساء الموساد معتادين على أن يتمكن عملاؤهم الذين يتم إلقاء القبض عليهم في الدول العربية - وخصوصا إذا كانت دولة عربية متشددة -من الخروج سالمين فقط بفضل ذكائهم وإجادتهم للغة.

قام رؤساء الموساد باستجوابه استجوابا شاملا، وشارك في عمليات الاستجواب تسفي زمير رئيس الموساد ومايك هراري رئيس وحدة قيسارية - شعبة عمليات الموساد. ويبدو أن

الاثنين أعجبا بمقدرته وكفاءته لأنهما في نهاية الاستجواب، وبعد أن تناول وجبة الغداء في قيادة الموساد عرضا عليه الانضمام إلى الموساد.

رفض يوآل العرض في البداية، لكنه في النهاية وبوصفه شابا يعشق المغامرة وافق، فقام الموساد باستعارته من سلاح البحرية، حيث اجتاز دورة تأهيل مكثفة تعلم خلالها العمل الأساسي للعميل السري، وأرسل إلى دولة أجنبية كي يبني لنفسه غطاء.

وبينما الطائرة السورية تخفض من تحليقها بدأ يستعيد في ذهنه رواية الغطاء الذي عكف عليه زمنا طويلا خلال تدريباته في الموساد. لقد حاول إعداد نفسه نفسيا وجسديا ومهنيا قبل هبوط الطائرة. لقد سبق له أن زار دولا عربية بهوية مستعارة، ففي البداية أرسل إلى العراق، حيث قضى أسبوعا ممتعا في بغداد، ثم أرسل إلى بيروت حيث قام بجولات وصادق عددا من الشبان هناك، وتوجه إلى سورية في سيارة من بيروت مع مجموعة من الأصدقاء، وتجول في أسواق دمشق وفي أحيائها العتيقة. لكنه كان يعرف بأن الزيارة الحالية مختلفة تماما، كان عليه أن يهتم بنفسه وحده، ويجب عليه حين الضرورة مواجهة المخابرات السورية الموجودة في كل مكان بانتظار الفريسة.

قبل سفره بنى له الموساد قصة التغطية لسفره إلى دمشق: فهو طالب في علم الآثار وقد جاء لزيارة أماكن أثرية في سورية من أجل إعداد مشروع التخرج من الجامعة التي يدرس فيها.

وقبل سفره توجه إلى القنصلية السورية في باريس لطلب فيزة زيارة، وقد قابله الملحق الثقافي بسرور، فهو لا يستقبل كل يوم طالب أوروبي يرغب في إعداد مشروع التخرج عن سورية، لذا قام بتزويده باسم وعنوان البروفيسور حليمي المحاضر في كلية الآثار السورية في جامعة دمشق.

دعا يوآل الملحق السوري لتناول العشاء معه وتمكن خلال لقائهما من استخلاص الكثير من المعلومات منه حول دمشق، وفنادقها ومطاعمها ومواصلاتها وحول شخصيات محلية يمكنها أن تساعده وما شابه.

هبطت الطائرة في مطار دمشق، وحينما وصل إلى مكتب الجوازات قدم التوصية التي جلبها معه من الملحق السوري فحظي بابتسامة من الضابط. وبعد قليل كان قد خرج من المطار

إلى الشارع الذي يغص بالناس والسيارات والصيحات. وقد توجه إليه سائقو سيارات التاكسي، بيد أنه اختار سائقا يتحدث الفرنسية، فقد كان يعرف أنه سيحتاج إلى سائق يصاحبه دائما نظرا لعدم وجود مكاتب لتأجير السيارات في سورية.

قاده سائق السيارة إلى فندق "بلميره يسمينه" في شارع 29 آيار، وقام بتسجيل اسمه وترك جواز سفره لدى موظف الاستقبال مثلما هو مألوف في سورية. وعندما دخل إلى الغرفة رقم 707 بدأ تفتيشها بذكاء لمعرفة فيما إذا كانت المخابرات السورية قد وضعت أجهزة تسجيل أو ميكروفونات في الغرفة. وقد استغرقت عملية التفتيش حوالي نصف ساعة لم يعثر فيها على أي شيء، ورغم ذلك قرر عدم التحدث من الغرفة أو إجراء لقاءات فيها.

بدأ يوآل بعد ساعة من وصوله إلى دمشق جولته فيها معلقا حقيبة صغيرة في كتفه، وحاملا كاميرا سياحية بسيطة. وفي الطريق لاحظ الأماكن التي يوجد فيها تليفونات عامة في منطقة الفندق.

كانت الأوامر التي تلقاها تنص على أن يتصل ثلاث مرات برقم معين من تليفونات عامة، وبعد يومين من المتوقع أن يجري لقاء مع ضابط اتصال.

وبناء على ما تعلمه، بدأ يدرس فيما إذا كان هناك من يتابعه، ولم تكد تمضي دقائق حتى اكتشف أن هناك شخصين يلاحقانه على الرصيف. كان الاثنان يحافظان على بعد آمن منه وفي بعض الأحيان كانا يقفان بجوار محلات في الشارع لإتاحة الفرصة له للتقدم.

بعد نصف ساعة دخل إلى مقهى، وجلس في الشرفة تحت إحدى الشمسيات وطلب بالفرنسية ساندويش لحمة وزجاجة كوكاكولا، وتظاهر بأنه يقرأ صحيفة لافيجارو الفرنسية باهتمام، لكنه كان يراقب من زاوية عينه الشخصين اللذين يتبعانه واللذين كانا يتحركان من نافذة محل تجاري إلى آخرى كي لا يلاحظهما. وعندما عاد إلى الفندق صعد إلى غرفته بيد أنه لم يشعل النور، وتوجه إلى النافذة، ونظر من خلف الستائر بحذر فشاهد المراقبين وقد تحولا إلى أربعة مراقبين، ويبدو أنه أطل في لحظة تبديل المراقبين، لأن الاثنين اللذين كانا يتابعانه غادرا المكان في حين جلس الاثنان الآخران في سيارة في مواجهة الفندق. وفي الصباح وجدهما حينما خرج من الفندق جالسان في نفس المكان. لقد بات واضحا له أنه تحت المراقبة الدائمة، ورغم

ذلك شعر بثقة كبيرة في نفسه وأنه يسيطر على الوضع رغم أنه لم يستطع التخلص من الشعور بالخوف حينما كان يتذكر شنق إيلي كوهن.

زار يوآل في اليوم التالي جامعة دمشق واجتمع مع البروفيسور حليمي وقضى باقي اليوم في التجوال في الأماكن السورية الأثرية وفقا للقائمة التي زوده بها البروفيسور حليمي الذي استضافه في المساء لتناول العشاء.

وفي اليوم الثالث توجه للقيام بالمهمة الهامة التي كلفه بها رجل الموساد في باريس، رغم المخاوف التي كانت تساوره. لقد كلفه بالاجتماع بشخص سوري لتلقي رسالة منه موجهة إلى القيادة في تل أبيب.

حمل صحيفة لافيجارو الفرنسية وتوجه إلى مكان اللقاء في مقهى يقع في ميدان عين زالوط. كانت صحيفة لا فيجارو هي الإشارة المتفق عليها. جلس في الشرفة الخارجية للمقهى وطلب قهوة وماء مثلما يفعل المحليون. كان المقهى يغص بالزبائن الذين يتجادلون بأصوات مرتفعة حول العديد من الموضوعات، والدخان يتصاعد من النراجيل على أنغام الموسيقى الشرقية المتصاعدة في المقهى. لم يتمكن يوآل من التركيز على ما يدور حوله فقد كان بانتظار الشخص الذي سيسلمه الرسالة في حالة توتر شديد. جاب المكان بعينيه لعله يعثر على الشخص المذكور بناء على حمله جريدة لافيجارو بيد أنه لم يجد شخصا كهذا، وفجأة حدث الأمر، حيث توجه إليه بائع متجول محمل بالكراتين الصغيرة وقال له: "سيدي، لدي بسكويت، بسكويت طري". بيد أن يوآل أزاحه بيده وقال له: "لا أريد". لكن البائع قال بلهجة متوسلة:" أرجو أن تأخذ، إنني أبيعه بسعر بخس". فصده يوآل مرة أخرى قائلا: "لا أريد".

علق البائع نظرة عميقة في صحيفة لافيجارو التي يحملها يوآل وحاول مرة أخرى قائلا: "هذا جيد، خذ". لكن يوآل واصل ارتشاف قهوته دون أن يدرك الأمر، وقال له: "أرجو أن تذهب، لا أريد بسكويت". لقد فكر للحظة إن من الجائز أن المخابرات السورية تقوم بمناورة ما معه.

لم ييأس البائع، وأخذ علبة كرتون صغير مليئة بالبسكويت وقال له: "تذوق، إنها لذيذة". وحينها فهم يوآل ما يدور، فسأله: "بكم هذه العلبة؟"، فقال البائع: "كل علبة بليرة". فتناول يوآل

من محفظته ليرة سورية، لكن البائع بادره بالقول: "يمكنك أن تأخذ علبتين بليرة ونصف". فقال يوآل بابتسامة: "حسنا هات علبتين".

أخرج البائع من كيسه الكبير علبتين ذواتا لون أزرق ملفوفتين كهدية وقدمهما له وقال بالفرنسية: "من أجل فرنسا، من أجل فرنسا". حينما أنهى مهمته غادر المكان، في حين طلب يوآل قهوة أخرى كي يهدئ من روعه.

عاد يوآل بعد بضعة أيام إلى باريس والعلبتان في حقيبته، وحينما وصل إلى مطار ديجول وجد ضابط الموساد بانتظاره. ركب الاثنان سيارة ضابط الموساد، وفي الطريق قدم يوآل العلبتين له، ثم ترجل في ميدان الباستيل وسار من هناك إلى شقته.

بعد يومين دعى يوآل إلى قيادة وحدته في الموساد في تل أبيب، وقد استقبله مسؤولو الوحدة ثم شرعوا فورا بمناقشة الهدية التي جلبها معه من دمشق. واتضح أن الرسالة من الجالية اليهودية في سورية، وقد طالب مسؤولو الجالية من إسرائيل العمل فورا على إخراج الفتيات اليهوديات من سورية، حيث أنهن لا يجدن يهوديا ليتزوجهن نظرا لأن جميع اليهود الباقين هم كهول، فغالبية الشبان غادروا سورية منذ زمن طويل والشبان الباقين يرغبون في الهجرة إلى إسرائيل.

كان النقاش غريبا، فهل يعقل أن يدرس جهاز مخابرات إمكانية البحث عن عرسان لفتيات يقمن في دولة معادية وشديدة التطرف؟ هل هو جهاز استخبارات أم مكتب زواج؟ وفي الوقت الذي اعتقد الموساد أن عليه معالجة هذه القضية، لأن يهود سورية ضمن مسؤوليته، قال يوآل:" إن مسالة يهود سورية لا علاقة لها بالموساد، بل علاقتها يجب أن تكون مع الحكومة والوكالة اليهودية، وهما الجهتان المسؤولتان عن الهجرة من الخارج إلى إسرائيل"، لكنه خلال النقاش يمثل رأيه فقط في حين كان الآخرون يمثلون الرأي الأول.

انضم رئيس الموساد تسفي زمير إلى النقاش، وكان السؤال الذي يحتاج إلى حل هو: ما الذي يتوجب فعله؟ كيف يمكن تهريب الفتيات من سورية إلى إسرائيل؟ وأشاروا خلال النقاش أن الفتيات قمن بمحاولة للخروج من سورية عبر لبنان باستخدام مهربين، لكن السوريين ألقوا القبض على قسم منهن، وسجنوهن، وعذبوهن، بل وأحيانا أطلقوا النار عليهن، وقسم وصل إلى

إسرائيل رغم جميع الصعوبات. وقد أمرت جولدا مائير الموساد بالعمل فورا من أجل تخليص الفتيات.

سأل رئيس الموساد يوآل عن رأيه في كيفية جلب الفتيات اليهوديات من سورية إلى إسرائيل؟ فقال يوآل: "بالإمكان فعل ذلك بسهولة نسبيا بالاستعانة بوحدة الكوماندو البحري 13عبر الشواطئ البحرية السورية. يجب نقل الفتيات إلى مكان اللقاء في دمشق، ومن هناك ننقلهن إلى الساحل، ومن الساحل إلى إسرائيل".

قال رئيس الموساد: "يبدو الأمر بصورة نظرية سهلا للغاية، بيد أن عملية التنفيذ في مواجهة السوريين تحتاج إلى الكثير من الذكاء والحذر، لا تستخفوا بالسوريين". وفي نهاية الاجتماع أعطى زمير الضوء الأخضر، وهكذا بدأت "عملية الغطاء" تخرج إلى حيز التنفيذ الفعلي. وهكذا وجد يوآل نفسه مرتبطا بالعملية بشدة، لذا عمد إلى تجنيد ثلاثة آخرين من الكوماندو البحري ممن يتحدثون الفرنسية والذين انضموا إلى الموساد من أجل تنفيذ العملية. وقد اجتازوا دورة تدريبية مكثفة، وحصلوا على روايات تغطية شخصية، ودرسوا الكثير من الأمور حول سورية ومواقعها التاريخية. ويبدو أنهم أيضا سيزعمون أنهم طلبة في الجامعة في باريس وأنهم يتوجهون إلى سورية من أجل استكمال مشاريع التخرج حول البنية التاريخية الأثرية السورية. أما هم فقد أطلقوا على أنفسهم اسم "رجال "كوزه نوستره" -وهو اسم المافيا السيسيلية.

نصت خطة العمل على أن يسافروا إلى باريس، وهناك يجب أن يعملوا على استيعاب قصة الغطاء، ويحفظون رواية دراستهم في جامعة باريس، ويدرسون خارطة سورية، ثم يتوجهون إلى القنصلية السورية طلبا لفيزة زيارة ومنحهم كتب توصية إلى كلية الآثار في جامعة دمشق على أن يسافروا بعد أسبوع إلى سورية.

هبط الأربعة في باريس، وقام كل واحد منهم بتسجيل اسمه في فندق آخر في المدينة، وشغلوا أنفسهم طيلة اليوم بقصص التغطية، واجتمعوا في ساعات المساء في مطعم تم تحديده مسبقا لمناقشة أمورهم. وتوجهوا ذات صباح إلى القنصلية السورية لاستخراج فيز زيارة لدمشق، وقدموا إلى القنصلية كتبا من الشعبة الأثرية في جامعة السوربون والتي كان الموساد قد أعدها مسبقا في تل أبيب تضمنت طلبا من الجامعة بالسماح لطلبتها بالقيام بجولة في المواقع الأثرية

السورية. وقد سر القنصل لمقابلة "ميشل شوكرون" – يوآل- وأن يستمع منه للزيارة الناجحة التي قام بها إلى دمشق.

وقد قال شوكرون: "قرأ زملائي المادة التي كتبتها حول الآثار في سورية، وقد أعجبوا بها ويرغبون هم أيضا بزيارة تلك الآثار وإعداد مشاريع التخرج حولها". تحمس القنصل للأقوال والطلب، وقدم لهم كتب التوصية اللازمة،ولم تمض ساعتان حتى نالوا فيز الزيارة لدمشق.

اجتمع ضابط الموساد بالأربعة قبل توجهم إلى دمشق لتوجيههم بصورة نهائية،وتحدث معهم المرة تلو الأخرى حول روايات التغطية، واقترح عليهم أن يكونوا جميعا أيتاما في روايات التغطية، لأن وجود أب سيجر وراءه الكثير من الأسئلة السورية مثل: اسم الأب، وأصله، وعمله ومكان سكنه ومهنته وغيره. ومن الجدير بالذكر أن جميع عملاء المخابرات السرية يستخدمون مسألة اليتم احتياطا كي يحولوا دون تعرضهم لتحقيقات مطولة حول الوضع الأسري إذا ما ألقي القبض عليهم.

ويقولون في الموساد: "إذا كنت تسافر على سبيل المثال في القطار في الدرجة الأولى من فرنسا إلى هولندا، ويجلس معك في عربة القطار أناس لا تعرفهم، وإذا جرى حوار بين الجالسين، فقال الأول أن: والديه توفيا، وقال الثاني إنه أصبح يتيما في سن صغيرة وكشف الثالث النقاب عن أنه ليس يتيما فقط بل أيضا أرمل، فإن ذلك يعني بوضوح أن الثلاثة هم من رجال الموساد المتجهين لتنفيذ عملية دون أن يعرف كل منهم الآخر".

قال يوآل لزملائه عشية التوجه إلى دمشق أنه في بداية انضمامه إلى الموساد سافر في القطار من باريس إلى بروكسل، وقد عثر على مكان خال في عربة يجلس فيها شخص محترم، لطيف وبشوش، وسرعان ما نشب بينهما حديث، سأله الرجل المحترم عن عائلته، فقال له يوآل: "أنه يسكن وحده في باريس وأن والديه توفيا عندما كان صغير السن". وعندما سمع الرجل المحترم تلك القصة لم يستطع ضبط نفسه وسأله: "هل تعمل مع مايك هراري؟"، وانفجر الاثنان بالضحك، وبدآ يلقيان النكات حول أوامر الموساد التي تنص على أن كل رجل موساد يجب أن يقول إنه يتيم الوالدين وأن يسافر في الدرجة الأولى في القطار.

وصل الأربعة إلى مطار أورلي، ومن هناك انطلقت طائرتهم إلى دمشق. أربعة مقاتلين من الكوماندو البحري يسافرون معا إلى دولة معادية وخطرة في طائرة شركة الطيران السورية "سيريا إير". كانوا يجلسون جميعا متقوقعين على أنفسهم وكل منهم يجتر روايات التعذيب الصعبة التي يواجهها المعتقلون في السجون السورية، إضافة إلى صورة إيلي كوهن مشنوقا. بدا الفزع على وجوه الجميع، كانوا في طريقهم إلى عرين الأسد، وإذا تم إلقاء القبض عليهم، فلن يستطيع أي شخص أو جهة إنقاذهم.

عندما هبطت الطائرة انتقل يوآل من واحد إلى الآخر لجمع جوازات سفرهم، ورأى وجوههم كدرة وصامتة، وأدرك بما يفكرون. فأخذ يتحدث معهم في محاولة لتهدئة روعهم، وطالبهم بالتفكير في أمور أخرى غير المهمة التي أرسلوا من أجل تنفيذها، "أنتم الآن على الأراضي السورية ولا يوجد طريق للعودة".

توجه يوآل بارتياح إلى ضابط جوازات سوري وتحدث معه بابتسامة عن مجموعة الطلبة الفرنسيين القادمين من أجل استكمال مشاريع التخرج، وقدم إليه كتاب التوصية الموجه من الملحق الثقافي في السفارة السورية.

أخذ الضابط جوازات سفر الأربعة، وأشار ليوآل بأن ينتظر قليلا، ثم عاد بعد دقائق حاملا الجوازات مختومة ويبتسم ابتسامة كبيرة، ويقبل المبلغ الذي قدمه إليه يوآل كرشوة، ثم تعبر المجموعة المكتب إلى غرفة الحقائب، حيث اجتازوها بسلام، واتجهوا إلى خارج المطار حيث تنفسوا الصعداء. بدأ التوتر يزول، وتعود الابتسامات إلى وجوههم من جديد، وسرعان ما أقلتهم سيارة تاكسي إلى فندق "بلميره ياسمينه"، حيث نزل كل منهم في غرفة منفردة، وكل منهم سيقوم بجولة في مدينة مختلفة وحده متسلحا بخارطة أخذها من استقبال الفندق.

لم يلاحظ الأربعة هذه المرة أن هناك من يتبعهم، ويبدو أن السوريين اقتنعوا بأن الأمر يتعلق حقا بطلبة من جامعة السوربون جاءوا من أجل إعداد مشاريع التخرج حول الآثار السورية.

توجه يوآل إلى جامعة دمشق من أجل الاجتماع بالبروفيسور حليمي وإعداده لمقابلة الطلبة الجدد الذين أحضرهم معه إلى دمشق، وقدم له أيضا الدراسة التي أعدها في أعقاب زيارته

الماضية إلى دمشق وطلب منه أن يقرأها ويعطيه درجة عليها رغم أنه حصل على درجته من البروفيسور في السوربون. لم يخف الدكتور حليمي إعجابه بالطالب النجيب والمجد.

توجه يوآل من الجامعة إلى البلدة القديمة حيث كان سيلتقي مع زملائه هناك. بدأ الأربعة يتجولون في المكان ثم دخلوا إلى محل مجوهرت، حيث عرض عليهم البائع مجوهرات مقلدة، ثم همس في آذانهم بلغة عبرية باللهجة التي يستخدمها اليهود السوريون: "أنتم منا". جمد الأربعة في مكانهم للحظة، ثم أبدوا أنهم لا يفهمون ما يقول، وسارعوا إلى مغادرة المكان. وتساءل الأربعة فيما إذا كان التاجر يهوديا حقا، أم أن المخابرات السورية تحاول معرفة شيء ما عنهم؟ واتفقوا على أن يفترقوا إلى مجموعتين وأن يراقبوا فيما إذا كانت المخابرات تراقبهم أم لا. لكنهم لم يعثروا على أي شخص يراقبهم. أي أن المخابرات السورية لم تشك فيهم.

اتجهت المجموعة إلى الجامعة حيث التقت البروفيسور حليمي واستمعوا منه إلى محاضرة طويلة عن الآثار السورية والشعوب التي سيطرت على الدولة حتى حصولها على الاستقلال. وفي أعقاب المحاضرة توجهت المجموعة إلى الميدان المركزي، وتجولوا في الشوارع المحيطة به حتى وصولوا إلى المكان الذي شنقوا فيه إيلي كوهن.

حل يوم الخميس وهو يوم الاجتماع بالسوري في المقهى في ميدان عين زالوط. أعد يوآل المجموعة للقيام بأعمال المراقبة للمكان، ومعرفة فيما إذا كان هناك من يراقب ما يحدث. وقبل موعد الاجتماع بساعة تقريبا خرج الثلاثة واتجهوا إلى الميدان واتخذ كل واحد منهم مكانا للمراقبة كانوا قد اتفقوا عليه مسبقا. وفي الساعة المحددة وصل يوآل مشيا على الأقدام إلى المقهى، وجلس إلى إحدى الطاولات، وطلب قهوة، وأخرج صحيفة لا فيجارو وشرع بالقراءة.

قدم البائع هذه المرة وهو يحمل أشياء للذكرى وهدايا وأدوات كتابة، وتوجه مباشرة إلى طاولة يوآل وعرض عليه بضاعته بصوت مرتفع فوافق يوآل على شراء خمسة أقلام، وبينما يقوم بدفع المبلغ للبائع وضع البائع في يده لفة صغيرة أخرى ذات لون أزرق، وغادر المكان. بقي يوآل بعد ذهاب البائع بضع دقائق حتى أنهى قهوته ونظر إلى الخارج لمعرفة فيما إذا كان زملاؤه يودون الإشارة إليه بشيء ما، وعندما رأى أن كل شيء هادئ خرج من المقهى باتجاه الفندق وسار الثلاثة الآخرون بنفس الاتجاه وراءه.

اجتمعت المجموع في غرفة واحدة في الفندق وفتح يوآل لفة الأقلام فوجد فيها ورقة صغيرة كتب فيها: "في المساء، في تمام الساعة السابعة والنصف، ستكون بانتظاركم المجموعة الأولى من الفتيات في شارع الفردوس بالقرب من الميدان المركزي داخل شاحنة صغيرة".

فهم الأربعة أنه تم ترتيب كل شيء مع سلاح البحرية، وشرعوا باتخاذ الخطوات اللازمة توطئة لتنفيذ العملية.

قرر يوآل تقسيم المجموعة إلى مجموعتين بحيث يجلس اثنان في المقعد الأمامي للسيارة، والاثنان الآخران يصعدان في الخلف مع الفتيات، وسوف يسافران مع الشاحنة حتى نقطة معينة من الساحل السوري تقع على بعد عشرة كيلومترات جنوبي طرطوس مثلما تم الاتفاق عليه مع سلاح البحرية، حيث ستكون الزوارق المطاطية بانتظارهم، كي تنقل الفتيات إلى قلب البحر.

قبل انطلاقهم، اتصل يوآل بفندق "بلميره ياسمينه" في طرطوس وحجز غرف له ولزملائه، وقال لموظف الاستقبال: "سنصل في حوالي الواحدة ليلا".

عثر الأربعة في الساعة المحددة على الشاحنة الصغيرة والتي غطيت غرفتها الخلفية بشادر، وقد ساد الهدوء التام فيها. صعد اثنان إلى الغرفة الخلفية ، بينما صعد الاثنان الآخران إلى غرفة السائق، وانطلقت السيارة وفقا للخرائط التي أعدوها مستعينين باليافطات من أجل الخروج من دمشق باتجاه الشمال، إي مدينة طرطوس. وبعد ساعة ونصف من السفر أوقفوا السيارة إلى جانب الطريق وترجل الأربعة للاستراحة والتشاور. وقد قال يوسي وشلومو – اللذان سافرا مع الفتيات في غرفة السيارة الخلفية لزميليهما: "هؤلاء الفتيات بشعات، ولا نعتقد أن أيا منهن تساوي شيئا".

بعد قليل انطلقت الشاحنة الصغيرة من جديد، وكانت الساعة قد شارفت على الحادية عشرة ليلا. وعندما عثروا على الطريق المتجه نحو البحر شرعوا بالسير ببطء وعندما اقتربوا من الشاطئ أطفأوا أضواء الشاحنة. ترجل الاثنان اللذان ركبا مع الفتيات، وسارا أمام الشاحنة من أجل ضمان عدم اصطدامها بعائق ما يخرب الخطة كلها. وعندما اقتربت السيارة من الساحل

توقفوا، ورفعوا الشادر عن الغرفة الخلفية وساعدوا الفتيات في الترجل منها، كما قامت كل واحدة منهن بإنزال حقيبتها، كان عددهن ثماني فتيات وشاب واحد.

قال لهم يوآل أنهم سيتوجهون إلى البحر حالا حيث سيصعدون إلى زوارق مطاطية والتي ستتجه بهم إلى سفن سلاح البحرية الإسرائيلية التي تقف بانتظارهم في عرض البحر. بدت الفتيات شديدات التأثر، وانخرطت بعضهن بالبكاء. ثم بدأ الجميع في النزول إلى البحر. كان النزول بطيئا وصعبا على الفتيات.

أخذ يوآل المصابيح الكهربائية التي جلبها معه وشرع يلوح بأضوائها لزملائه من الكوماندو البحري الذين كانوا بانتظار الإشارة في قلب البحر كي يقتربوا بزوارقهم المطاطية. لوح عدة مرات مثلما تم الاتفاق عليه في إسرائيل، لكنه لم يتلق ردا. وبعد قليل لاحظت السفينة الرئيسية لسلاح البحرية الإسرائيلي ضوء المصابيح التي يلوح بها يوآل، وأعلمت طاقم الزوارق المطاطية الذي بدأ بالتحرك جنوبا باتجاه نقطة اللقاء، وبعد حوالي نصف ساعة اقتربوا حتى الشاطئ بالقرب من المجموعة التي كانت في أقصى حالات التوتر والانتظار.

سارع الأربعة نحو الزوارق المطاطية، وساعدوا الفتيات في الصعود إليها، ثم قام جنود الكوماندو بدفع الزوارق والانطلاق بها، وسرعان ما اختفت وسط الظلام الحالك. كانت الساعة قد شارفت على منتصف الليل حينما صعد الأربعة إلى الشاحنة وغادروا المكان وهم يشعرون بالارتياح الشديد لإنجاز المهمة، وعندما وصلوا إلى مداخل طرطوس شاهدوا شرطيا وسألوه كيف يمكن الوصول إلى الفندق، فقادهم إليه مباشرة.

عندما وصلت الزوارق المطاطية إلى السفينة الأم أنزل رجال الكوماندو البحري سلما من الحبال، بيد أن الفتيات وجدن صعوبة في الصعود خصوصا ومعهن حقائبهن، وفي النهاية نجح الجنود في إيصالهن إلى متنها.

عاد الأربعة إلى دمشق صباح اليوم التالي، وقاموا خلال اليومين الباقيين لهم في سورية بالتجوال في المواقع الأثرية في حمص وحلب، وزاروا مدينة اللاذقية، ثم عادوا إلى باريس. بيد أنهم لم يمكثوا زمنا طويلا في باريس، حيث تم استدعاؤهم إلى تل أبيب، وقيل لهم: "إن العمل لم ينته، هناك شبان يهود في دمشق ويجب نقلهم إلى إسرائيل". وفعلا، قام الأربعة

بالعديد من الرحلات إلى دمشق، وهربوا مجموعات من الشبان والشابات اليهود عبر البحر إلى إسرائيل.

كان يوآل يعمل منذ اليوم الذي وصل فيه إلى دمشق وخرج بحثا عن أماكن للقاء الزارق الإسرائيلية باستخدام سيارة التاكسي التي أقلته أول مرة من المطار إلى دمشق. لكنه لاحظ خلال زياراته المتعددة لدمشق من أجل تهجير الشبيبة اليهودية السورية، أن سفن البحرية السورية شرعت تقوم بأعمال دورية مكثفة على طول الساحل بما فيها في النقاط التي اختارها لتهريب الشبيبة. وقد أوصله ذلك إلى استنتاج مفاده أن إخراج الشباب من سورية عبر البحر سيكون خطرا للغاية. لذا لجأ إلى الخيار الثاني والمتمثل في تهريب الشبان عبر لبنان.

طلب يوآل من السائق السفر إلى لبنان فورا والتي يستغرق الوصول إليها حوالي ساعتين. وعندما وصلت السيارة إلى بيروت توجه فورا إلى ميناء جونيه،وبحث هناك عن زورق للاستئجار، وعثر خلال وقت قصير على مبتغاه: زورق يعمل بمحرك وملائم للمهمة وقال لصاحبه أنه يعد مفاجأة لصديقه بمناسبة عيد ميلاده، وأنه يود نقل مجموعة من الأصدقاء في الزورق لزيارة السواحل اللبنانية. واتفق معه على استئجار الزورق لمدة أسبوع ودفع له المبلغ ووضع الزورق في ميناء جونية حتى الإعداد "لحفلة عيد الميلاد".

أرسل يوآل من مكتب البريد القريب "تيلكس" لضابط الموساد في باريس أعلمه فيه بتغيير الخطة، وطالب أن يصادق على التغييرات قال فيه: "أقاربنا سيصلون في الساعة العاشرة إلى ميناء بيروت وسيكونون جاهزين للصعود إلى الزورق".

عاد يوآل مرة أخرى بالتاكسي إلى دمشق حيث اجتمع بزملائه الذين جاءوا للتو وأعلمهم بالتغيير الذي طرأ على الخطة. وفي نفس الليلة كانت الشاحنة الصغيرة المغطاة بالشادر بانتظارهم في المكان المحدد، وقد توجه الأربعة مع التندر فورا باتجاه الحدود اللبنانية، وقبل الوصول إلى الحدود ببضعة كيلومترات أنزلوا البنات الست والشبان الأربعة الذين كانوا في الشاحنة، وبينما قاد كلودي الشاحنة باتجاه الحدود واصل البقية ومعهم الجنود الثلاثة طريقهم سيرا على الأقدام بين الحقول والتلال باتجاه الحدود اللبنانية وكل واحد منهم يحمل حقيبته.

بدأت الفتيات يتذمرن من السير الصعب، خصوصا جراء الاصطدام بالصخور والسقوط . كان الثلاثة يعملون على مساعدتهن، وفي نفس الوقت الانتباه إلى ما يحدث في الجوار مع الاستعداد للعمل في حال اكتشافهم.

سارت المجموعة ساعة كاملة تحت غطاء الظلام الدامس بين الصخور والأشواك في طريق شديد الوعورة حتى اجتازوا الحدود ووصلوا إلى الطريق، حيث وجدوا كلودي بانتظارهم هناك بالشاحنة فصعدوا إليها وقام بقيادتها إلى ميناء جونية.

سارت الأمور في الميناء بصورة دقيقة ، فقد وجدوا السفينة التي استأجرها يوآل في مكانها، وتسلل العشرة إلى المرفأ واحدا إثر الآخر وصعدوا إلى متنها، فانطلقت بهم إلى البحر المفتوح، وبعد وقت قصير ظهرت الزوارق المطاطية التابعة لسلاح البحرية الإسرائيلي على جانبيها. كان الجنود الأربعة يخفون وجوههم كي لا يتعرف عليهم زملاؤهم في الكوماندو البحري، وساعدوا العشرة في الهبوط إلى الزوارق المطاطية التي انطلقت بهم نحو السفينة الأم.

بقي الجنود الأربعة يوما في بيروت قضوه في التسوق والتنزه وفي الليل عادوا أدراجهم باتجاه دمشق، وعندما وصلوا بالقرب من الحدود عادوا لتكرار المشهد الذي قاموا به حيث قاد كلودي الشاحنة حتى الحدود بينما اتجه الثلاثة الآخرون نحو الحدود سيرا على الأقدام، ثم التقوا بكلودي على الطريق، وواصلوا الطريق باتجاه دمشق.

طلبت جولدا مائير في نهاية عملية التهجير الخامسة التي قادها يوآل الاجتماع بالجنود الأربعة، وقد اجتمع الأربعة بها في قاعدة سلاح البحرية في حيفا، وشكرتهم بحرارة بالغة على الجهد الذي يقومون به، وطلبت أن ترى يوآل الذي سمعت عنه الكثير، ودعته إلى الجلوس بجوارها وهي تحتفل بنجاح هذه المجموعة الصغيرة.

لقد قام أعضاء المجموعة خلال الفترة الواقعة بين أيلول 1972 ونيسان 1973 بعشرين عملية نقل مماثلة ليهود سورية عبر سواحل طرطوس، وسواحل لبنان بنجاح تام.

الفصل الرابع عشر

----

*"حوتال" شخصية مقربة جدا من الزعامة المصرية ومن قيادة هيئة الأركان المصرية جندها الموساد لصالح اسرائيل وبقيت غامضة ولم تنجح أية جهة في معرفتها .

* مسؤولو شعبة الاستخبارات تعاملوا مع "حوتال" كممثل للموساد في مكتب الرئيس ومجرد عميل يجلب معلومات متميزة.

* زعيرا: "حوتال" كان عميلا مزدوجا زرعه المصريون الأذكياء وكانوا يغذونه بمعلومات حقيقية كي تثق به إسرائيل وهو اشرف مروان صهر عبد الناصر.

* مروان اتصل هاتفيا بالسفارة الإسرائيلية في لندن وعرض خدماته وقال انه يرغب في العمل لصالح إسرائيل.

* مروان قدم وثائق كثيرة جدا ومعلومات سرية للغاية ذات طابع عسكري وسياسي لاسرائيل وحصل على ما يربو على ثلاثة ملايين دولار.

*مروان نقل الى الموساد موعد حرب 73 لكن المخابرات الاسرائيلية استخفت بالخبر ولم تحمله على محمل الجد.

*هل كان مروان عميلا مزدوجا ؟ ام انه اخلص لاسرائيل مقابل المال ؟ومن وراء قتله الموساد ام المخابرات المصرية؟

عميل "موساد" في
مكتب الرئيس المصري
"اليوم ستندلع الحرب"

تلقى ضابط الموساد الإسرائيلي "دوفي" في ليلة 4-5 من تشرين الأول 1973 اتصالا هاتفيا من القاهرة. ودوفي ضابط اتصال عملاء رفيع المستوى ويعمل من لندن. وقد جعله فحوى المكالمة الهاتفية يبدو مهتاجا للغاية.

كان على الطرف الاخر من الخط عميل الموساد شديد الأهمية المعروف باسمه الشيفري "حوتال" – وقد أطلق عليه في وثائق أخرى اسم رشاش أو الملاك- لقد قال حوتال كلمة واحدة فقط باللغة الإنجليزية "فجل" فشعر دوفي أن الدم سيتجمد في عروقه،وسارع فورا بالاتصال بقيادة الموساد، وأعلمها بالكلمة التي قالها "حوتال". وحال وصول هذه الكلمة إلى رئيس الموساد تسفي زمير أعلمها لرئيس مكتب رئيسة الحكومة فردي عيني، وقال له: "أنا مسافر إلى لندن". كانت كلمة "فجل" تعني أن من المتوقع شن حرب فورية على إسرائيل". وبناء على ما تم الاتفاق عليه مع العميل، كان يجب على رئيس الموساد الاتجاه فورا إلى لندن للاجتماع به.

كانت رحلة طائرة "العال" إلى لندن كاملة العدد، لذا اضطر زمير للسفر في طائرة خاصة. كان لدى الموساد شقة آمنة في عمارة من ستة طوابق في لندن قريبا من فندق دورتشستر.

كانت الشقة محمية ومجهزة بأجهزة تسجيل، وقد تم استئجارها وتجهيزها لغرض واحد فقط وهو اللقاءات التي تجرى مع حوتال.

حال وصول زمير إلى الشقة انتشر حولها عشرة عملاء موساد وعلى رأسهم تسفي ملحين المحنك، بغية حماية رئيسهم خشية أن تكون الرسالة الهاتفية التي تم تلقيها بمثابة مكيدة لإلقاء القبض عليه أو اغتياله.

كان زمير شديد التوتر، وبقي بالانتظار طيلة النهار لوصول العميل المصري، والذي كما هي عادته تأخر في روما ووصل إلى لندن في ساعات المساء المتأخرة، وهكذا اجتمع الاثنان في الساعة الحادية عشرة ليلا، أي في الوقت الذي هبط مساء ليلة عيد الغفران على إسرائيل.

استغرق اللقاء بين حوتال وزمير حوالي ساعتين، وقد حضره دوفي الذي قام بتسجيل فحواه. وفي حوالي الساعة الواحدة ودع زمير حوتال. وفي الوقت الذي اختلى فيه دوفي مع حوتال لتسليمه الأجر المتفق عليه والبالغ مائة ألف دولار، حاول زمير إرسال رسالة عاجلة إلى إسرائيل، لكن رجال الموساد لم يعثروا على شيفرة السفارة التي يمكنها أن تسمح بنقل الرسالة العاجلة إلى إسرائيل. وحينما نفد صبر زمير اتصل هاتفيا بمنزل فردي عيني، بيد أن الهاتف لم يرد فقد دخل العيد. وبعد محاولات عديدة رد عيني على الهاتف وبدا أنه لا زال نائما، فقال له زمير: "ضع قدميك في ماء بارد وتناول ورقة وقلما واكتب ما أمليه عليك". وأملى عليه الجملة التي اتفق عليها مسبقا: "الجماعة على وشك التوقيع على العقد قبل مساء اليوم، ارتد ملابسك الآن واوقظ العالم كله وزوجته". سارع عيني لتنفيذ الأمر، وشرع بالاتصال بقادة الدولة والقادة العسكريين، وكانت الجملة التي أبلغها لهم تقول: "اليوم ستندلع الحرب".

وصلت البرقية التي كتبها زمير فيما بعد وقد جاء فيها: "بناء على الخطة فإن المصريين والسوريين يعتزمون شن الهجوم قبل المساء. هم يعرفون أن اليوم يوم عيد، ويعتقدون أن بمقدورهم الهبوط بقواتهم قبل المساء. والهجوم سيجري وفقا للخطة المعروفة لنا. ويعتقد أن السادات لا يستطيع إرجاء الهجوم نظرا للتعهدات التي قدمها لرؤساء الدول العربية الأخرى وهو راغب في الوفاء بالتزاماته على أكمل وجه. ويعتقد المصدر، ورغم تردد السادات أن الهجوم سيشن بنسبة 99.9%. ويعتقدون أنهم سينتصرون لذا يخشون من الإعلان المسبق عن شن الحرب خوفا من التدخلات الخارجية، الأمر الذي يمكنه أن يردع قسما من شركائهم، ويجعلهم يفكرون فيما إذا كان الهجوم مجديا. الروس لن يشاركوا في العملية".

لم تقبل جميع الجهات الإسرائيلية البرقية التي أرسلها رئيس الموساد بوصفها توراة لا يأتيها الباطل من بين أيديها ولا من خلفها، فقد كان رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية اللواء أيلي زعيرا على قناعة تامة بأن الحرب لن تنشب رغم التقارير الاستخبارية المثيرة للقلق، وكان

واثقا من أن الحشود المصرية الكبيرة للجيش على طول القناة ما هي سوى مناورة عسكرية كبيرة.

واعترف زعيرا أمام زمير بأنه لا يوجد لديه تفسير للتقرير الذي قدمه "يحمور" من الوحدة 848 – وحدة التنصت في الجيش الإسرائيلي-، والذي قال إن عائلات المستشارين العسكريين السوفييت في مصر وسورية غادروا الدولتين، وهو الأمر الذي يعتبر بمثابة دليل واضح على اقتراب الحرب، ورغم ذلك لم يغير زعيرا رأيه.

كان زعيرا وقسم كبير جدا من الجهاز الأمني أسرى التصور القائل:" إن مصر لن تهاجم إسرائيل إلا إذا توفر شرطان، أولا: أن تحصل من الاتحاد السوفييتي على طائرات قادرة على مواجهة طائرات سلاح الجو الإسرائيلي، وقاصفات وصواريخ قادرة على قصف العمق الإسرائيلي، وثانيا: ضمان مشاركة الدول العربية الأخرى في الحرب ضد إسرائيل. وطالما أن هذين الشرطين لم يتوفرا فلا يوجد أية فرصة في شن المصريين للحرب. من الجائز أن يهدد المصريون، ويتحدون، ويجرون مناورات ويستعرضون عضلاتهم، لكنهم لن يشنوا حربا".

كان هذا التصور هو السائد حتى خلال جلسة الحكومة في السادس من تشرين الأول، ولم يقتصر الأمر على زعيرا، بل لقد شكك بعض وزراء الحكومة في مدى مصداقية معلومة اندلاع الحرب السورية المصرية قريبا. لقد سبق لحوتال أن نقل ملعومات مرتين في السابق – في تشرين الثاني 1972، وفي آيار 1973- عن اقتراب الحرب، إلا أنه تراجع في اللحظة الأخيرة. ومن الجدير بالذكر إن إسرائيل قامت في آيار 1973 بتجنيد الاحتياط بناء على المعلومة التي أرسلها، وقد كلفها ذلك مبلغ 34.5 مليون دولار.

كان الجميع على علم خلال جلسة الحكومة الطارئة بخطورة الوضع، ورغم ذلك قررت الحكومة استدعاء الاحتياط بصورة جزئية فقط ، كما قرر الوزراء عدم أمر سلاح الجو الإسرائيلي بالمبادرة لشن هجوم مسبق على الحشود المصرية الكبيرة على طول قناة السويس.

عاد زمير إلى إسرائيل وأصر على موقفه القائل إن الحرب ستنشب، فقد أعلمه حوتال أن المصريين والسوريين سيشنون حربا مشتركة قبل ساعات المساء.

وفي الساعة الثانية ظهرا عقد رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية مؤتمرا صحفيا للمراسلين العسكريين وقال لهم: إن هناك احتمالا ضعيفا لنشوب حرب، وفجأة دخل أحد مساعديه ووضع أمامه ورقة، وحينما قرأها زعيرا اختطف قبعته وغادر الغرفة دون أن يقول شيئا، ولم تكد تمضي بضع دقائق حتى سمعت صفارات الإنذار.

لقد وجهت انتقادات شديدة لحوتال في إسرائيل فيما بعد بتهمة تضليل زمير حينما قال له: "إن الحرب ستنشب في ساعات المساء، بينما اندلعت ظهرا". وقد اتضح فيما بعد أنه تم تغيير ساعة الهجوم في اللحظات الأخيرة في أعقاب المشاورات التي جرت بين الرئيسين المصري والسوري، هذا في الوقت الذي كان فيه حوتال في الطائرة في طريقه إلى لندن.

من الغريب أن مسؤولي شعبة الاستخبارات العسكرية احتجوا على الخطأ في التوقيت وعلى التحذيرات المسبقة لحوتال والتي اتضح أنها خاطئة. ومن الجدير بالذكر أن مسؤولي شعبة الاستخبارات تعاملوا مع حوتال ليس كمصدر استخباري بل كممثل للموساد في مكتب الرئيس المصري، ومن ثم فمن واجبه تقديم التقارير بدقة وإسهاب حول كل ما يحدث هناك، وتجاهلوا أنه وعلى الرغم من مكانته الرفيعة جدا كان حوتال مجرد عميل يجلب معلومات متميزة، بيد أنه لم يكن يعرف دائما كل شيء كأي عميل آخر.

واصل حوتال تقديم التقارير لإسرائيل خلال الحرب، وعندما أطلق المصريون صاروخين من طراز سكاد باتجاه تجمعات الجيش الإسرائيلي وألحقوا إصابات وصلت تقارير مهدئة من حوتال قال فيها: "إن هيئة الأركان المصرية لا تعتزم استخدام هذه الصواريخ خلال الحرب، وأن مصر لن تصعد الحرب ضد إسرائيل".

انتهت الحرب في الثالث والعشرين من تشرين الأول، ودفنت إسرائيل آلالاف من قتلاها، وتم توقيع اتفاقية فصل القوات، واتفاقية "كامب ديفيد" واتفاقية السلام مع مصر، وأنهى زمير مهام عمله. وقد حظي بتقدير كبير جراء كونه الوحيد في جماعة المخابرات الإسرائيلية الذي أكد على نية الحرب لدى المصريين والسوريين، وتمكن من جلب المعلومات الخاصة باندلاع الحرب. ولو أن مسؤولي الدولة كانوا أكثر إصغاء لتحذيراته وبدأوا فورا في الإعداد لضربة وقائية جوية فمن الجائز أن نتائج الحرب كانت ستختلف. إن التبريرات التي أدلى بعض

الوزراء والتي جاء فيها إن إسرائيل امتنعت عن القيام بخطوة وقائية خشية أن تتهم بشن الحرب تبدو تبريرات لا طعم لها.

ترى من هو حوتال أنف الذكر؟ لقد نشرت العديد من التقديرات بمرور الزمن حول هوية هذا الرجل، وكان من الواضح أنه شخصية مقربة جدا من الزعامة المصرية ومن قيادة هيئة الأركان المصرية. بيد أن شخصيته ظلت غامضة ولم تنجح أية جهة في معرفتها، وقد أطلقت عليه وسائل الإعلام اسم "بابل" وعزت إليه خصائص أسطورية.

حمل زعيرا فشله في قلبه سنوات طويلة، وأصر على إثبات براءته، وقرر أن يطرح قصته على العالم، فألف كتابا قال فيه إن السبب الذي جعله يرفض تحذير "حوتال" هو أن "حوتال" كان عميلا مزدوجا زرعه المصريون الأذكياء، وأنهم كانوا يغذونه بمعلومات حقيقية كي تثق فيه إسرائيل، وعندما يصبح العدو معتمدا عليه تمام الاعتماد يقوم في اللحظة المناسبة بتوجيه ضربته القاضية بتقديم تقرير كاذب.

ولا شك أن هذه القضية كانت شيقة على الصعيد الاستخباري بيد أن زعيرا نسي شيئا واحدا، وهو أن جميع تقارير "حوتال" كانت صحيحة من أولها وحتى آخرها، فأين هي الضربة القاضية التي وجهها إلى إسرائيل؟ بل وحينما كان بمقدوره غش إسرائيل وطمأنتها إزاء الحشود المصرية، اختار "العميل المزدوج" شكلا عكسيا تماما، فقبل يومين من اندلاع الحرب أعلم مساعد زمير بأن الحرب ستنشب، ثم سافر إلى لندن وحذر زمير من الهجوم القريب.

لم يكتف زعيرا بما قاله، بل سار خطوة أخرى إلى الأمام، ففي عام 2004 عندما صدرت طبعة جديدة عن الكتاب قام بكشف هوية "حوتال". بل ولم يكتف بذلك، بل عمد خلال سلسلة من المقابلات الصحفية والتليفزيونية إلى ذكر اسم حوتال الحقيقي "أشرف مروان". لقد أذهل الإسم كل من يعرفون الساحة السياسية المصرية، فهم لم يستطيعوا تصديق أن أشرف مروان كان حقا الجاسوس الإسرائيلي.

من هو أشرف مروان؟

التقت صبية جميلة وخجولة عام 1965 وشاب وسيم من عائلة محترمة في ملعب التنس في هوليوبوليس في القاهرة. والشابة هي منى التي كان ترتيبها الثالثة بين أخواتها، بيد أنها لم تكن أذكاهن، فقد كانت شقيقتها هدى أذكى واكثر كفاءة منها، وأكثر تميزا في دراستها في مدرسة الجيزة، لكن منى كانت أكثر جمالا وتحظى بمحبة أكبر من والدها.

أما الشاب الذي التقاها فهو من عائلة ثرية ومحترمة، وقال لها انه أنهى لتوه دراسته الجامعية في كلية الكيمياء والتحق بالجيش. وقد أحبته منى بسرعة كبيرة حبا جارفا. وبعد فترة طلبت أن تعرفه على عائلتها، وهكذا تعرف العاشق الشاب الذي يناهز الحادية والعشرين على عائلة الرئيس المصري جمال عبد الناصر.

تشكك الرئيس عبد الناصر فيما إذا كان هذا الزواج مناسبا لابنته، بيد أن منى لم تدع له فرصة للتفكير، وفي النهاية استدعى عبد الناصر والد الشاب الذي كان ضابطا رفيعا في الحرس الرئاسي، واتفق الاثنان على زواج ابنة الرئيس منى بالعاشق الشاب أشرف مروان. وفي تموز 1966 تزوج الاثنان، وبعد وقت قصير انتقل أشرف للعمل في الشعبة الكيميائية للحرس الجمهوري، وفي نهاية 1968 انتقل إلى مكتب الرئيس للشؤون العلمية.

حقا أن الشاب تزوج بصورة جيدة وعمل في وظيفة جيدة، بيد أنه لم يكن راضيا، وطلب السماح له بالتوجه إلى لندن لإكمال رسالة الماجستير، فسمح له بذلك، وانتقل للعيش في العاصمة البريطانية تحت الإشراف الدقيق للسفارة المصرية هناك.

اتضح أن الرقابة لم تكن شديدة جدا على أشرف، فهو يحب حياة المتعة والفسحات والمغامرة، وقد وفرت له لندن في نهاية الستينات كل تلك الأمور بغزارة. فلم تكد تمضي أيام حتى أنفق المخصص الشهري الذي بحوزته وبدأ بالبحث عن مصادر تمويل جديدة لعبثه، وسرعان ما اكتشف المصدر.

والمصدر اسمه "سعاد" وهي زوجة الشيخ الكويتي عبدالـلـه مبارك الصباح. لقد أعجبت الزوجة الرومانسية بأشرف الذي منحها ما تريد وبالمقابل منحته هي مبالغ مالية عن سعة. لكن هذا الوضع لم يدم طويلا، حيث عرفت العلاقة بينهما، وقام عبد الناصر الغاضب بإعادة أشرف إلى القاهرة. وطالب ابنته بطلب الطلاق من "الزاني" بيد أنها رفضت بشدة. وافق عبد الناصر

في النهاية على بقاء أشرف في مصر على أن يتوجه إلى لندن فقط من أجل تقديم رسالة الماجستير الأكاديمية، كما أرغمه على إعادة المبالغ المالية التي أخذها من سواد الصباح. كما بدأ أشرف يعمل في مكتب عبد الناصر،وكلف بعدة مهام صغيرة.

عاد أشرف مروان إلى لندن مرة أخرى عام 1969 من أجل تقديم رسالة الماجستير، لكنه في الحقيقة توجه إلى هناك لفعل أمر آخر، خيانته لعبد الناصر. كان يشعر بالإحباط والمرارة جراء الإهانات التي تلقاها من عبد الناصر، وبناء على ذلك اتصل هاتفيا بالسفارة الإسرائيلية، وطلب التحدث مع الملحق العسكري، وعندما رد عليه ضابط الأمن قال له أنه أشرف مروان، وأنه يرغب في العمل لصالح إسرائيل، وطلب أن يتم نقل طلبه للجهة المعنية بذلك.

لم يتعامل الضابط معه بجدية وتجاهل طلبه، كما أن توجهه مرة أخرى إلى السفارة الإسرائيلية لم تجد الاستجابة الفورية، لكن هذه المرة نقل الطلب إلى ممثلي الموساد. تلقى رئيس مكتب الموساد في أوروبا شموئيل جورن محادثة هاتفية من أشرف، وكان جورن يعرف أن أشرف هو نسيب عبد الناصر، لذا أدرك فورا أهمية هذا الرجل. طلب جورن من أشرف عدم الاتصال مرة أخرى بالسفارة وأعطاه رقم هاتف آخر، وسارع لإعلام قيادة الموساد بذلك.

وصلت المعلومة إلى رحابيا وردي رئيس شعبة "تسومت" وهي الشعبة المسؤولة عن تجنيد العملاء والذي قام بدوره بإرسالها إلى مكتب رئيس الموساد زمير.

شكل الاثنان طاقما موحدا لدراسة اقتراح مروان نظرا لأنه كان يشتمل على جميع الدلائل التي تشير إلى أنه محاولة من جهة استخبارية معادية: فهذا رجل مقرب إلى السلطات في مصر، ويقوم هو بعرض تعامله مع إسرائيل ودون أن تبذل إسرائيل أية جهود من أجل تجنيده. لقد بدت القصة مشبوهة، وأثارت تساؤلات حول كونه عميلا مزدوجا أو أن المخابرات المصرية أرسلته كطعم.

هذا في نفس الوقت الذي يمكن تفسير ما حدث بصورة معكوسة تماما: رجل مقرب للسلطات المصرية يعرض خدماته متطوعا، ولا شك أنه قادر على الوصول إلى معلومات سرية جدا لا يستطيع أي أحد آخر الوصول إليها، وخصوصا العملاء الإسرائيليون العاملون في مصر.

قدمت إلى طاقم التحقيق معلومات حول مروان: شاب ، طموح، محب للمتعة، أي أنه يحب أيضا المال. كان الإغراء كبيرا.

عاد جورن إلى لندن واجتمع مع مروان، ورأى أمامه شابا وسيما، يرتدى ملابس فاخرة وأنيقة. وقد قال له مروان أنه شعر بالإحباط جراء هزيمة مصر خلال حرب 1967، وأنه يريد مساعدة إسرائيل بوصفها الجانب المنتصر في الحرب. وإضافة إلى هذا المبرر الأيديولوجي طرح مطلبا ماليا: فقد طالب بمنحه مائة ألف دولار على كل لقاء يجريه مع الموساد وينقل إليه خلاله معلومات حول ما يدور في مصر.

مال جورن للموافقة على الطلب رغم المبلغ الكبير الذي طلبه أشرف، والذي لم يسبق أن منح لعميل للموساد، لكنه كان في حاجة أولا إلى إثبات من مروان بأنه على استعداد حقا للعمل مع الموساد، لذا طلب منه أن يجلب له وثائق سرية تثبت مقدرته ورغبته في مساعدة إسرائيل. كان جلب الوثائق سيربط مروان بالموساد لأن جلبها سيعتبر بمثابة إدانة لنفسه، وتأكيد على أنه عميل للموساد، وسيعتبر بالنسبة لإسرائيل عميلا للعدو.

لم يتأخر مروان كثيرا، وأحضر للموساد الوثيقة الأولى: نسخة كاملة عن النقاشات التي أجراها عبد الناصر في موسكو في الثاني والعشرين من كانون الثاني 1970 والتي طلب فيها من السوفييت تزويده بقاصفات نفاثة جديدة بعيدة المدى بحيث تتمكن من ضرب العمق الإسرائيلي.

أذهل التقرير قارئيه، واقتنع رؤساء الموساد بأنهم عثرواعلى كنز من الذهب، وأرسلوا دوفي إلى لندن كي يكون ضابط اتصال أشرف، وأمروا بتوفير جميع الوسائل التقنية المطلوبة: استئجار شقة للاجتماع في لندن، وتجهيزها بأجهزة تسجيل وتنصت، وحماية وتخصيص صندوق مالي خاص من أجل تمويل مطالب حوتال.

كانت اللقاءات تجري بناء على طلب أشرف، ووفقا للإجراءات التي أعدها دوفي. وكان من المعتاد أن يتصل أشرف هاتفيا مع وسطاء – يقال مع نساء يهوديات في لندن- والذين يقومون بدورهم بنقل الطلب إلى دوفي. قدم مروان وثائق كثيرة جدا، ومعلومات سرية للغاية ذات طابع عسكري وسياسي. وقد شارك في قسم من اللقاءات العقيد مائير مائير رئيس الشعبة رقم 6 –الخاصة بالجيش المصري في شعبة الاستخبارات العسكرية التابعة للجيش. كان مائير

يتوجه إلى لندن تحت اسم مستعار ويتجول في لندن بتاكسي وسيرا على الأقدام كي يتملص من أية ملاحقة، ثم يتجه إلى العمارة ويصعد إلى الطابق السادس، وهناك قابل شخصا وسيما بيد أنه لم يكن لطيفا، بل كان يبدو شديد الاستخفاف به، وغاضبا من لقائه به، لكن أشرف غير وجهة نظره حينما أدرك أن الرجل الماثل أمامه ذو معرفة واسعة. وكلف مائير ذات مرة بتسليم أشرف حقيبة مغلقة، وحينما سألة أشرف عما يوجد في داخلها؟ غمز له مائير بعينه وقال له: "يوجد فيها شقة في ميدان المدينة"، دلالة على المبلغ المالي الكبير الموجود فيها. ومن الجدير بالذكر إن حسابات الموساد تفيد أن تعامل أشرف معه كلفه مبلغا يربو على ثلاثة ملايين دولار.

توفي عبد الناصر في الثامن والعشرين من أيلول 1970، وتسلم الرئاسة بدلا منه أنورالسادات الذي كان الكثيرون يستخفون بضعفه وتردده. وقد قام البروفيسور شمعون شمير الذي يعتبر من كبار الخبراء الإسرائيليين في الشؤون المصرية بتحليل شخصية السادات بطلب من شعبة الاستخبارات العسكرية، وقال: إنه شخص ضعيف، ولن يستطيع إبقاء السلطة في يديه، ولن يشن حربا. كانت تلك التقديرات والتحليلات تنطبق على تحليلات الكثير من الجهات المصرية، لكن أشرف قرر الوقوف إلى جانب السادات، وأخذ من زوجته مفاتيح خزنة والدها وأخذ منها الوثائق السرية للغاية وقدمها إلى السادات.

ووقف أشرف إلى جواره أيضا في أيار 1971 عندما دبرت جهات مصرية موالية للسوفييت خطة لقلب نظام الحكم. كان من بين المخططين للانقلاب عدد من الأسماء البارزة مثل: على صبري – نائب الرئيس المصري السابق، ومحمد فوزي – وزير الدفاع السابق،وشعراوي وزير الداخلية وعدد من الوزراء الآخرين والشخصيات المعروفة في مجلس الأمة. كان المتآمرون يعتزمون قتل السادات خلال الزيارة التي سيقوم بها إلى جامعة الإسكندرية، لكن السادات قام بخطوة وقائية واعتقلهم جميعا. وقد وقف أشرف إلى جانبه بمنتهى الإخلاص إبان قيامه بقمع المتمردين. الأمر الذي عزز مكانته لدى الرئيس فعينه سكرتيرا للعلوم والاستشارات الخاصة للرئيس، وكان يصاحبه في سفرياته في أنحاء العالم العربي ويشارك في اللقاءات السياسية.

تحسنت تقارير أشرف بتحسن مكانته، وفي عام 1971 سافر السادات عدة مرات إلى موسكو للاجتماع بالزعماء السوفييت وقدم لبرجنيف قائمة بالأسلحة التي تحتاجها مصر من أجل مهاجمة إسرائيل، وقد اشتملت القائمة على طائرات ميج -25. قام أشرف بتقديم القائمة إلى الموساد الإسرائيلي، وعندما طلب الموساد نسخة عن المحادثات التي أجراها السادات مع بريجنيف، جلبها له.

أعجب زمير بالمواد التي كان أشرف يجلبها واجتمع معه بنفسه. كانت المعلومات التي يجلبها أشرف توزع إلى عدة جهات إسرائيلية رفيعة المستوى في شعبة الاستخبارات العسكرية والموساد ورئيس الأركان حاييم بارليف، ولنائبه اللواء إسرائيل طل، أما على صعيد الكادر السياسي، فقد قدمت المعلومات لرئيسة الحكومة جولدا مائير ووزير الدفاع موشيه ديان وللوزير إسرائيل جاليلي.

حاول أشرف التعامل مع جهات أخرى، حيث توجه إلى المخابرات الإيطالية وعرض عليها التعامل معها. وهناك معلومات تفيد أنه توجه أيضا إلى المخابرات البريطانية. وبناء على هذا الوضع بات تعريجه على روما في الخامس من تشرين الأول حينما كان في طريقه للقاء رئيس الموساد في لندن واضحا، فقد أراد أن يعلم المخابرات الإيطالية أيضا باقتراب الحرب. وقد وصل تقرير آخر من تقاريره إلى الإيطاليين لكن هذه المرة عبر الموساد الإسرائيلي. توجهت ليبيا قبل شهر من اندلاع الحرب إلى مصر طالبة المساعدة، فقد كان فلسطينيون يعملون في خدمة القذافي يعتزمون تفجير طائرة "العال" إسرائيلية إبان إقلاعها من مطار روما. كانت هذه العملية ستأتي انتقاما من إسرائيل جراء قيام سلاح الجو الإسرائيلي بإسقاط طائرة مدنية ليبية في سيناء في شباط 1973.

كانت لدى إسرائيل في تلك الآونة معلومات تفيد أن المخربين يعتزمون اختطاف طائرة وتحميلها بالمتفجرات وتفجيرها فوق إحدى المدن الإسرائيلية الكبيرة. وعندما ظهرت طائرة تحمل الدلالات التي تشير إلى أنها طائرة ليبية فوق سيناء، ورفض ربانها التعريف على الطائرة أو تغيير مسار رحلته خشي ضباط الرقابة الجوية الإسرائيلية من أن تكون الطائرة هي طائرة الانتحاريين، فأمروا الطائرات الحربية الإسرائيلية أن تطلق النار على الطائرة وتسقطها في

سيناء. وقد اتضح فيما بعد أن الطائرة الليبية ضلت طريقها بسبب عاصفة رملية في سيناء، وقد قتل خلال هذه العملية مائة وثمانية أشخاص.

أقسم القذافي على الانتقام، وتم تشكيل مجموعة لتنفيذ الانتقام من خمسة أشخاص من حركة فتح برئاسة أمين الهندي. قام السادات بمساعدة ليبيا وأمر أشرف مروان بتسليم الفلسطينيين صاروخين من طراز ستريلا سوفييتيين. أرسل أشرف الصاروخين بالبريد الدبلوماسي وحملهما بسيارته، وتقابل مع الهندي في شارع "فويه فنتو" الذي يعتبر أكثر الشوارع المشهورة في روما، ودخل معه إلى حانوت مجوهرات، اشترى سجادتين وقام الاثنان بلف الصاروخين فيهما وسافرا وهما يحملانهما في القطار إلى شقة آمنة خاصة بحركة فتح حيث كان المخربون قد اجتمعوا توطئة لإسقاط الطائرة. لكن أشرف اتصل فورا بالموساد الذي أعلم الإيطاليين. وفي السادس من أيلول داهمت وحدة مكافحة الإرهاب الإيطالية شقة في مدينة أوستية الإيطالية القريبة من مطار روما، واعتقلوا عددا من أعضاء الخلية وصادروا الصواريخ، ثم قام الإيطاليون باعتقال باقي المخربين في فندق في روما. وقد أشارت وسائل الإعلام الإيطالية بأن الموساد الإسرائيلي هو الذي حذر الإيطاليين، وقالت: إن رئيس الموساد تسفي زمير كان خلال عملية الاعتقال في روما.

اندلعت حرب 1973 بعد شهر تقريبا، وبقي أشرف بعد الحرب إلى جوار الرئيس السادات الذي أرسله إلى دول عربية، كما أنه لعب دورا هاما في عملية فصل القوات بين إسرائيل وسورية ومصر، وحضر المحادثات التي جرت بين هنري كيسنجر – وزير الخارجية الأميركي، والملك الأردني الحسين في عمان. وقد أدت عملية فصل القوات في سيناء إلى ربطه بجهاز مخابرات آخر، وهو وكالة المخابرات الأميركية التي كانت في أمس الحاجة إلى معلومات حول ما يحدث في الجانب المصري من محطات الإنذار المبكر في سيناء.

وتقول مصادر أميركية: إن العلاقة بين أشرف ووكالة المخابرات الأميركية استمرت مدة خمس وعشرين سنة تقريبا. وقد قام بزيارة الولايات المتحدة مرات عديدة من أجل تلقي العلاج الطبي وحظي باستقبال حار وضيافة سخية للغاية من قبل ممثلي الوكالة اليهودية.

كانت المكانة الكبيرة التي يحظى بها أشرف بمثابة عبء عليه، مما حدا به للاتجاه نحو عالم الأعمال بصورة تدريجية، واشترى له شقة فاخرة في لندن في شارع كرلتن هاوس 24، وبدأ باستثمار ماله في قنوات مختلفة. وفي عام 1975 عين أشرف رئيسا لرابطة الصناعيين العرب - وهي المنظمة التي ضمت مصر، السعودية والإمارات العربية في محاولة لصناعة أسلحة تقليدية بالأسلوب الغربي، بيد أن المبادرة لم تنجح، لكنها ساعدت أشرف في بناء علاقات هامة في عالم الأعمال. وبعد وقت قصير أقيل من منصبه، وفي عام 1979 انتقل إلى باريس. وبعد سنتين، وفي أعقاب اغتيال السادات، انتقل إلى لندن وبدأ عملا ناجحا في مجال الأعمال والذي در عليه مبالغ طائلة. وفي تلك الآونة استضاف دوفي في فندق يملكه في مايوركه، وأعلمه بنيته التخلي عن التجسس.

وتقول إحد الروايات أن أشرف شعر في نهاية سنوات السبعين أن الأرض بدأت تغلي تحت أقدامه، وأن هناك شبهات حوله تفيد بأن لديه علاقات سرية مع أسرائيل، لذا فضل مغادرة مصر وقطع الصلة التي تربطه بالإسرائيليين.

حظي أشرف في السنوات اللاحقة بنجاح هائل في عالم رجال الأعمال، امتدت أعماله في كل مكان، واشتري قسما من فريق تشلسي ونافس محمد الفايد على شراء شبكة الحوانيت الكبيرة المعروفة "هارودز" في لندن. وواصل حياة العبث واللهو، حيث كان يرتدي أفخر الثياب وارتبط اسمه بالعديد من قضايا الغرام. وفي إحدى المرات التي قدم رجال من وكالة المخابرات الأميركية للقائه اضطروا للانتظار خارج غرفته حتى خرجت المرأة التي كانت بصحبته وأخلت لهم الغرفة.

وارتبط اسمه في تلك الآونة أيضا بسلسلة من صفقات السلاح لليبيا والمسلحين في لبنان. وقام باستضافة عميل لوكالة المخابرات الأميركية في منزله، وقاده إلى شرفة منزله، وأشار إلى سيارة من طراز رولز رويس تقف بالجوار وقال له: "هذه هدية من القذافي".

لكن يبدو أن جميع الروايات التي تحدثت عن ليبيا وعن المسلحين في لبنان كانت مبالغا فيها جدا نظرا لأنه ما كان يجرؤ على إثارة غضب الموساد الإسرائيلي الذي كان قادرا في كل

لحظة على كشف ماضيه كجاسوس إسرائيلي، مما سيفضي إلى الحكم عليه بالإعدام، ومن ثم إذا كان ما قيل عن صفقات ليبيا والمسلحين صحيحا، فلا بد أنها تمت بالتنسيق مع الموساد.

مضت سنوات، وفي عام 2002 صدر كتاب "التاريخ الإسرائيلي" والذي وقعه المؤرخ الإسرائيلي رونين برجمان، والذي تطرق فيه إلى الجاسوس الذي حذر إسرائيل من الحرب المقتربة، وأطلق عليه اسم "النسيب"، وهو الأمر الذي اعتبر بمثابة اعتراف بأن الجاسوس كان مقربا من شخصية هامة، وأن "حوتال" كان زوج ابنة الرئيس جمال عبد الناصر. وقال أيضا أن "النسيب" كان جاسوسا مزدوجا وأنه كان ينقل معلومات كاذبة إلى إسرائيل.

ورغم أن الكتاب لم يتطرق إلى اسم أشرف مروان صراحة، إلا أنه أثار غضبه، وقد رد عليه في مقابلة مع صحيفة الأهرام المصرية، وسخر من رواية برجمان وقال: "إنها ليست سوى رواية بوليسية مضحكة".

شعر برجمان بالإهانة وقرر الدفاع عن كرامته، وسارع لإجراء مقابلة مع صحيفة الأهرام قال فيها علانية أن "النسيب" هو أشرف مروان. كان الاتهام قاسيا، بيد أنه اتهام غير موثق لباحث غير معروف، ويبدو أنه لم يثر أصداء واسعة، حتى جاء إيلي زعيرا رئيس شعبة الاستخبارات السابق وأعلن أن العميل المصري الرفيع الذي عمل لصالحنا، العميل المزدوج الذي خدعنا، هو أشرف مروان.

لم يسبق أن حدث أمر كهذا في إسرائيل، فهوية العملاء السابقين لا يتم الكشف عنها، ولا حتى في أعقاب وفاتهم، في حين أن مروان كان لا زال حيا، ويمكن الانتقام منه على أيدي قتلة ترسلهم المخابرات المصرية.

حاول تسفي زمير الاتصال بأشرف ، لكن أشرف رفض الاجتماع به. وعقب زمير على ذلك بالقول: "لقد رفض الاجتماع بي، لأنه اعتبر أنني لم أدافع عنه. لقد بذلت كل ما بوسعي للدفاع عنه، لكنني فشلت".

عندما انتهك زعيرا أصول العمل الاستخباري سارع زمير لمهاجمته بشدة، واتهمه بكشف أسرار دولة، فرد عليه زعيرا بالقول إنه يدافع عن إنسان كان عميلا مزدوجا.

لقد شاهد الصحفي رونان برجمان في التليفزيون مراسيم رسمية مصرية لوضع إكليل ورد على قبر الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، وشاهد الرئيس المصري حسني مبارك يصافح أشرف مروان بحرارة، الأمر الذي جعله يعتقد أن أشرف كان حقا عميلا مزدوجا. وقد هب الرئيس مبارك فيما بعد للدفاع عن أشرف مروان، ونفى أنه كان عميلا لإسرائيل.

قرر الموساد وشعبة الاستخبارات تشكيل لجنة تحقيق مشتركة، حيث اتضح أن مروان لا يمكنه أن يكون عميلا مزدوجا، وأنه لم يلحق أية أضرار بإسرائيل. لكن زعيرا لم يتخل عن القضية وقرر مقاضاة زمير. وقد أكد القاضي المتقاعد تيودور أور الذي عينته المحكمة كمحكم بين الطرفين: إن قصة زمير هي الصحيحة.

يبدو أن زعيرا ومؤيديه تجاهلوا حقيقة أن أشرف مروان كان زوج ابنة الرئيس جمال عبد الناصر، واحتل مكانة بارزة في مكتبه وفي مكتب الرئيس السادات، لذا لم يرغبوا في الاعتراف بأنه كان عميلا للموساد، لأن مثل هذا الاعتراف كان سيهز صورة الحكام المصريين في أعين الجماهير المصرية. لذا قررت الزعامة المصرية انتهاج أسلوب آخر: الثناء على أشرف مروان علنا، والحكم عليه بالموت سرا.

أعلن القاضي تيودور في مطلع حزيران 2007 عن حكمه في قضية التحكيم، وفي الثاني عشر من حزيران 2007، صادقت المحكمة الإسرائيلية على قصة زمير بشأن الدور الذي لعبه أشرف مروان في خدمة الموساد. وبعد اسبوعين، أي في السابع والعشرين من حزيران 2007 تم العثور على جثة "حوتال" على الرصيف تحت شرفة منزله.

اتهمت إسرائيل المخابرات المصرية بقتله، وهناك من اتهم زعيرا بأنه هو الذي تسبب في قتله عندما نشر اسمه. بيد أن زوجته منى اتهمت الموساد بقتله. وقد قال شهود عيان أنهم شاهدوا أشخاصا ذوي مظهر شرقي يقفون سوية مع مروان على شرفة بيته قبل دقائق معدودة من مقتله. أما شرطة سكوتلانديارد فقد أغلقت ملفه في البداية على أساس أن وفاته كانت انتحارا أو حادثة، لكنها قررت إعادة ملف التحقيق من جديد بغية العثور على القاتل.

الفصل الخامس عشر

----

*د.بول نجح في نصب أطول مدفع صنع في العالم بناء على مخططات المدافع الالمانية التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية حيث يبلغ طوله 36 مترا وقطره 424 مليمترا.

* إغلاق مركز التجارب في "بربروس" اثار غضب بول الذي اشتغل كتاجر سلاح يبيع المدافع لكل من يشتري وحكمت عليه محكمة أميركية بالسجن لمدة ستة أشهر بتهمة بيع الأسلحة بصورة غير قانونية.

* بول باع العراق مائتي مدفع من طراز "جي.45 "التي تمت صناعتها في النمسا وتهريبها عبر ميناء العقبة.

*بول عرض على صدام حسين أن يبني له المدفع العملاق الذي يعتبر أفضل وأكبر مدفع في العالم ووعده بأنه سيكون قادرا على ضرب العمق الإسرائيلي.

* بول حسن صواريخ سكاد العراقية واجرى تجارب على رؤوسها الحربية ونجح في إطالة مداها والتي تساقطت على إسرائيل إبان حرب الخليج.

* د. جرالد بول اغتيل بخمس طلقات امام شقته في بروكسل ولا احد يعرف الى الآن قاتليه ولكن جميع الدلائل تشير الى الموساد.

"بول يبني لصدام حسين
أكبر مدفع في العالم"

سقطت قنبلة عملاقة في الثالث والعشرين من أذار 1918 خلال الحرب العالمية الأولى على ميدان الجمهورية في باريس، وبعد ساعة سقطت قنبلة أخرى في المدينة وقتلت ثمانية أشخاص. وقد أثارت هذه القنابل ذعرا شديدا في أوساط سكان العاصمة الفرنسية الذين كانوا بعيدين عن الجبهة. وقام قائد منطقة باريس بإرسال دورية فورا لتفتيش الغابات المحيطة بالمدينة حيث توقع أن يكون الألمان قد أخفوا موقع المدفعية التي تقصف القنابل، بيد أن التفتيش لم يسفر عن أي شيء يذكر. وفكر الفرنسيون أن من المحتمل أن تكون "سفينة هوائية" – منطاد- هو الذي أطلق القنبلتين.

بعد ستة أيام سقطت قنبلة ألمانية أخرى على باريس في عيد "يوم الجمعة الجيد"، وقد أصابت القنبلة كنيسة "سان جربه" إصابة مباشرة، وقتلت واحدا وتسعين مصليا وأصابت مائة آخرين بجراح،مما أصاب السكان بفزع شديد، ولم تسفر جميع أشكال التفتيش التي قام بها الجيش والذي توغل بعيدا عشرات الكيلومترات عن المدينة عن شيء يذكر. لم يعرف أحد ما هو هذا المدفع الذي يطلق قنابله الفظيعة إلى باريس من بعيد. وقد قارن الصحفيون هذا المدفع العملاق غير المعروف بالمدفع الذي أورده الكاتب المعروف جول ورن في كتابه "من الأرض إلى القمر"، والذي أطلق – حسب خياله مركبة فضائية من الأرض فوصلت إلى القمر.

شاء حسن طالع الفرنسيين أن تنتهي الحرب في ذلك العام بانتصار الحلفاء على ألمانيا. وفي أعقاب الحرب بدأت الأنباء تتحدث عن المدفع الفظيع، وهناك من أطلق عليه اسم "مدفع باريس"، وهناك من أسماه مدفع "ويلهلم" على اسم القيصر الألماني ويلهلم الثاني.واتضح أن شركة تطوير الأسلحة الألمانية "كروف" هي التي طورت المدفع، وصنعت ثلاثة مدافع منه. كان مدى المدفع يصل إلى 128 كيلومترا، وبلغ طول قنابله مترا وكانت القنابل ترتفع إلى 42 كيلومترا وهو الارتفاع الذي اعتبر آنذاك ذروة لم يتم كسرها إلا خلال الحرب العالمية الثانية بصناعة الصواريخ الألمانية "في -2" .

قام الألمان بتطوير المدافع الثلاثة بسرية تامة، وكانت تحمل على سيارات خاصة، وكانوا يغيرون أماكنها بين الفينة والأخرى. وحظر على جنود المدفعية الثمانين الذين يشغلون تلك المدافع التحدث مع الجنود الآخرين.

وكلما شارفت الحرب على نهايتها كلما أصبحت إمكانية المناورة للمدافع المذكورة أصعب. كانت الطائرات البريطانية تفتش عن تلك المدافع ككلاب الصيد، وفي اللحظة التي تكتشفها فيها تقوم بقصفها، وقام الفرنسيون أيضا بصب قذائفهم عليها من أماكن قريبة من الجبهة، مما اضطر القائمين عليها لتهريبهم من مكان إلى آخر، وفي النهاية لم تعد تلك المدافع قادرة على العمل. وقد انفجر أحد المدافع إبان تفعيله مما أدى إلى مقتل خمسة جنود مدفعية، أما المدفعان الآخران فقد بقيا على ما كانا عليه، وفي نهاية الحرب اختفيا تماما دون أن يتركا أي أثر. وهكذا تحول المدفعان إلى لغز اعتقد الكثيرون أنهم لن يستطيعوا حله إلى الأبد.

وفي عام 1965 توجهت امرأة ألمانية كبيرة السن إلى كندا واجتمعت مع باحث يناهز السابعة والثلاثين يدعى الدكتور جرلد بول الذي يعمل في معهد الأبعاث الفضائية في جامعة مكجيل في مونتريال. كانت المرأة إحدى قريبات ائلة بريتس رأوزنبرجر الذي كان رئيسا لشعبة التطوير والانتاج المدفعي في شركة كروب. وقد أحضرت معها إلى بول مخطوطة ضائعة كانت قد اكتشفتها في إرشيف العائلة تحمل وصفا دقيقا للمدفع العملاق وتتطرق بإسهاب لقطعه وطريقة تفعيله.

أثارت هذه المخطوطة حماس بول الذي كان يعتبر نابغة، إلى الدرجة التي جعلته يحصل على الدكتوراة وهو في الثالثة والعشرين، وكان أصغر دكتور ينهي رسالة الدكتورة في جامعة كندية. وكان يحلم ببناء مدافع عملاقة تطلق قنابل إلى أبعاد تصل إلى مئات الكيلومترات، وتطلق أقمارا صناعية إلى الفضاء الخارجي.

استخدم بول المخطوطة التي جلبتها له الألمانية والمواد التي جمعها لتأليف كتاب حول المدافع الألمانية العملاقة وحول الإمكانيات التي فتحتها أمام باحثي المستقبل. لم يكتف بول بالكتاب، لقد نجح في الحصول على تأييد الحكومة الأميركية، ووزارة الدفاع الكندية وجامعته، ومنح مركز تجارب في جزر الكاريبي في برباروس، وهناك قام بول بنصب أطول مدفع صنع

في العالم، حيث يبلغ طوله 36 مترا، وقطره 424 مليمترا، وقد استخدم لتركيبه وصيانته مئات العمال غالبيتهم من المحليين.

أجرى مدفع بول تجارب ناجحة وأطلق قنابل كبيرة إلى أرتفاعات شاهقة. وقال بول إنه إذا ما تم حشو المدفع بدلا من القنابل بصاروخ يعمل بالوقود الصلب، فإن مدفعه قادر على قذف صاروخ تبلغ زنته ما بين 80-90 كيلوجراما إلى أربعة آلاف كيلومتر، إلى ارتفاع 250 كيلومترا.

كان مدفع بول إنجازا كبيرا لكن ولأسباب مختلفة قررت الجهات الحكومية الأميركية والكندية وقف تمويل الخطة. وفي عام 1968 اضطر بول لمغادرة برباروس. وكان يشعر بإحباط فظيع، إضافة إلى شعوره بالاحتقار والكراهية تجاه البيروقراطيين الذين قرروا وضع حد لمخططه.

انشغل زمنا طويلا في بناء قنابل وصدر خمسين ألف قنبلة لإسرائيل لاستخدامها في المدافع الأميركية، بيد أنه كان رجلا سريع الغضب، ولا يستطيع السيطرة على نفسه دائما، وقد تخاصم مع جميع الضباط والموظفين رفيعي المستوى الذين كانت له صلة بهم.

بدأت الإهانة التي شعرها جراء إغلاق مركز التجارب في بربروس تأكله كالنيران من الداخل، وكان مصرا على فعل كل شيء من أجل بناء مدفعه العملاق، بل لقد تحول ذلك الإصرار إلى شيء يستحيل التخلص منه بالنسبة له.

ومن الجدير بالذكر أنه بنى أكثر مدفع متقدم في العالم في ذلك الحين، المدفع المسمى "جي.سي.45" والذي يصل مداه إلى أربعين كيلومترا، وقد اعتبر في ذلك الحين أفضل مدفع في العالم. وقد باع بول المدفع لكل من كان على استعداد للشراء. ورغم الحظر الذي فرضته الأمم المتحدة على بيع الأسلحة لجنوب أفريقيا إلا أنه باع مدافع لجيشها الذي كان في أمس الحاجة إليها لمحاربة أنجولا. بل وقد منح بول لجنوب أفريقيا تصريحا لتصنيع المدفع.

وتفيد إحدى الروايات أن وكالة المخابرات المركزية الأميركية أيدت سرا نشاطات بول غير المشروعة، لكن عندما انكشف الأمر اختفى أصدقاء بول من المخابرات المركزية وبقي وحده معرضا للشجب من الأمم المتحدة بوصفه تاجر أسلحة ينتهك القانون. وقد اضطر إزاء ذلك

للعودة إلى الولايات المتحدة، وهناك كانت بانتظاره مفاجأة غير سارة، حيث حكمت عليه محكمة أميركية بالسجن لمدة ستة أشهر بتهمة بيع الأسلحة بصورة غير قانونية.

وعندما خرج بول من السجن وعاد إلى كندا، فرضت عليه غرامة بقيمة 55000 دولار. وإزاء الغضب الذي انتابه جراء ذلك، غادر كندا وتوجه إلى بلجيكا، وهناك أسس شركة جديدة سوية مع "المصانع البلجيكية المتحدة للبارود". ورغم ذلك واصلت مسألة صناعة المدفع العملاق تغلي في دمه، وواصل الحلم يراوده ببنائه. لقد كان على استعداد لبيع روحه للشيطان في سبيل تجسيد حلمه، وهذا ما حدث، إذ سرعان ما وجد الشيطان في صورة صدام حسين.

كانت العراق في تلك الآونة غارقة في حربها المرة والقاسية مع إيران، وقام بول ببيع العراق مائتي مدفع من طراز جي.45 التي تمت صناعتها في النمسا وتهريبها عبر ميناء العقبة، بيد أن هذه الكمية من المافع كانت البداية.

كان صدام حسين مثله كمثل بول يشعر بالإحباط في أعقاب قيام إسرائيل بقصف المفاعل النووي العراقي "تموز" وسرقتها حلمه في ان يصبح دولة عظمى نووية، كما أنه كان يحسد إسرائيل التي كانت على وشك إطلاق قمر صناعي إلى الفضاء، لذا أصغى لما يقوله بول عندما قدم له عرضا يستحيل عليه أن يرفضه.

لقد اقترح بول على صدام حسين أن يبني له المدفع العملاق الذي يعتبر أفضل وأكبر مدفع في العالم، ووعده بأنه سيكون قادرا عبر استخدام هذا المدفع على إطلاق أقمار صناعية إلى الفضاء، وإطلاق قنابل عملاقة لمسافات تربو على ألف كيلومترا، الأمر الذي يعني أنه سيكون قادرة على ضرب العمق الإسرائيلي.

وافق صدام حسين بحماس. وحينها قرر بول إطلاق اسم "خطة بابل" على مشروعه،ووضع المخطط لبناء مدفعه العملاق: مدفع يبلغ طوله مائة وخمسين مترا وزنته 2100 طن، وقطره مترا. لكنه قرر قبل أن يركب هذا المدفع أن يركب مدفعا أصغر حجما لإجراء التجارب عليه، وأطلق على المدفع الصغير "بيبي بابل". وكان طول هذا "البيبي" 45 مترا وقد بناه دون أية صعوبة. وقد أثار المدفع تأثر وحماس مسؤول المدفعية في جيش صدام، بيد أن هذا المدفع كان شيئا صغيرا إزاء المدفع العملاق الذي يعتزم تطويره.

اختار بول مكانا للمدفع تلة صحراوية، ووضع على منحدرها فوهة أطول وأضخم مدفع في العالم. وبعد أن وضع المخطط قدم طلبات إلى مصانع مختلفة في أوروبا لصناعة أجزاء المدفع. لقد كانت الفوهة بمثابة المركب الأساسي وقد قرر بول تركيبها من عشرات الأنابيب الفولاذية العملاقة، وقد طلب من بريطانيا،أسبانيا، هولندا وسويسرا صناعة هذه الأنابيب، وقد زعم أن هذه الأنابيب ستستخدم لخط نفط كبير.

وكي يلتف على الحظر المفروض على بيع أسلحة أو مواد استراتيجية إلى مناطق حرب، قدم طلبية الأنابيب باسم الأردن الجارة المتعاطفة والمؤيدة. والأنابيب خرجت في طريقها إلى هدفها. إن المذهل في الأمر هو أن غالبية الجهات المشاركة في صناعة الأنابيب – وبشكل خاص سكوتلاندا – كانت على علم أن الأمر يتعلق بقطع مدفع، لكن الرغبة في الحصول على المال، وعدم المبالاة بنشوب الحرب في الشرق الأوسط من عدمه ، فضلت تلك الدول تجاهل الأمر. وحصلت الأنابيب العملاقة على إذن تصدير وتم تحميلها على السفن واتجهت نحو الهدف، وقد وصلت الكثير من هذه الإرساليات حقا إلى العراق. وشرع مهندسو وفنيو بول في تركيب أطول مدفع، والذي وجه غربا.

لكن بول لم يكتف بذلك، وقد قام بالتخطيط لمدفعين متحركين يعتبران من أفضل المدافع في العالم من أجل العراق: المجنون والفاو، وقد تم إدخال المجنون في الخدمة العراقية فورا. كما وافق بول أيضا على تحسين صواريخ سكاد الموجودة لدى العراقيين، وإجراء تجارب على رؤوسها الحربية. وقد نجح في إطالة مدى تلك الصواريخ والتي تساقطت على إسرائيل إبان حرب بالخليج.

ويقول ابن بول أن عملاء إسرائيليين حذروا العالم كي يكف عن أعماله الخطرة، لكنه لم يصغ إليهم. ويبدو أن الأعمال التي كان يقوم بها أثارت قلقا لدى المخابرات البريطانية والأمريكية، وكان للإيرانيين أيضا حساب دموي مع بول فقد استخدم العراقيون مدافعه خلال الحرب الإيرانية العراقية. ويبدو أنهم حذروه من العمل الشيطاني الذي يقوم به.

عندما رفض جرالد بول الاستماع للتحذيرات قرر عملاء المخابرات الأجانب القيام بخطوة أخرى، فقد قام مجهولون باقتحام شقته في حي أوكله في بروكسل المرة تلو الأخرى

خلال شتاء 1990، ولم يأخذوا شيئا، بل قلبوا الآثاث رأسا على عقب كي يتركوا له رسالة واضحة تقول: "نحن هنا، وقادرون على السير خطوة أخرى إلى الأمام". لكن لا حياة لمن تنادي، كان بول مصرا على مواصلة عمله واللعب بالنار. وواصلت قطع المدافع الوصول إليه ونصبها الواحدة واء الأخرى على التلة العراقية، وبدا وكأن من المستحيل وقف خطة بابل العراقية باستثناء شيء واحد.

في الثاني والعشرين من آذار 1990 عاد بول إلى شقته في بروكسل، وعندما حاول إدخال المفتاح في الباب اندفع شخص من الممر وأطلق خمس عيارات نارية على رأسه، مما أدى إلى وفاته فورا. وقد أفادت وسائل الإعلام أن قاتليه من وكالة المخابرات المركزية الأميركية أو البريطانية أو الأنغولية أو الإيرنية وغيرها، لكن الغالبية العظمى أشارت إلى إسرائيل.

أجرت السطات البلجيكية تحقيقا شاملا بيد أنها لم تتمكن من الوصول إلى أية نتائج، ولم يعرف أحد حتى الآن قاتليه. وحال موت بول توقف العمل في المدفع العملاق، وتبعثر مساعدوه ومهندسوه في كل اتجاه، لقد كانوا على علم بقسم من مخططاته لكن الخطة المتكاملة كانت كامنة في عقل بول نفسه.

في أعقاب وفاة بول بأسبوعين استيقظت السلطات البريطانية من غفوتها، وضبطت في ميناء تيسبورت ثمانية أنابيب عملاقة من انتاج مصانع الفولاذ في شفيلد والتي جاء في وصفها في بوالص الشحن أنها أنابيب نفط. كنت هذه الخطوة متأخرة جدا نظرا لأن أربعة وأربعين أنبوبا أصبحت في استخدام العراقيين. وبعد أسبوعين آخرين تم اكتشاف المزيد من قطع غيار المدفع العملاق في عدد من الدول الأوروبية الأخرى. وقامت بريطانيا بإجراء تحقيقات شاملة للأسباب التي وافقت من أجلها شركات محترمة مثل شفيلد وبورجمسترس على تجاهل أهداف صدام حسين الشيطانية وتزويده بقطع غيار المدفع العملاق.

وعندما احتل الأميركيون العراق عام 2002 عثروا على أكوام من الأنابيب العملاقة الصدئة في مخزن على بعد خمسين كيلومترا من بغداد. كان هذا كل ما تبقى من البرنامج الكبير للدكتور جرالد بول.

لقد تم اغتيال بول في الوقت الذي تغير طابع الموساد بصورة تدريجية. لقد تم التركيز خلال التسعينات في عمل الموساد من العمل الاستخباري إلى العمليات الخاصة، أي أنه بدأ يأخذ على عاتقه رويدا رويدا محاربة الأخطار غير العسكرية وغير التقليدية التي تهدد إسرائيل، حيث لم يكن لدى إسرائيل رد مناسب تجاه الإرهاب الذي أصبح أكثر خطرا وجرأة. وكان زعماء الإرهاب يعيشون بأمان في دول أجنبية، ويخططون من هناك العمليات ويرسلون رجالهم للقيام بعمليات ضد إسرائيل أو لأهداف إسرائيلية في شتى أنحاء العالم، وحتى عندما كان الإسرائيليون يعرفون من هم وما هي الأعمال التي يقومون بها لم يكونوا قادرين على تقديمهم للمحاكمات. لذا لم يكن أمام الموساد من وسيلة أخرى سوى قتلهم. لقد كانت تلك العمليات صعبة حتى على المخابرات بيد أنها كانت فعالة بشكل خاص عندما كانت عملية تصفية الزعماء تفضي إلى شل منظماتهم. لقد أثبتت عملية مطاردة رجال أيلول الأسود نفسها، فعندما تم تصفيتهم انهارت هذه المنظمة نهائيا، وكذلك الأمر فيما يتعلق بجرالد بول، رغم أن قتلته غير معروفين حتى الآن، فعندما اغتيل اختفت مخططاته الخطرة. وكذلك الأمر بالنسبة لوديع حداد.

الفصل السادس عشر

----

* الموساد جند عميلا موثوقا من الجبهة الشعبية كي يحمل إلى زعيمه في بغداد كمية كبيرة من الشوكولاته الفاخرة بعد أن قام الموساد بإدخال سم بيولوجي قاتل اليها.

*حداد اكل الشوكولاتة كلها وبعد اسبوع بدأ وضعه الصحي يتدهور وأصبح ضعيفا وعاجزا وملقى على سريره.

*توفي حداد بالسم البيولوجي دون ان يكتشف احد اسباب الوفاة وبقي الامر هكذا حتى كشف الموساد سر اغتياله.

*حداد كان أول من اختطف طائرة تابعة لشركة "إلعال" الإسرائيلية في تموز 1968 ثم اختطف طائرات أخرى في جميع أنحاء العالم بغية رفع القضية الفلسطينية الى أذهان العالم كله.

الشوكولاتة
القاتلة

لقد بدأت عملية وديع حداد بعلبة شوكولاته. والدكتور وديع حداد أحد كبار مسؤولي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كان يحب الشوكولاته، بل كان مدمن شوكولاته وخصوصا الشوكولاته البلجيكية. وقد علم الموساد بذلك من مصادر فلسطينية موثوقة. وقد قرر مسؤولو الشعبة التنفيذية استغلال نقطة الضعف آنفة الذكر من أجل تصفيته، بيد أنه كانت هناك مشكلة يجب حلها. كان حداد يخشى الذراع الإسرائيلية الطويلة، لذا انتقل للعيش في بغداد، ومن هناك واصل التخطيط لسلسلة من العمليات الاستعراضية واختطاف الطائرات، وأشهرها اختطاف طائرة إيربوس إي-300 التابعة لشركة إير فرانس إبان توجهها من تل أبيب إلى باريس وإرغامها على النزول في عنتيبا في أوغندا في حزيران 1976. وفي عام 1977 انتقل الموساد إلى مرحلة العمليات .

بعد سنة من تخليص إسرائيل للرهائن قرر الموساد تصفية وديع حداد الذي اعتبره من أخطر المخربين في العالم. وعرض مسؤولوه خطة التصفية على رئيس الحكومة مناحم بيجن. قام الموساد بتجنيد عميل موثوق كي يحمل إلى زعيمه في بغداد كمية كبيرة من الشوكولاته البلجيكية الفاخرة بعد أن قام عملاء الموساد بإدخال سم بيولوجي قاتل إلى الشوكولاته. وقدروا أن حداد المدمن على الشوكولاته سيأكل الكمية كلها وحده، ولن يشاركه فيها إي إنسان.

وهذا ما حدث فعلا. حمل العميل الشوكولاته معه حال عودته من أوروربا إلى حداد الذي جلس في مكتبه وأكل بنهم حتى أنهى الكمية. وفي غضون أسبوع بدأ حداد المتسم بالسمنة يفقد وزنه لأنه لم يعد يأكل جيدا لانعدام شهيته. وقد أشارت فحوص الدم التي أجراها له الأطباء أنه أصيب بأضرار في جهاز المناعة، ولم تفهم أية جهة ما الذي يحدث له.

تدهور وضع حداد رويدا رويدا، وأصبح ضعيفا وعاجزا وملقى على سريره. وعندما أصبح وضعه حرجا اتخذت الجبهة الشعبية قرارا بنقله إلى مستشفى في ألمانيا، لكن الأطباء

الألمان لم يستطيعوا إنقاذه، وفعل السم البيولوجي فعله. وفي الثلاثين من آذار 1978 توفي وهو في الثامنة والأربعين.

لم يفهم مقربوه ورجاله ما الذي حدث له بصورة فجائية، ولم يستطع الأطباء العراقيون أو الألمان تقديم التفسير اللازم لوفاته، بل لم يستطيعوا الجزم فيما إذا كانت وفاته طبيعية أم لا، وكل ما استطاعوا قوله: "أنه توفى من مرض عضال هاجم جهاز المناعة لديه"، ولم تشتبه أية جهة في الموساد، بل وجه البعض أصابع الاتهام إلى السلطات العراقية بأنها هي التي قامت بتسميمه نظرا لأنها تعتقد أنه لم يعد مجديا. وبعد سنوات طويلة سمحت إسرائيل للباحثين بالإعلان عن أن الموساد هو الذي قتله.

وعندما توفي عرفات بعد ثلاثين سنة من وفاة حداد، قال عدد من مساعديه إن إسرائيل هي التي قتلته بصورة غامضة، لكن أحدا لم يثبت هذا الادعاء رغم الفحوص الدقيقة التي أجراها له الأطباء الفرنسيون.

كان حداد يتمتع بعقلية مبدعة، ولم يكن يكف عن التفكير في العملية التالية، لقد كان أول من اختطف طائرة تابعة لشركة ألعال الإسرائيلية في تموز 1968، ثم اختطف طائرات أخرى في جميع أنحاء العالم بغية رفع القضية الفلسطينية الى أذهان العالم كله. وحال قتله انهار الجناح العسكري الذي كان يترأسه، وانخفضت نسبة العمليات التي تقوم بها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الخارج انخفاضا ملموسا.

وعلى غرار ما حدث لجرالد بول، ووديع حداد، حدث أيضا لفتحي الشقاقي

الفصل السابع عشر

---

* الشقاقي توجه الى مالطا في طريقه الى ليبيا متنكرا وتحت اسم مستعار وفي ظل تكتم سري تام ولكن تحت اعين الموساد.

* الموساد اغتال الشقاقي اثناء تجواله متنكرا في اسواق مالطا انتقاما على عملية بيت ليد التي نفذها الجهاد الاسلامي وحصدت ارواح 21 جنديا اسرائيليا.

* قتلة الموساد كانوا على علم بكل شيء عن الشقاقي: موعد خروجه من مالطا، رقم الرحلة الجوية، الشخصية التي تنكر فيها، موعد عودته إلى دمشق.

* الموساد جند طالبا فلسطينيا إبان دراسته في بلغاريا وطلب منه الالتحاق بالجهاد الإسلامي وخلال أربع سنوات تمكن من الوصول إلى مكتب الشقاقي وأن يكون كاتما لأسراره.

" لا وجود لمالطا"

يقولون أن السلطان العثماني أرسل في منتصف القرن التاسع عشر قائد أسطوله الإدميرال المشهور والمعروف من أجل احتلال مالطا الواقعة في البحر الأبيض، وقد تجول القائد المشهور أشهرطويلة في البحر الأبيض بيد أنه لم يعثر على مالطا، فعاد إلى السلطان وقال له:" لا وجود لمالطا".

لكن في أيامنا هذه هناك من عثر على مالطا، ولم يكتفوا بذلك بل عثروا أيضا على شخص جاء إليها متنكرا وتحت اسم مستعار وفي ظل تكتم سري تام.

خرج فتحي الشقاقي صباح السادس والعشرين من تشرين الأول 1995 من فندق ديلومات الواقع في مدينة سلمه في مالطا بغية التسوق قبل العودة إلى دمشق التي سكن فيها خلال السنوات القليلة الماضية. والشقاقي هو رئيس منظمة الجهاد الإسلامي. وكان يعتمر شعرا مستعارا ويستخدم جواز سفر ليبيا باسم إبراهيم شويش. لقد شعر أنه آمن إلى الدرجة التي جعلته يسير وحده وسط المدينة الهادئة، ولم يكن يعرف أن عملاء الموساد يترصدون حركاته منذ خروجه قبل أسبوع من مالطا إلى ليبيا من أجل المشاركة في اجتماع منظمات حرب التحرير الشعبية الفلسطينية والعربية.

قام اثنان من الجهاد الإسلامي في كانون الثاني 1995 بتنفيذ عملية انتحارية على الطريق السريع في مفترق بيت ليد في إسرائيل، مما أدى إلى مقتل واحد وعشرين جنديا إسرائيليا وإصابة ستة وثمانين آخرين بجراح، غالبيتهم اصيبوا بجراح خطيرة. كانت تلك العملية من أخطر العمليات التي وقعت في إسرائيل. وعندما جاء رئيس الحكومة اسحق رابين إلى مكان الحادث شعر بالذهول التام من المنظر الذي شاهده أمام ناظريه، وأمر شبتاي شبيط رئيس الموساد بقتل زعيم الجهاد الإسلامي الشقاقي الذي كان موجودا منذ زمن طويل تحت رقابة الموساد.

إن أكثر ما أغضب رابين هو مفاخرة الشقاقي بالعملية وقوله لمراسل "تايم مجازين" إن هذه العملية كانت أكبر عملية تجري داخل فلسطين، وانها أشعرت مواطنينا بالارتياح، سوف نواصل توجيه الضربات لإسرائيل حتى تحقيق أهدافنا".

وأفادت صحيفة "دير شبيجل" الألمانية أن الموساد اقترح قتل الشقاقي في دمشق، لكن اسحق رابين رفض ذلك، لأنه لم يكن يرغب في إحداث أزمة في المحادثات السرية التي جرت آنذاك مع الرئيس السوري حافظ الأسد. وطلب رابين أن يتم إعداد بدائل.

كانت المهمة معقدة، وأوضح شبتاي شبيط لرابين أن الشقاقي يعرف تماما أنه هدف من أهداف الموساد، لذا فإنه يخرج من سورية في حالات نادرة فقط. ورغم ذلك لم يوافق رابين على قتله في دمشق، كان يجب إتمام العملية خارج الحدود السورية.

وفجأة لاحت الفرصة التي كان الموساد بانتظارها، حيث تلقى الشقاقي دعوة لزيارة ليبيا، وقد أعلن في البداية أنه لن يسافر إلى هناك، لكنه علم فجأة أن خصمه اللدود سعيد موسى – من منظمة أبو موسى- سيشارك في الاجتماع. كان الموساد يعتقد أن الشقاقي لن يسمح لخصمه بحضور الاجتماع وحده، وقد أكدت المعلومات السرية التي وصلت إلى الموساد أن الشقاقي قرر الذهاب إلى ليبيا، وقد صادق رابين على الاغتيال خارج حدود سورية.

بدأت الاستعدادات في الموساد، وقد اتضح من متابعة رحلات الشقاقي السابقة لليبيا أنه اعتاد السفر إليها عبر مالطا، لذا قرر مسؤولو الموساد العمل في مالطا وليس في ليبيا نظرا لكونها مكانا هادئا ومريحا. انتظر عملاء الموساد الشقاقي في المطار الذي كان من المفروض أن يهبط فيه وهو في طريقه إلى المؤتمر. لقد جاء الشقاقي على متن الرحلة الثالثة القادمة من دمشق إلى مالطا متنكرا بصورة تجعل من الصعب التعرف عليه، وقد انتظر في المطار زمنا قصيرا ثم انطلق من هناك إلى ليبيا.

عاد الشقاقي في السادس والعشرين من تشرين الأول إلى مالطا وتوجه مباشرة إلى فندق "ديبلومات" الذي اعتاد النزول فيه في الجزيرة، وقد نزل في الغرفة رقم 616. وعندما توجه للتسوق تابعه عميلان من عملاء الموساد وهما يمتطيان دراجة نارية زرقاء اللون. دخل الشقاقي إلى عدة حوانيت وبعد حوالي ساعتين قفل عائدا إلى الفندق دون أن يلاحظ الدراجة

النارية التي تلاحقه أو أي شيء مشبوه. وقبل أن يصل إلى الفندق ببضعة أمتار اقترب منه أحد عملاء الموساد، والذي وصف بأن لديه ملامح شرقية، وأطلق عليه النار من مسدس مزود بكاتم صوت ست عيارات نارية من مسافة قريبة. وقد اخترق عياران فكه الأيسر وأخطأه عيار آخر وأصاب سيارة واقفة، وعندما سقط الشقاقي على الأرض أطلق عليه عميل الموساد ثلاثة عيارات نارية أخرى في رأسه.

ركض العميل المنفذ إلى زقاق جانبي حيث كان زميله بانتظاره بدراجته النارية، وفر الاثنان نحو الشاطئ حيث كان بانتظارهما زورق سريع طار بهما إلى عرض البحر حيث كانت بانتظارهما سفينة كبيرة كانت تقل أسمنتا من حيفا إلى إيطاليا وقد وجدا على متنها رئيس الموساد شبتاي شبيط الذي أشرف على العملية. كانت عملية الفرار ناجحة إلى الدرجة التي لم يتعقبهما أحد.

ثار سؤال شديد الأهمية في أوساط الجهاد الإسلامي في اعقاب عملية التصفية: من الخائن الذي سرب إلى الموساد التفاصيل الخاصة بالشقاقي؟ لقد كان قتلة الموساد على علم بكل شيء تقريبا: موعد خروجه من مالطا، رقم الرحلة الجوية، الشخصية التي تنكر فيها، موعد عودته إلى دمشق. وبعد خمسة أشهر من التحقيقات اعتقل الجهاد الإسلامي طالبا فلسطينيا كان مقربا إلى الشقاقي، واتهمه بأنه هو الذي أرسل للموساد جميع التفاصيل عن الشقاقي. وقد انهار واعترف، وقال إن الموساد جنده إبان دراسته في بلغاريا، وطلب منه الانتقال إلى دمشق والالتحاق بالجهاد الإسلامي والتقرب منه، وخلال أربع سنوات تمكن من الوصول إلى مكتب الشقاقي وأن يكون كاتما لأسراره.

الفصل الثامن عشر

----

*مشعل مهندس حاسوب وسيم وله ذقن سوداء جميلة وضعه الموساد على سلسلة أهدافه في أعقاب العملية الانتحارية التي جرت في القدس في سوق "محانيه يهودا".

*الموساد حاول قتل مشعل بسم بيولوجي حيث ان قطرات صغيرة من هذا السم قادرة على قتل أي إنسان حتى اذا لامست جلده.

*الموساد غفل عن وجود ابني مشعل في سيارته وصراخ طفلته خلفه كشف العملية والعملاء.

* الملك حسين هدد باقتحام السفارة الإسرائيلية واعتقال عملاء الموساد الموجودين هناك ووقف التعاون مع إسرائيل في حال لم يسلموا الصيغة الكيميائية للترياق.

*هليفي اقترح على الملك صفقة تبادل: الإفراج عن عملاء الموساد مقابل الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين زعيم حركة حماس من السجن والملك الحسين وافق.

*الأردنيون طالبوا بالإفراج عن عشرين أسيرا أردنيا من السجون الإسرائيلية مقابل العميلين المعتقلين فقبل شارون العرض بيد أن الأردنيين تراجعوا.

تصفية خالد

مشعل الفاشلة

"رصاصة في الرأس أو صاروخ على سيارة أكثر انسانية من السم"

صرخت الفتاة الصغيرة قائلة "بابا، بابا" وقفزت من سيارة الجيب السوداء وركضت في أعقاب والدها إلى داخل المكتب الكبير في قلب مدينة عمان. وبذلك أثارت أخطر أزمة في تاريخ الموساد. لقد تم التخطيط لأدق تفاصيل العملية، ورغم أنها كانت صعبة بعض الشيء، إلا أن الفرصة كانت كبيرة جدا لنجاحها. وكانت العملية ترمي لقتل خالد مشعل الذي عين قبل فترة وجيزة رئيسا للمكتب السياسي لحركة حماس. ومشعل مهندس حاسوب يناهز الحادية والأربعين،وسيم وله ذقن سوداء جميلة. وكان الموساد قد وضعه على سلسلة أهدافه في أعقاب العملية الانتحارية القاتلة التي جرت في القدس في الثلاثين من حزيران 1997 عندما فجر انتحاريان نفسيهما في سوق "محانيه يهودا" مما أدى إلى قتل ستة عشر إسرائيليا وجرح مائة وتسعة وستين شخصا.

عقد رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو اجتماعا فوريا للمجلس الوزاري السياسي والأمني والذي قرر قتل أحد قادة حركة حماس. وكلف رئيس الموساد داني يتوم بتحديد المرشح للقتل. وبناء على ذلك عقد يتوم اجتماعا عاجلا في هيئة الموساد، استدعى إليه رؤساء الأذرع التنفيذية: عليزة مجن نائبة رئيس الموساد، "ب" رئيس شعبة قيسارية، اسحق برزيلي رئيس هيئة "تيفل" المسؤول عن العلاقات مع المنظمات الاستخبارية الأجنبية، و"د" رئيس هيئة "نبيعوت" وهي الشعبة المسؤولة عن التسلل إلى أهداف العدو، ورؤساء شعب الأبحاث والأعمال التخريبية المعادية وغيره.

قادت النقاشات في البداية إلى طريق مغلق، حيث لم يكن بحوزة الموساد قائمة منظمة لرؤساء حماس. كانت هناك شخصية بارزة في حماس وهو موسى أبو مرزوق، بيد أن الرجل كان يحمل جوازا أميركيا وقتله كان يمكنه أن يؤدي إلى تعقيد الوضع مع الولايات المتحدة. أما خالد مشعل فقد كان حسب جميع الآراء هدفا مناسبا، لكن المشكلة أن مكتبه كان في عمان.

حظر رئيس الحكومة الإسرائيلي اسحق رابين على الموساد في أعقاب توقيع اتفاقية السلام مع الأردن القيام بأية عملية في الأردن. وعندما كان يتوم سكرتيره العسكري حرص كل الحرص على أن يتم تنفيذ أوامر رابين بحذافيرها، لكنه عين قبل فترة وجيزة رئيسا للموساد. ورغم توجيهات رئيس الحكومة رابين قرر يتوم أن يقترح على رئيس الحكومة نتنياهو اسم خالد مشعل. وقد أيد رأيه رئيس قيساريه، وميشكه بن ديفيد ضابط استخبارات الشعبة.

قبل نتنياهو توصية يتوم، لكنه طلب أن يتم تنفيذ عملية هادئة وليست عملية استعراضية. كلف يتوم شعبة كيدون – وهي الوحدة المختارة لقيسارية- بالعملية.

اقترح دكتور في الكيمياء البيولوجية ممن يعملون في وحدة أبحاث الموساد استخدام سما قاتلا بشكل خاص والذي تم تطويره في المعهد البيولوجي في "نيس تسيونا". إن قطرات صغيرة من هذا السم قادرة على قتل أي إنسان حتى اذا لامست جلده. وميزة استخدام هذا السم هو أنه لا يترك آثارا خلفه، ولا يمكن اكتشافه حتى في التشريح ما بعد الوفاة. وقيل إن الموساد سبق أن استخدم سما مماثلا حينما قام عميل من عملائه بنقل شوكولاته إلى وديع حداد في العراق.

لقد سأل رونان برجمان -مراسل جريدة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية- ميشكه بن ديفيد بعد وقت ما: ألم يضايقك استخدام السم، الذي يعتبر طريقة تثير الاشمئزاز في الموت"؟ فرد بن ديفيد بالقول: "هل عيار في الرأس أو صاروخ على سيارة أكثر إنسانية؟ لقد كان من الأفضل أن لا نضطر للقتل، لكن في واقع الحرب ضد الإرهاب يصبح القتل مسألة لا يمكننا استثناءها. إن مطالبة رئيس الحكومة بالقيام بعملية هادئة كي لا نمس بالعلاقات مع الأردن هي مطالبة مشروعة". لقد تمت المصادقة على الخطة، وكلف أحد كبار شخصيات الموساد بالإشراف على التنفيذ.

شاهد المارة في شوارع تل أبيب في أحد أيام الصيف عام 1997 شابين يقومان بفتح علب كوكاكولا بعد خضها، الأمر الذي جعل المادة التي بداخلها تخرج بصوت مسموع من العلب. وقد رمق المارة الشابين بنظرات استياء وواصلوا طريقهم. ولم يكن المارة يعرفون أن هذين الشابين من الموساد، وأنهما يختبران الطريقة الجديدة التي اتخذ قرار لتصفية مشعل بها:

فتح علبة كوكاكولا بالقرب من مشعل للفت انتباهه وفي نفس الوقت إلقاء عدة نقاط من السم على رقبته.

وصل أوائل عملاء الموساد إلى الأردن قبل ستة أسابيع من العملية بغية تفحص أرض العملية. كانوا يحملون جوازات سفر أجنبية، وقاموا بمراقبة روتين حياة مشعل: متى يغادر بيته، من يسافر معه في الصباح، وما هو طريقه المعتاد، وإلى أين يذهب، وما هو وضع الحركة في الطريق. وقاس العملاء الوقت منذ نزوله من السيارة وحتى دخوله لهذا المبنى أو ذاك، وهل يقف للتحدث مع الناس الداخلة إلى المبنى؟ وجمعوا جميع المعلومات اللازمة من أجل بلورة خطة التنفيذ. ثم أرسلوا إلى قيادة "كيدون" تفاصيل المراقبة: يخرج مشعل صباح كل يوم دون حراس، ويصعد إلى سيارة جيب يقودها مساعده، ويسافر الى "مركز الإغاثة الفلسطيني" في مبنى شاميه سنتر في عمان.ويقوم السائق بإنزال مشعل في الشارع الغاص بالناس ويواصل طريقه، في حين يواصل مشعل طريقه بضعة أمتار قبل أن يدخل المبنى.

كان "مركز الإغاثة الفلسطيني" بمثابة اسم غطاء لقيادة حماس في العاصمة الأردنية. وقد أشارت عملية المراقبة إلى أفضل الطرق لتنفيذ عملية الاغتيال: في الصباح، على الرصيف، بعد نزوله من الجيب الأسود في طريقه إلى مكتبه.

تواصلت عملية المراقبة خلال الصيف: ملاحقة، مناورات، إرسال طواقم إعداد إلى عمان، استئجار شقق وسيارات. وفجأة وقع حادث جعل مسألة القيام بتنفيذ العملية ملحة. ففي الرابع من أيلول فجر ثلاثة انتحاريين من حماس أنفسهم في شارع بن يهودا في القدس، مما أدى إلى مقتل خمسة إسرائيليين، وإصابة 181 آخرين بجراح. لقد آن الأوان لتنفيذ العملية.

جلس سائحان في الرابع والعشرين من أيلول 1997 – قبل يوم واحد من تنفيذ العملية- على حافة بركة سباحة في أحد الفنادق الكبيرة في عمان، وكان أحدهما يرتدي قميصا أبيض، وقال لموظفي الفندق أنه نجا لتوه من نوبة قلبية، وبدا من سيره البطيء والحذر أنه لا زال يعاني. أما المرأة التي كانت إلى جواره فهي طبيبة ترافقه من أجل متابعة العلاج، وكانت بين الفينة والأخرى تقوم بفحص نبضه وضغط دمه. وكان الاثنان في غالبية الوقت يجلسان على المقاعد المنتشرة حول البركة.

كان المريض هو ميشكه بن ديفيد، الذي عين مسؤولا عن الاتصال بين هيئة الموساد والمنفذين. والطبيبة كانت أيضا عميلة موساد، وهي حقا طبيبة، وكانت تحمل معها "ترياقا" للسم الذي يجب أن يقتل خالد مشعل. كان بمقدور الترياق أن يوقف بقدر الحاجة مفعول السم. لقد جلبت الطبيبة معها الترياق تحسبا لاحتمال إصابة أحد المنفذين بالسم أثناء رشه على خالد مشعل بغية إنقاذه من الموت.

وبينما المريض والطبيبة بالانتظار على حافة بركة السباحة، كان طاقم التنفيذ يستعد للعملية. لقد وصل عدد من عملاء الموساد في الآونة الأخيرة إلى عمان لقيادة السيارة التي سيفر بها المنفذون إضافة إلى القيام بمهام أخرى فرعية. وفي أعقابهم قدم إلى عمان المنفذان: عميلان من "كيدون" واللذين زعما أنهما سائحان يحملان جوازي سفر كنديين باسم: شون كندل وباري بيدس. توجه الاثنان إلى فندق إينتركونتننتال واستأجرا سيارة سياحية.

إن السؤال الذي طرح في أعقاب العملية هو: لماذا تم اختيار هذين العميلين بالذات اللذين لم يسبق لهما أن عملا في دولة معادية؟ ولماذا منحت لهما جوازات سفر كندية، هذا في الوقت الذي كان أي فحص سيثبت بما لا يدع مجالا للشك أنه لا توجد أية علاقة بينهما وبين كندا، نظرا لأن اللغة الإنجليزية التي كانا يتحدثانها كانت سيئة، في حين أن لفظهما إسرائيلي، وأن أي تحقيق جدي سيفند فورا غطاءهما. بيد أن هذا الخطأ كان شيئا صغيرا مقارنة بخطأ وقصور طاقم المتابعة الذي تم اكتشافه خلال عملية التنفيذ.

كان من المفروض أن يتم تنفيذ العملية على مدخل المبنى الذي يوجد فيه مكتب مشعل. وكان من المفروض أن يكون اللقاء بين عميلي الموساد المنفذين المتنكرين في صورة سائحين وبين مشعل سريعا وقاتلا، كان على العميلين الاقتراب من مشعل، ورش السم السائل على رقبته والفرار من المكان بواسطة سيارة تقف قريبا من المكان.

أجرى العميلان في تل أبيب العديد من التجارب والمناورات على العملية التي سينفذانها في عمان. كان يجب على أحدهما أن يمسك بيده علبه كوكاكولا مغلقة، وحال الاقتراب من مشعل يجب عليه فتحها -وكأن الأمر صدفة- يقوم برشق العلبة باتجاهه، لكن العميل الثاني وهو الأهم، فقد كان يمسك بعلبة السم، ويجب عليه الاقتراب من مشعل ورشق السم على رقبته العارية. إن

استخدام علبة الكولا يرمي لإبعاد نظر مشعل عن العميل الثاني اولا، وعدم تفكيره في السم الذي رشه العميل الثاني، والذي من المفروض أن يقتله بسرعة بإصابته بسكتة قلبية. لقد اعتقد المنفذون أنه لن يحدث أي صدام مع الأردنيين.

اتخذ المخططون قرارا - في أعقاب جمع المعلومات- أن يتم وضع "سائحين" آخرين – رجل وامرأة - داخل المبنى بانتظار مشعل تحسبا لاحتمال أن يحتاج المنفذان لمساعدة، مثل أن يسير مشعل بسرعة كبيرة جدا وأن لا ينجح المنفذان في الاقتراب منه، وفي هذه الحالة على"السائحين" الآخرين الخروج من المبنى والعمل على تعطيله بافتعال حادثة ما كي يتيحا الفرصة للمنفذين للحاق به ورش المادة القاتلة على رقبته.

وقف قائد العملية على الناحية الأخرى من الطريق في مواجهة المبنى، حيث كان بمقدوره من هناك الإشراف على العملية. وكي لا يتم كشف العملاء، تم الاتفاق على عدم استخدام أية أجهزة ألكترونية واستخدام - بدلا من ذلك- إشارات متفق عليها، ففي حالة وجود سبب ما يتطلب وقف العملية يتوجب على قائد العملية أن يلمح للمنفذين بذلك عبر إزالة القبعة التي كان يعتمرها.

وقفت السيارة التي سيفر فيها العملاء قريبا من المبنى، وكان عليهما الوصول إليها في أعقاب التنفيذ. إن مفتاح نجاح أية عملية يرتكز بصورة أساسية على توفير الشروط اللازمة لذلك على أرض الواقع، أي أن يكون المكان نظيفا من الحراس، وأبناء العائلة، والمعارف، ورجال الشرطة، وناشطي حركة حماس والجهات الأخرى التي يمكنها أن تحبط عملية التنفيذ. وبناء على ذلك كانت التعليمات التي أعطيت للعملاء الثمانية الذين أرسلوا إلى عمان حازمة للغاية: التنفيذ لا يجب أن يتم بأي ثمن. لقد كتب داني يتوم في مذكراته أنه قال للعملاء: "إذا لم تلائم الشروط عملية التنفيذ، يمكننا العودة لتنفيذها في مرة لاحقة". وهذا ما حدث فعلا، حيث توجه العملاء المرة تلو الأخرى إلى عمان لتنفيذ العملية وعادوا دون أن يفعلوا ذلك نظرا لعدم توفر الشروط المناسبة للتنفيذ، سواء أكان ذلك بسبب تواجد رجال شرطة أردنيين في المكان، أو حراس شخصيين لمشعل، أو لعدم تواجد مشعل في المكتب.

استيقظت عائلة مشعل في يوم تنفيذ العملية الموافق الخامس والعشرين من أيلول 1997، بصورة روتينية، بيد أن تغييرا طفيفا حدث على هذا الروتين وأثر على العملية تأثيرا حاسما، فقد طلبت زوجة مشعل منه أن يأخذ ابنيه الصغيرين إلى المدرسة. صعد الطفلان إلى السيارة مع والديهما، لكن طاقم المراقبة لم يلاحظ ذلك، وأعلم المنفذين أن مشعل في الطريق إليهما وحده مع السائق. ولم يلاحظ طاقم المراقبة خلال متابعته للسيارة الطفلين اللذين كانا يجلسان في المقعد الخلفي، فقد كانت نوافذ الجيب تحول دون رؤية ما بداخله من الخارج. أدخل التقرير آنف الذكر طاقم التنفيذ في حالة استعداد تنفيذ، وانتظار لوصول مشعل.

وصل مشعل إلى المبنى، وتوقف السائق بجوار الرصيف دون أن يلاحظ الطاقم وقائد العملية الطفلين. خرج مشعل من السيارة، واجتاز الرصيف وبدأ يصعد الدرجات المؤدية إلى باب المبنى، وبدأ العميلان بالاقتراب منه، وعندما أصبحا على بعد ثلاثة أمتار منه ترجلت ابنته الصغيرة من السيارة وصرخت" بابا، بابا" وشرعت بالركض باتجاه مشعل.

لاحظ قائد العملية ما يحدث وأزال قبعته وأشار إلى العميلين لوقف العملية، لكن العميلين اجتازا في هذه اللحظة الحرجة عامودا في مدخل المبنى في طريقهما إلى مشعل مما حجب عنهما قائد العملية لثوان، والأخطر من ذلك لم يلاحظا الطفلة الراكضة خلف والدها والسائق الذي يركض خلفها لإعادتها إلى السيارة.

وصل العميلان إلى مشعل ورفع حامل السم يده لرشق مشعل به، وحينها لاحظ السائق ما يحدث. وهنا وقع خطأ آخر، فالعميل الذي يحمل علبة الكوكاكولا والذي تدرب مئات المرات عليها في تل أبيب فشل في مهمته، فحينما حاول فتح العلبة، انكسرت اليد التي تفتح العلبة دون أن تفتحها، ومن ثم لم يتم تحويل أنظار مشعل بعيدا عن العميل الثاني الذي سيرشق السم.

شاهد السائق السائح وهو يرفع يده، وظن أنه يحاول أن يطعن مشعل، فشرع بالصراخ وحاول إبعاد يد العميل باستخدام صحيفة مطوية كانت في يده. ويلتفت مشعل حينما يسمع صراخ سائقه ويتراجع خطوة إلى الوراء، وفي هذه اللحظة يرشقه العميل حامل السم بالسم يصيب أذنه. شعر مشعل بلسعة خفيفة غير مؤلمة، بيد أنه أدرك أن هناك شيئا ما يحدث، لذا فر في الشارع بأسرع ما يستطيع، في الوقت الذي اندفع العميلان باتجاه سيارة الفرار.

وصل في هذه اللحظة "بطل" لم يكن متوقعا وهو محمود أبو سيف – أحد نشطاء حركة حماس والذي قدم إلى مكتب مشعل لتسليمه بعض الوثائق، وقد سمع صراخ السائق، وشاهد ما حدث بين قائده وبين العميلين. وبينما فر مشعل، حاول أبو سيف قطع الطريق على العميلين الراكضين باتجاه السيارة، بيد أن أحد العميلين عاجله بضربة بعلبة الكوكاكولا، وقفز العميلين إلى السيارة.

وهنا وقع الخطأ الرابع: قال سائق سيارة الفرار للعميلين أنه شاهد أبو سيف يسجل رقم السيارة، وحينها قرر الاثنان عدم التوجه إلى الفندق مثلما تنص الأوامر، بل ترجلا من السيارة بعد بضعة شوارع. لقد خشيا أن يقوم أبو سيف باستدعاء الشرطة وأن يتم اعتقالهما في الفندق، هذا دون أن يكون لديهما أي عنوان بديل يفران إليه، ولا توجد أية طريق فرار أخرى. وبينما ترجلا من السيارة واصل السائق طريقه إلى منطقة أخرى للتخلص منها.

وهنا حدث ما لم يكن يخطر ببال أحد، فقد اتضح أن أبو سيف – وهو من قدامى المجاهدين الذين حاربوا الروس في أفغانستان- لم يتخل عن الهدف وركض خلف السيارة الهاربة طيلة الوقت دون أن يلاحظ العملاء والسائق شيئا حتى قام أبو سيف بمهاجمة أحد العميلين اللذين ترجلا من السيارة، وأمسك بتلابيبه وأخذ يصرخ بأنه حاول اغتيال مشعل. هب العميل الثاني الذي كان يسير على الرصيف المقابل لمساعدة زميله وألقى أبو سيف إلى قناة قريبة بعد أن أصابه بجرح في رأسه، ورغم ذلك واصل القتال، وبدأت الجماهير تتجمع حول العميلين اللذين بديا أجنبيين يضربان عربيا. وفجأة جاء رجل شرطة وأبعد الجماهير وأوقف سيارة تاكسي وأركب العميلين وأبو سيف الذي أغمى عليه جراء الضربات التي كالها له العميلان، وقاد الجميع إلى مركز الشرطة.

وصلت عملية التنفيذ إلى نهايتها المرة، بيد أن الكارثة الحقيقية لم تحل بعد. اعتقد رجال الشرطة في البداية أن السائحين هما اللذين تعرضا للاعتداء من أبو سيف، لكن عندما استرد أنفاسه من الضربات التي نالها قال لرجال الشرطة أنهما حاولا قتل مشعل. قام رجال الشرطة بفحص جوازي السائحين، وعندما اتضح أنهما كنديين استدعوا القنصل الكندي، وما كاد يجري معهما حديثا قصيرا حتى أدرك أنهما ليسا كنديين

قرر رجال الشرطة إبقاء السائحين رهن الاعتقال، وسمحا لهما بإجراء محادثة تليفونية حيث اتصل الاثنان بمركز الموساد في أوروبا وأعلنا عن اعتقالهما. لقد شاهدت إحدى عميلات الموساد ما حدث وأدركت أن شيئا ما قد حدث، وسارعت لإعلام "مريض القلب" الذي يعتبر أكبر شخصية في الموساد في المنطقة، وتوجهت إليه في الفندق، وعندما شاهدها ميشكه أدرك أن أمرا خطيرا قد حدث، فبناء على التعليمات لا يجب أن تتواجد في هذا المكان أبدا، إلا إذا فشلت العملية وأصبحت هناك ضرورة ملحة للعمل على تخليص طاقم الموساد.

ارتدى ميشكه ملابسه على وجه السرعة وتوجه إلى المكان الذي تم تحديده مسبقا خلال عملية التخطيط كمكان لقاء طوارئ من أجل الاجتماع مع العملاء الآخرين الذين تلقوا أمرا للتوجه إلى نفس المكان. وصل إلى المكان قائد العملية الذي فهم هو أيضا عمق الفشل، ورغم ذلك لم يتخيل أي منهم شدة الدراما التي ستتطور خلال الساعات القليلة القادمة.

بعث ميشكه رسالة فورية إلى قيادة الموساد في تل أبيب. تشاور داني يتوم مع رؤساء الشعب وقرر في إطار محاولاته تقليص الأضرار أن يأمر العملاء بالتوجه إلى السفارة الإسرائيلية في عمان، وأن لا يستخدموا أية طرق أخرى للفرار من الطرق التي أجروا عليها مناورات خلال التدريبات على العملية. وفي غضون وقت قصير غادر جميع العملاء نقطة اللقاء وتوجهوا نحو السفارة الإسرائيلية ولم يبق سوى الطبيبة والترياق الذي معها في الفندق.

بدأ السم يؤثر في مشعل، وعندما شعر بالوهن نقل إلى المستشفى، وكان واضحا للإسرائيليين أنه إذا لم يتلق الترياق في غضون الساعات القليلة القادمة فسوف يموت.

تلقى نتنياهو نبأ فشل العملية وهو في السيارة في طريقه لتناول نخب بداية العام العبري الجديد في قيادة الموساد في تل أبيب، وقد أطلعه يتوم على ما حدث فورا. شعر نتنياهو بالفزع، وقرر أن يقوم رئيس الموساد بالسفر إلى عمان على وجه السرعة ويجتمع مع الملك الحسين ويروي له الحكاية بكاملها دون أية محاولات تضليل أو أكاذيب على أمل تقليص الأضرار. واتصل نتنياهو من قيادة الموساد بالملك حسين وأعلمه أنه أرسل إليه رئيس الموساد لإجراء لقاء هام. وقد وافق الملك فورا على اللقاء رغم أنه لم يكن على علم بماهية القضية التي يرغب رئيس الموساد التحدث عنها.

ويقول مقربو نتنياهو الذين كانوا بصحبته في تلك الآونة أنه كان يواجه ضغطا شديدا، وأعطى أوامر بأن يتم التنازل للملك الحسين عن كل ما يطلب شريطة إنهاء القضية وإعادة عملاء الموساد إلى إسرائيل، وقال نتنياهو لداني يتوم أنه يعرض على الملك الحسين الترياق للسم، مما سيؤدي إلى إنقاذ مشعل من الموت. واستدعى نتنياهو أرئيل شارون الذي كان وزيرا في حكومته للمساعدة في الحديث مع الملك.

لقد عقب شارون على ذلك فيما بعد قائلا: "رأيت نتنياهو في قضية مشعل، كان منهارا تماما، وكان علينا أن نعيد تركيبه من جديد، لقد أبدا استعدادا للتنازل عن كل شيء في إطار الضغوط التي كان يواجهها".

استمع الملك الحسين لما قاله داني يتوم بوجه شديد الغضب، ثم أمر رجاله بأن يتحروا وضع خالد مشعل، فقيل له فورا: "إن وضع مشعل في حالة تدهور". فأمر الملك بنقله إلى مستشفى المدينة الطبية، وقبل الاقتراح الإسرائيلي الخاص باستخدام الترياق لإنقاذ حياة مشعل. لقد شاءت المفارقات العجيبة في هذه القضية المعقدة أن يبدأ الإسرائيليون والأردنيون سباقا مع الزمن من أجل إنقاذ حياة الرجل الذي كان هدفا للاغتيال.

عاد ميشكه بن ديفيد إلى الفندق، حيث أن الترياق كان بحوزته وبحوزة الطبيبة الموجودة في الفندق. وفي مقابلة لاحقة قال ميشكه: "طيلة الوقت كنت أحدق في الترياق، وأعرف أنه لن يستخدم، لأن أيا من أعضاء الطاقم لم يصب بأذى، والذي أصيب هو الهدف الذي باتت حياته في خطر. وقررت تدميره لأنني خشيت أن يضبط معي، لكنني في تلك اللحظة تلقيت اتصالا هاتفيا من قائد الوحدة في إسرائيل، والذي سألني فيما إذا كان الترياق لا زال معي؟ وعندما أجبته بالإيجاب، طلب مني أن أنزل إلى قاعة استقبال الفندق، حيث سأجد ضابطا برتبة نقيب من المخابرات الإردنية، وعلي أن أسلمه الترياق كي ينقله إلى المستشفى".

برزت مشكلة فجائية لميشكه، حيث أن الطبيبة التي تحمل الترياق رفضت النزول من الفندق، وقالت أنها لن تنزل إلا إذا أمرها رئيس الموساد بنفسه بذلك، فتحدث معها داني يتوم الذي غادر القصر الملكي واتجه إلى السفارة وأقنعها بالنزول مع ميشكه لتسليم الترياق ومرافقة

الضابط الإردني إلى المستشفى. لكن الأردنيين رفضوا اصطحاب الطبيبة معهم كي تحقن مشعل بالترياق. من الجائز أنهم خشوا من أن تستكمل عملية التصفية.

لم يكتف الأردنيون بذلك، بل أن طبيب الملك الذي كلف بإنقاذ حياة مشعل رفض فعل ذلك إلا إذا تسلم الصيغة الكيميائية للسم والترياق، ورفض تحمل مسؤولية مصير مشعل إذا ما عمل الإسرائيليون على تصفيته نهائيا، وأصر الجانبان على موقفيهما، حيث طالب الأردنيون بالصيغة الكيميائية ورفض الإسرائيليون إعطاءها.

تفاقم وضع مشعل في هذه الأثناء ، وكف جهازه التنفسي عن العمل بقوته الذاتية مما أدى إلى ربطه باجهزة التنفس في شعبة العلاج الحثيث. بات واضحا للجميع أنه إذا ما توفى مشعل فإن هذه القضية ستتدهور وستفضي إلى تدهور العلاقات بين إسرائيل والأردن. وهدد الملك الذي شعر بالإهانة الشديدة باتخاذ خطوات متشددة جدا ومن ضمنها اقتحام السفارة الإسرائيلية واعتقال العملاء الأربعة الموجودين هناك ووقف التعاون مع إسرائيل في المجالين الأمني والسياسي. وكلما مضى الوقت كلما ازداد التوتر حدة، وصعد الملك الحسين موقفه، وأعلن أنه إذا ما توفي مشعل فسوف يتوجب عليه الحكم على عميلي الموساد الموجودين في مركز الشرطة الأردنية بالإعدام، كما قام بإعلام الرئيس الأميركي بيل كلينتون بالقضية.

كان رئيس الحكومة نتنياهو في حالة توتر وضغط شديدين، وقام بعقد سلسلة من المشاورات مع وزراء ورؤساء الموساد السابقين وخبراء في الإرهاب. وشرع الأميركيون بممارسة ضغوط على نتياهو من أجل تسليم الأردن الصيغة الكيميائية للسم والترياق، وفي النهاية خضع نتنياهو للضغط وقام بتسليم الصيغة الكيميائية للأردن. وحينها قام الطبيب بحقن مشعل بالترياق، فجاءت النتائج فورية وفتح عينيه. وعندما وصلت الأنباء لرئيس الحكومة ورئيس الموساد بأن مشعل تعافى قليلا تنفسا الصعداء.

تمكن ميشكه والطبيبة من مغادرة الأردن إلى إسرائيل، وبقي عملاء الموساد الأربعة والعميلان الموجودان في مركز الشرطة.

تحسن وضع مشعل أكثر في شعبة العناية الحثيثة، وقررت الحكومة الإسرائيلية إرسال وفد إلى الأردن يضم رئيس الحكومة نتنياهو ووزير الخارجية شارون، ووزير الدفاع اسحق مردخاي، لكن الملك رفض مقابلة الوفد، وأرسل شقيقه الحسن لمقابلته.

استدعت الحكومة أيضا إفرايم هليفي نائب رئيس الموساد سابقا الذي عمل في تلك الآونة سفيرا لإسرائيل في الاتحاد الأوروبي في بروكسل، والذي سافر فورا إلى عمان واقترح على الملك صفقة تبادل: الإفراج عن عملاء الموساد الأربعة مقابل الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين زعيم حركة حماس من السجن. قبل الملك الحسين الصفقة، وعاد عملاء الموساد الأربعة مع هليفي إلى إسرائيل.

كلفت الحكومة أرئيل شارون بالعمل على إنهاء القضية، فطالب شارون الأردن بإعادة العميلين السجينين في الأردن، فطالب الأردنيون بالإفراج عن عشرين أسيرا أردنيا من السجون الإسرائيلية، فقبل شارون العرض، بيد أن الأردنيين تراجعوا عن مطلبهم بحضور الملك، وطالبوا بالإفراج عن المزيد من الأسرى، وحينها ثار غضب شارون، وقال للحاضرين: "إذا ما واصلتم بهذه الطريقة، فسوف نغلق لكم المياه، وسنقتل مشعل مرة أخرى، ولا يهم أن يبقى العميلان في الأردن".

فعل الغضب الذي أبداه شارون فعله، وتم التوصل إلى اتفاق. هبطت طائرتان عموديتان في الأردن، قامت الأولى بأخذ عميلي الموساد بينما جلبت الثانية الشيخ أحمد ياسين.

وجهت وسائل الإعلام الإسرائيلية والعالمية انتقادات شديدة إلى العملية، كما حظي رئيس الحكومة الإسرائيلي نتنياهو بانتقادات شديدة جراء مسلكيته خلال القضية، وولدت أجواء جماهيرية دفعت باتجاه تشكيل لجنة تحقيق في أسباب فشل العملية.

إن السؤال الذي شغل المحققين والجماهير هو: ما الذي حدث في أعقاب ركوب العميلين للسيارة التي كان يجب أن يفرا فيها؟ ولماذا لم تواصل السيارة انطلاقها إلى الفندق؟ ولماذا ترجل منها العميلان بعد مسيرة قصيرة؟ ومن الذي أمر السائق بالتوقف؟ ولماذا لم يبتعدوا بالسيارة إلى أبعد مكان ممكن كي يضيعا في الشارع مثلما تم التخطيط له مسبقا؟ ولماذا اشتبك العميلان في صراع مع أبو سيف؟ لم تكن إجابات العملاء مقنعة، وأثارت الكثير من الدهشة، بل

إنهما أفادا أنهما لم يقولا للسائق أن يتوقف، لكن عندما توقفت السيارة فهما أن عليهما الخروج والبحث عن طريق فرار أخرى، وحينها اصطدما بأبو سيف، والبقية معروفة.

طرحت خلال التحقيقات أيضا مسألة القصور الذي أبداه طاقم المراقبة الذي تابع مشعل ولم يلاحظ أنه ركب السيارة مع ابنيه، خصوصا وأن ركض الطفلة خلف أبيها هو الذي خلق الأزمة في مدخل المبنى والذي عقد القضية كلها.

لقد تم تشكيل لجنة التحقيق، وبدا واضحا من التشكيل أن أصابع الاتهام ستوجه إلى الطاقم التنفيذي وليس إلى الطاقم صاحب القرار، وهذا ما حدث فعلا، حيث لم تجد اللجنة برئاسة يوسف تسحنوفر أية أخطاء في مسلكية رئيس الحكومة، لكنها أفادت أن رئيس الموساد داني يتوم أصيب بجمود فكري، وأنه أرسل عملاء الموساد لعملية فاشلة منذ البداية، ورغم ذلك قررت عدم معاقبته.

ساءت العلاقات كثيرا في أعقاب هذه القضية، وتحسنت مكانة مشعل الذي كان زعيما من الطبقة الثانية، حيث أصبح أهم رجل في حماس في أعقاب الشيخ ياسين، وأصبح في أعقاب وفاة الشيخ ياسين زعيما لحماس. أما مكانة الموساد فقد تدهورت في أعين موظفيه وفي أعين العالم، ووجهت انتقادات شديدة جدا ليتوم الذي منى بفشل ذريع، وهاجمه رؤساء الموساد السابقين، بل إن نائبته عليزه ميجن لم تخف رأيها في أن يتوم غير مناسب لمنصبه. ورغم كل هذه الانتقادات لم يستقل يتوم من منصبه.

وفي شباط 1998 وقعت أزمة أخرى، حيث تم اعتقال عميل موساد آخر في سويسرا بينما يحاول التنصت على هاتف أحد أعضاء حزب الـلـه. وحينها قرر داني يتوم الاستقالة.

الفصل التاسع عشر

----

*"ترميت" عملية للموساد ترمي لاكتشاف طبيعة العلاقة السرية بين البروفيسور الايراني عباسفور مع ناحوم منبر.

*منبر أدين مرات عديدة بالغش وقام بصفقات مشبوهة في أوروبا وباع أسلحة من بولندا والكتلة الشرقية إلى إيران وأصبح ثريا مرموقا.

*الموساد اشتبه بان منبر يبيع للإيرانيين مواد كيميائية أساسية لتركيب الغازات السامة من نوع "تابون" و"سارين بل" ويشارك في بناء مصانع لصناعة الغازات في إيران .

* منبر حاول استخدام علاقاته في إيران من أجل الحصول على معلومات تتعلق بالطيار الإسرائيلي المفقود رون أراد.

* المحكمة الإسرائيلية ادانت منبر بتقديم المساعدة للعدو الإيراني في حربه ضد إسرائيل وحكمت عليه بالسجن لمدة ست عشرة سنة .

"كانوا يعانون من
إصابات رأس فظيعة"

هبطت طائرة الدكتور مجيد عباسفور – مستشار الرئيس الإيراني رفسنجاني ورئيس مشروع الأسلحة الكيميائية – في السابع والعشرين من آيار 1993 في مطار فيينا الذي كان يواجه برقا ورعدا وعاصفة عاتية. كانت هناك سيارة رسمية سوداء تابعة للسفارة الإيرانية بانتظاره في المطار والتقطته وتوجهت مباشرة إلى المدينة.

شاهد عباسفور في مرآة السيارة شابين يرتديان معطفي جلد أسودين يمتطيان دراجة نارية ويلاحقان السيارة رغم الأمطار الشديدة التي شوشت الطريق والحركة. لم يعرف من هذين الشابين، بيد أنه خمن من هما. لقد كان في طريقه للقاء تاجر الأسلحة الإسرائيلي الدولي ناحوم منبر، ومن ثم فإن الشابين اللذين يلاحقانه لا بد وأنهما من جهاز المخابرات الإسرائيلي.

توقفت السيارة بجوار فندق ماريوت، وترجل منها عباسفور وصعد إلى الفندق حيث كان منبر بانتظاره. ومنبر هو أحد أعضاء الكيبوتسات السابقين في إسرائيل، والذي منى بمرور الأيام بالكثير من الأوصاف المتناقضة والمختلفة: لقد أدين مرات عديدة بالغش، وفر من إسرائيل، وقام بصفقات مشبوهة في أوروبا، وقام ببيع أسلحة من بولندا والكتلة الشرقية إلى إيران وأصبح ثريا مرموقا، وحينها عاد إلى إسرائيل واستثمر ملايين الدولارات في فريقي كرة السلة: فريق حولون، وفريق القدس،. وتمكن من تطهير اسمه وأقام علاقات مع الكثير من المسؤولين الإسرائيليين، وبمبادرة منه أصبح مرشدا للمخابرات وحاول استخدام علاقاته في إيران من أجل الحصول على معلومات تتعلق بالطيار الإسرائيلي المفقود رون أراد. هذا في نفس الوقت الذي كان قسم من الصفقات التي يجريها سري وغامض مما جعله هدفا للمتابعة من العديد من أجهزة المخابرات لعدة دول.

قدم عباسفور للقاء منبر وهو شديد الهياج، وحالما شاهد منبر صرخ في وجهه قائلا: أ"نا لا أفهمكم أيها الإسرائيليون، لقد أكدت لي أنهم على علم بلقائنا، إذن لماذا يلاحقني عملاؤكم حتى باب الفندق؟"

حاول منبر تهدئة روعه- لقد قام منبر حقا بإعلام ضابط اتصاله في جهاز الأمن العام دان ميلنر بأن الدكتور عباسفور سيجلب له اليوم معلومات عن رون أراد- وقال له أنه لا يفهم عن أي ملاحقة يتحدث؟ لكن عباسفور لم يقتنع بهذا التساؤل وقال: "طيلة الطريق من المطار إلى هنا والدراجة النارية تلاحقني، وعندما دخلنا إلى الفندق دخل الرجلان اللذان يمتطيانها إلى قاعة الاستقبال، بل إنهما لم يحاولا حتى إخفاء تواجدهما".

رد منبر عليه قائلا: "هذا غير ممكن، هناك شيء ما ليس على ما يرام، انتظر لحظة، ودعني أفحص الأمر". توجه منبر إلى زاوية الغرفة واتصل بميلنر وسأله: "ما الذي حدث؟ لماذا تلاحقون الإيراني؟ لقد أعلمتك بالمقابلة". فقال ميلنر: "نحن لا نلاحقه، لا شك أن الذين يلاحقونه هم عملاء الموساد، إن هؤلاء العملاء لا يتخلون عن الهدف، دعني أفحص الأمر معهم".

قال منبر لعباسفور: "انتظر هنا، سأعود بعد لحظة" وغادر الغرفة، وتوجه إلى قاعة الاستقبال، وبحث عن العميلين، وتمكن من التعرف عليهما فورا، حيث كان أحدهما يجلس على مقعد بجوار البار يرتشف كأسا من البيرة بينما جلس الآخر في نهاية القاعة يتصفح جريدة هيرالد تريبيون وأمامه كأس قهوة. لم يكن بالإمكان أن يخطئ في تشخيص الاثنين، حيث كانا يرتديان معطفي جلد أسودين، عداك عن لونهما الملوح من الشمس والذي يختلف عن لون الجالسين في القاعة.

توجه منبر إلى الشاب الذي كان يمسك الصحيفة دون مقدمات وقال له بالعبرية: "ما الذي تظنونه في أنفسكم؟ هل انتم أبطال كبار؟ ". لكن الشاب واصل قراءة الصحيفة، بل لم يرفع عينيه إلى منبر الذي واصل كلامه قائلا: "أنتم صفر، انصرفوا من هنا". لكن الشاب لم يرد عليه. أمسك منبر بوعاء السكر وسكب كل محتواه داخل كأس القهوة الموضوعة أمام الشاب.

ويقول منبر: توجهت نحو العميل الثاني، وفعلت نفس الشيء، ثم عدت أدراجي إلى المصعد وصعدت إلى الغرفة، لكنني شاهدت الاثنين ينهضان ويغادران المكان.

لم تهدأ ثائرة عباسفور، لقد أبرم العديد من الصفقات مع منبر وجنى أرباحا طائلة، معتقدا أن المخابرات الإسرائيلية لاحقته اليوم نظرا لأنه كان سيجلب معلومات إلى منبر عن رون أراد.

لكنه كان على خطأ. والحقيقة هي ان الرجلين اللذين لاحقاه كانا "ع. و أ." من خيرة مقاتلي وحدة "كيدون" في الموساد، حقا أنهما لاحقا عباسفور، لكن العملية التي شاركا فيها، عملية "ترميت" التي كان الموساد يقوم بها كانت ترمي لاكتشاف طبيعة علاقته السرية مع ناحوم منبر نظرا لاشتباه الموساد بأنه يبيع للإيرانيين مواد كيميائية أساسية لتركيب الغازات السامة من نوع تابون وسارين بل ويشارك في بناء مصانع لصناعة الغازات في إيران. لقد تم تحذيره المرة تلو الأخرى كي يوقف علاقاته المشبوهة مع إيران، لكنه واصل هذه العلاقة التي كانت تحمل أخطارا جسيمة لأمن إسرائيل تحت ذريعة جني الأرباح الطائلة: ابن الكيبوتس السابق، وضابط المظليات المتميز سابقا ولاعب كرة السلة المعروف يبيع لأعداء إسرائيل مواد قد تستخدم لتدميرها.

اعتقد بعض رجال الأمن أن الصلة التي بادر منبر لإقامتها مع جهاز الأمن العام الإسرائيلي من أجل الحصول على معلومات حول رون أراد، كانت بمثابة إقامة مبرر وخط دفاع إذا ما وجهت أصابع الاتهام إليه بإقامة علاقات إجرامية مع إيران، حيث سيصبح بمقدوره آنذاك القول: "إن جميع ممارساته كانت معروفة لجهاز الأمن العام".

ورغم أنه كان بحوزة إسرائيل قدرا كبيرا من المعلومات حول الصفقات الإجرامية التي يديرها منبر، إلا أنها كانت في حاجة إلى أدلة بغية تقديمه إلى المحاكمة، وفي إطار التحقيقات تم إرسال جنديين من وحدة "كيدون" إلى فيينا لمراقبة عباسفور الذي قدم للاجتماع بمنبر كي يوقع معه على صفقة جديدة.

ورغم أن جهات سياسية وأمنية في إسرائيل كانت لا ترى أية ضرورة لمتابعة منبر، إلا أن رئيس الموساد شبتاي شبيط كان على اعتقاد تام بأن منبر يعرض إسرائيل بأعماله للخطر لذا كان عازما على بذل قصارى جهده من أجل اكتشاف حقيقة صفقاته. وترأس رئيس الموساد عملية "ترميت" بشكل شخصي وأرسل الجنديين إلى فينا.

قرر عباسفور عدم إتمام المقابلة، وقال:"لست على استعداد لمواصلة اللقاء، يجب أن أتوجه إلى السفارة الإيرانية، أنا في حاجة إلى حراس شخصيين. إن سفرياتي دائما سرية، وإذا ما تم كشفي، فهذا يعني أن حياتي في خطر". غادر عباسفور المكان في سيارته.

كان الجنديان بانتظاره في الساحة تحت الأمطار الغزيرة، لقد غادرا الفندق في أعقاب الهجوم الذي شنه عليهما منبر في القاعة وكشف فيه هويتهما. وما كاد عباسفور ينطلق بسيارته حتى امتطيا دراجتهما النارية وانطلقا وراءه بسرعة مجنونة. كانت الأمطار تضايقهما جدا، بيد أنهما انطلقا وراء سيارته بإصرار حتى عندما دخل النفق الواقع تحت أحد الجسور.

شاهد ضابط محطة الشرطة المحلية ما حدث عقب الخروج من النفق. ويقول: "كنت أنا وزميلي في سيارة الدورية في الطريق نقف بانتظار الضوء الأخضر كي نواصل طريقنا، وفجأة شاهدنا الحادثة، قدمت سيارة من الشمال عندما أضاءت الإشارة ضوءها الأخضر، هذا في الوقت الذي قدمت سيارة مرسيدس سكنية اللون من الجهة المقابلة، وقد انحرف سائق السيارة المرسيدس نحو اليسار وكاد يصطدم بالسيارة القادمة من الناحية الأخرى، وفجأة قدمت الدراجة النارية من خلفه وأعطت إشارة بأنها تتجه أيضا يسارا، وبدا فوقها شخصان. لقد كان عليهما أن يعطيا حق الأولوية للسيارة القادمة من الناحية الأخرى، لكنهما لم يفعلا ذلك، فاصطدمت السيارة القادمة بهما وصعدت فوقهما. لقد واصلت سائقة السيارة التي دهستهما السير بفزع، لكنها قدمت بعد نصف ساعة إلى مركز الشرطة وسلمت نفسها.

حاول ضابط الشرطة معالجة الاثنين، لكن دون جدوى، ويقول: "كان الوضع فظيعا للغاية، فرغم أن الاثنين كانا يعتمران خوذات دراجات نارية، إلا أن الإصابات في رأسيهما كانت جسيمة للغاية، وقد توفي الراكب الخلفي فورا، أما السائق فلا زال على قيد الحياة، وحاول الطبيب الذي قدم إلى مكان الحادث إسعافه، لكنه توفي في المستشفى بعد أربع ساعات".

أصاب مقتل الاثنين زملاءهم في الموساد بالذهول رغم أنهما لم يقتلا في قتال، بل قتلا أثناء قيامهما بعملهما. وقد تم نقلهما إلى إسرائيل سرا ودفنهما.

وفي السابع عشر من حزيران 1998 أدانت محكمة إسرائيلية منبر بتقديم المساعدة للعدو الإيراني في حربه ضد إسرائيل، ومحاولة مساعدة العدو وتسليمه معلومات بقصد المساس بأمن الدولة، وحكمت عليه بالسجن لمدة ست عشرة سنة.

الفصل العشرون

----

*يهودا جيل واصل نقل معلومات كاذبة للموساد على أنها من عميله السوري وبعد اعتقاله عثر بحوزته على مبلغ 39 ألف دولار أرسلها الموساد إلى الضابط السوري وحكم عليه بالسجن خمس سنوات.

* الموساد ارسل عملاءه لزرع جهاز تنصت في مبنى سكني في شارع "وابرزاكر شتراسه 27 في كونيتس في سويسرا للتنصت على احد اعضاء حزب الـلـه.

*العملاء احدثوا ضجة كبيرة إلى الدرجة التي ايقظت الجيران ودفعتهم لاستدعاء الشرطة التي اعتقلتهم .

*الشرطة السويسرية افرجت عن العملاء ماعدا واحدا حاكمته وحكمت عليه بالسجن لمدة سنة مع وقف التنفيذ وطرد من سويسرا.

*سكان" منطقة زيجي القروية"اعلموا الشرطة عن غريبين يتحركان بصورة تثير الشبهة في منطقة عسكرية والشرطة اعتقلت العملاء وسط معدات التجسس.

* رجال الشرطة القبرصية ظنوا أن الموساد يحاول جمع معلومات عن صواريخ أرض – جو من طراز إس -300 والتي كان من المفروض أن تشتريها قبرص من روسيا

إحباطات وفشل

القاضي: سيد موساد، كم تتقاضي شهريا؟

قتل عميلا الموساد في فيينا في حادثة عرضية.

وقد وقعت حوادث أخرى خلال العمليات التي نفذها الموساد، بيد أن غالبيتها وقعت جراء أخطاء بشرية، وجراء ثقة مبالغ فيها بالنفس، أو جراء تخطيط لم يتوخ الدقة، أو نتيجة لاختيار عملاء متدني المستوى وإرسالهم لآداء المهمة.

وفي أعقاب الفشل الذي مني به الموساد خلال محاولة اغتيال خالد مشعل عام 1997، وقعت عمليات فاشلة أخرى وألحقت بصورة الموساد أضرارا جسيمة وزعزعت أسطورة جهاز المخابرات القادرة على فعل كل شيء. لقد كانت هناك عمليات فاشلة ومواطن قصور طيلة عمل الموساد، ومن الواضح أيضا أنه وإزاء كل عملية فاشلة قام الموساد بعشرات العمليات الناجحة التي لم نسمع عنها لأسباب واضحة، لكننا لا نستطيع تجاهل تواصل الفشل الذي أم الموساد في أعقاب محاولة اغتيال خالد مشعل في الأردن.

كانت عملية ليلهامر عام 1973، وعملية خالد مشعل عام 1997 من أشد الضربات التي أصابت الموساد. وبعد شهرين من فشل عملية مشعل انفجرت قضية فشل أخرى محرجة كان بطلها رجل الموساد يهودا جيل الذي يعتبر من أفضل عملاء الموساد، والذي بادر وشارك في العديد من عمليات الموساد التي تحولت إلى إسطورة.

لقد استخدم جيل لسنوات طويلة عميلا سوريا أمينا جدا، وعلى ما يبدو أن العميل كان جنرالا. أقام جيل الاتصال مع الضابط السوري عام 1974 وواصل تفعيله حتى بعد أن أحيل إلى التقاعد عام 1989. وكان الموساد يستقبل تقاريره وكأنها توراة، وينقل إلى العميل مبالغ مالية عبر جيل كمكافأة له على معلوماته.

وفي آب 1996 قام الجيش السوري بمناورات واتجهت الفرقة السورية الرابعة عشرة من بيروت باتجاه الحدود مع إسرائيل، وحينها قدم جيل تقريرا جاءه من عميله السوري يفيد إن سورية تعتزم شن حرب. اتخذ الجيش الإسرائيلي الاستعدادات الازمة، حرك قواته باتجاه الحدود

الشمالية. تفاقمت الأزمة رغم تأكيد السوريين على أن المناورة هي دفاعية. وعندما وصلت الأزمة إلى ذروتها قرر وزير الدفاع اسحق مردخاي تهدئة الوضع، ومرت الأزمة بسلام.

طالب الموساد جيل المرة تلو الأخرى أن ينقل عملية متابعة عميله السوري إلى ضابط موساد آخر، لكن جيل رفض ذلك بشدة. وقد أثار رفضه المتكرر شكوكا لدى قيادة الموساد التي قررت إجراء عملية فحص داخلية. وسرعان ما جاءت التحقيقات بنتائج مذهلة: لقد ضعف الاتصال بين جيل والضابط السوري خلال الفترة الواقعة بين 1991 -1997 حتى انقطعت نهائيا، بيد أن جيل واصل نقل معلومات كاذبة للموساد على أنها من عميله. لقد أعد المعلومات بعد أن توقعها هو بنفسه بما فيها القول بتوقع شن السوريين حربا على إسرائيل. قامت الشرطة باعتقال جيل، وعثرت بحوزته على مبلغ 39 ألف دولار أرسلها الموساد إلى الضابط السوري، وفي تشرين الثاني حكمت عليه المحكمة بالسجن لمدة خمس سنوات.

****

هبطت طائرة خمسة من عملاء الموساد في السابع عشر من شباط 1998 في بيرن العاصمة السويسرية، وكانوا جميعا يحملون جوازات سفر إسرائيلية مزورة، وقامت سياراتان بنقلهم من المطار إلى فندق أمبسادور، وفي صبيحة اليوم التالي توجهوا إلى فندق "شترنان" الواقع في حي كونيتس الواقع على بعد عشرات الكيلومترات من بيرن، حيث كان بانتظارهم قائد العملية في الغرفة رقام 106، والذي استعرض معهم تفاصيل العملية: سيتوجب عليهم الليلة زرع جهاز تنصت في مبنى سكني في شارع وابرزاكر شتراسه 27 في كونيتس. ومن الجدير بالذكر أن سكانا عربا كانوا يسكنون في الطابق الثالث والسادس.

كان العملاء يعرفون المكان جيدا، فقد قاموا قبل ثلاثة أسابيع بزرع جهاز تنصت خاص على خط التليفون 031-9712629 في نفس المبنى يعود لشخص يدعى الزين، وهو أحد نشطاء حزب الـلـه وقد سبق أن قام بزيارة إيران ثلاث مرات، واشتبه به بأنه حاول الحصول على معدات حربية كيميائية وبيولوجية لحزب الـلـه. كما أنه استضاف في منزله في السابق أحد ممثلي حزب الـلـه. وكان الزين يجتمع مرة في السنة مع الشيخ فضل الـلـه الذي يعتبر الزعيم الروحي لحزب الـلـه.

توجه العملاء بعد منتصف ليلة الثامن عشر من شباط في سيارتين باتجاه المدينة، انطلق ثلاثة منهم:اسحق بنطل، دان شيرين وشيلي ريبلين في السيارة الأولى، وسافر في الثانية رون متسر، دنيئيله طفلر – الأسماء مستعارة-. فتح دان وشيلي الباب الزجاجي للعمارة بواسطة المفتاح "الماستر" الذي جلبوه معهم، ونزل بنطل إلى القبو وشرع بتركيب جهاز التنصت، أما الاثنان الآخران: رون ودنيئيله فقد بقيا في السيارة للمراقبة وحافظا على اتصال لاسلكي مع العميلين الموجودين في القبو.

علق العميلان الموجودان في القبو في حوالي الساعة الثانية والنصف قطعة قماش على الباب الزجاجي كي يخفيا الضوء خلال عملهما. فتح بنطل صندوق الاتصال بالخطوط الهاتفية، وكان العميلان خلال هذا العمل يحدثان ضجة كبيرة إلى الدرجة التي جعلت الجارة الساكنة في الطابق الأول تستيقظ من نومها، ثم استيقظ المزيد من الجيران في الطابق الخامس والذين بدأوا بتفحص مصدر الضجة الغريبة في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل.

قامت الجارة الموجودة في الطابق الأول باستدعاء الشرطة، وقالت للشرطي المناوب: "أعتقد أن هناك لصوصا". انطلقت سيارة شرطة فورا إلى المكان وفيها اثنان من رجال الشرطة اللذين لم يألفا استدعاءهما في مثل هذا الوقت إلى هذا الحي الهادئ الذي يبلغ تعداد سكانه سبعة وثلاثين ألف نسمة.

وصل رجال الشرطة إلى المبنى وفاجآ العملاء إبان عملهم، واعتقلوهم دون أدنى صعوبة. لم يحاول العملاء الفرار. وعثر رجال الشرطة في القبو على تجهيزات كثيرة جدا: أسلاك، هواتف، وحاسوب ألكتروني، وحينما طلبوا منهم تفسيرا لذلك قال الثلاثة: إنهم سياح، وأنهم حولوا القبو إلى "عش للغرام".

وتقول الجارة التي تسكن في الطابق الخامس: "بدا الشبان باردي الأعصاب، وهم في العقد الثاني أو الثالث من العمر، ويرتدون ملابس طلبة ويتحدثون بينهم بالإنجليزية وبلغة أخرى لا أعرفها".

دخل إلى الصورة في هذه المرحلة العميلان اللذان كانا في الخارج للمراقبة واللذان كان عليهما أن يحذرا زملاءهما، حيث مثل ميتسر دور الذي أصيب بنوبة قلبية مما جعل

"زوجته" دنيئيله تصرخ طلبا للنجدة على أمل أن يشتت هذا الوضع الجديد انتباه رجلي الشرطة، لكن الشرطيين لم يتأثرا أبدا واستدعيا سيارة إسعاف لنقل المصاب إلى المستشفى، وبعد فحوص قصيرة أخلى سبيلهما من المستشفى.

نقل العملاء الثلاثة الآخرون إلى محطة الشرطة لفحص هوياتهم، ولسبب غير معروف أفرجت الشرطة عن اثنين منهم فورا، في حين أبقت العميل الثالث بنطل رهن الاعتقال نظرا لأنه كان يحمل في يده أجهزة تنصت. وقد حاول تبرير ذلك بالقول: "إن الجهاز هو جهاز دبلوماسي وأن عليه أن يسلمه إلى عضو في السفارة الإسرائيلية".

وتفيد تحقيقات الشرطة السويسرية أنه كان هناك عميل سادس سلم الخلية تجهيزات تنصت في يوم العملية في حقيبة دبلوماسية، لكنهم لم ينجحوا في اعتقاله نظرا لأنه والعملاء الأربعة الآخرين سارعوا لمغادرة سويسرا.

بقي بنطل رهن الاعتقال حوالي شهرين جرت خلالهما نقاشات إستراتيجية بين إسرائيل وسويسرا من أجل العثور على حل للتعقيدات القضائية التي خلقتها العملية. وفي النهاية أفرج عن بنطل بعد أن أودعت إسرائيل في المحكمة ضمانات بقيمة ثلاثة ملايين فرانك، وتعهد بعودته للمثول أمام المحكمة. وتفيد جهات سويسرية أن رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو هو الذي قدم التعهد كتابيا وشفهيا.

بدأت محاكمة بنطل في الثالث من تموز، أي بعد حوالي خمسة أشهر من إلقاء القبض عليه، حيث اتهمته المحكمة بالتجسس. ونظرا لأنه اعترف بجميع التهم المنسوبة إليه، فقد ركز القضاة تحقيقاتهم واستجوابهم في سؤال مركزي واحد: من هو عميل الموساد؟

دخل القضاة الخمسة إلى القاعة في الساعة الثانية ظهرا، وشرعوا بالتمثيلية الهزلية التالية:

- القاضي: ما اسمك؟
- العميل: بنطل، أيزاك بنطل.
- القاضي: هل هناك اسم آخر خلف هذا الإسم؟
- العميل: نعم.

- القاضي: هل توافق على كشف شخصيتك الحقيقية أمامنا؟

- العميل: لا. سأواجه مشكلة أمنية إذا ما كشفت النقاب عن اسمي.

تدخل محامي العميل بالقول: "أود أن أقول شيئا ما حول هوية المتهم، أنا أيضا لا أعرف اسمه. إنه يأتي من بلاد يسود فيها وضع أمني معقد، وإذا ما كشف النقاب عن اسمه، فلست أستبعد إمكانية أن يحاولوا اغتياله. لذا، وبناء على ذلك، ونظرا لأنني أعرف مشكلة المحكمة التي يجب أن تحكم على المتهم الذي لا تعرف من هو، فإنني أود أن أقرأ على المحكمة رسالة من المستشار القضائي لحكومة إسرائيل. وقرأ الرسالة التي جاء فيها: "سيعرض المتهم نفسه للخطر إذا ما أدلى باسمه، لقد عمل من أجل إحباط عمليات إرهابية، ونحن نتعهد بأن لا يتم إرساله بعد ذلك في مهمة إلى سويسرا".

- القاضي: هل لا زلت تعمل لصالح الموساد؟

- العميل : نعم

- القاضي: ما هي الأسباب التي حدت بك للانضمام إلى الموساد يا سيد موساد؟ - الجماهير تنفجر بالضحك.

- العميل: ترعرعت في بلاد كان يسودها الإرهاب، وحاولت العثور على عمل يجمع بين قدراتي وإمكانية المساعدة.

- القاضي: ألم ترتكب أي عمل يثقل على ضميرك؟

- العميل: لا، إطلاقا.

- القاضي: ألم تؤذ أي إنسان؟

- العميل: حاولت القيام بالأعمال التي تحول دون المساس بالناس.

- القاضي: أي أنك لم تجرح أو تقتل أحدا؟

- العميل: إطلاقا.

- القاضي: هل كنت مسؤولا عن العملية التي ضبطت فيها أم أنك كنت تقوم بدور محدد؟

- العميل: كانت لي مهمة تنفيذية.

- القاضي: من الذي كلفك بها؟
- العميل: الموساد في تل أبيب.
- القاضي: هل أوضحوا لك سبب تركيب جهاز التنصت؟
- العميل: نعم، كي نسمع ما يقوله هذا الرجل.
- القاضي: هل قيل لك أن الرجل الذي حاولت التنصت عليه مخرب؟
- العميل: نعم، لقد خطط لعمليات وأرسل أشخاصا إلى إسرائيل لتنفيذ عمليات.
- القاضي: هل قيل لك لأية منظمة ينتمي؟
- العميل: ينتمي لحزب اللـه.
- القاضي: بوصفك عميلا للموساد، هل بمقدورك رفض الأوامر؟
- العميل: أعتقد نعم، لكن هذا لم يحدث لي.
- القاضي: كم تربح شهريا بوصفك عميلا للموساد؟
- العميل: 8-9 آلاف شيكل.
- القاضي: ما هي علاقتك بالأشخاص الخمسة الذين كانوا معك؟
- العميل: لا علاقة لي بهم.
- القاضي: من كان القائد؟
- العميل: داني.
- القاضي : هل يمكنك أن تحكي لنا شيئا عن كفاءاتك؟
- العميل: حصلت على البكالوريوس في الاقتصاد والرياضيات والحاسوب.
- القاضي: وهل كنت في حاجة إلى كل هذه الكفاءات من أجل هذا العمل؟
- العميل: لا، كنت في حاجة إلى الكفاءات التي حصلت عليها بصورة غير رسمية من أجل تنفيذ هذه العملية.

في نهاية المحاكمة حكم القاضي على العميل بالسجن لمدة سنة مع وقف التنفيذ وطرد من سويسرا، وحال خروجه من المحكمة توجه بنطل إلى إسرائيل.

وجهت وسائل الإعلام انتقادات شديدة للموساد في هذه القضية، ووصفت العملية بأنها كانت من أعمال الهواة، وتساءلت عن سبب توجه جميع العملاء معا إلى المبنى؟ وهل أخذ العملاء بعين الاعتبار وجود محطة شرطة بالقرب من المبنى؟ ولماذا لم يحافظ العملاء على الهدوء أثناء العملية كي لا يوقظوا الجيران؟ ولماذا لم يحذر العميلان في الخارج زملاءهم في القبو بمجيء الشرطة؟ ولماذا استخدم العملاء جوازات سفر إسرائيلية وتحدثوا بينهم باللغة العبرية؟ والرد على كل هذه التساؤلات بسيط: الإهمال، التسرع، والمرض الإسرائيلي المزمن المتمثل في مصطلح "اعتمد علي".

****

لم تكد تمضي تسعة أشهر في أعقاب العملية الفاشلة في سويسرا حتى هبط فشل جديد فوق رأس الموساد، وفي هذه المرة في قبرص. ومرة أخرى أعلم السكان المحليون الشرطة عن غريبين يتحركان بصورة تثير الشبهة في منطقة عسكرية. كانت المنطقة محل الحادثة هي منطقة "زيجي" القروية والتي يوجد فيها معسكر تدريبات بحري للحرس الوطني القبرصي.

داهم رجال الشرطة القبارصة في حوالي الساعة الرابعة من فجر ليلة 6-7 في تشرين الثاني 1998 الشقة التي يسكن فيها الاثنان،وقد سارع أحدهما لوقف عمل أحد جهازي التسجيل اللذين عملا في الغرفة، لكن الثاني واصل العمل. قام أحد ضباط الشرطة بأخذ جهاز التسجيل وإعادة الشريط إلى الوراء، فتناهى إليه صوت رجال شرطة قبارصة يتحدثون في جهاز اتصال شرطي فيما بينهم.

قام رجال الشرطة باعتقال ا لاثنين اللذين حمل جوازا سفريهما اسم: يجآل دمري -49 سنة وأودي أرجوب -37 سنة. وعثر رجال الشرطة خلال عملية التفتيش التي أجروها في الشقة على أجهزة تسجيل، وحاسوب محمول، وديسكات وهاتف خلوي، وخرائط للجزيرة وجهازي تمشيط ذبذبات مرتبطين بجهازي التسجيل.

كان الاثنان قد وصلا إلى الجزيرة قبل اثنتي عشرة ساعة من اعتقالهما, وقد شرعت الشرطة بمراقبتهما بعد أن لاحظ صاحب مطعم أسماك تحركاتهما المشبوهة، وما أثار شكه فيهما هو أن الاثنين لم يدخلا إلى مطعمه ولم يأكلا سمكا.

اعتقدت قوات الأمن القبرصية أن الموساد أرسل الاثنين للتجسس على قبرص ونقل المعلومات إلى المخابرات التركية. كانت الشبهة مزدوجة: فقد اعتقد رجال الشرطة القبرصية أن الموساد يحاول جمع معلومات عن صواريخ أرض – جو من طراز إس -300 والتي كان من المفروض أن تشتريها قبرص من روسية، كما اشتبهت الشرطة بأن العميلين تسللا إلى المنطقة العسكرية المغلقة من أجل جمع المعلومات حول المناورة الكبيرة التي أجراها الجيش القبرصي أمام سواحل الجزيرة.

وصف نائب عام شرطة "لارنكا" في شهادته عملية المراقبة التي قامت بها الشرطة قائلا:شوهد أودي أرجوب بالقرب من معسكر الجيش في حوالي الساعة السابعة مساء يوم الجمعة . وفيما بعد أجرى الاثنان محادثات هاتفية من هاتف عام، وقد اتضح من متابعة الشرطة أن الاثنين اتصلا بجهاز استخبارات معين في تل أبيب عشر مرات.

وكشف نائب الشرطة النقاب عن أن مناورة عسكرية هامة جدا كان يجب أن تظل طي الكتمان جرت في ليلة اعتقال الاثنين. وأفاد القبارصة أن المناورة تتعلق بصواريخ بحر- بحر من نوع أكزوست من صناعة فرنسا ، وهي صواريخ حديثة جدا وتعتبر بمثابة تهديد حقيقي على السفن. وأن هدف العميلين بناء على الشبهات هو اعتراض البث المشفر للجيش القبرصي وحله بواسطة رموز واتصالات تتعلق بالصواريخ.

وإضافة إلى الصواريخ، اتضح أن بلدة زيجي هي بلدة عسكرية، حيث يوجد فيها قاعدة حرس الحدود القبرصي، كما أن الميناء يستخدم – حسب ما نشرته وسائل الإعلام الأجنبية- لتهريب السلاح إلى حزب اللـه في لبنان.

واتضح للمحققين أيضا أن هذه الزيارة ليست الزيارة الأولى للعميلين لقبرص، حيث تواجدا في المنطقة أيضا خلال الفترة الواقعة بين 15-22 تشرين الأول، أي في نفس اليوم الذي أجرى فيه الحرس الوطني القبرصي مناوراته السنوية. وقد استأجر الاثنان في الزيارة السابقة أيضا نفس الشقة التي ضبطا فيها هذه المرة.

وأفادت صحيفة ساندي تايمز اللندنية أن يجآل دمري هو أقدم وأكثرعميل للموساد يتم إلقاء القبض عليه منذ إقامة الموساد. لقد تم اعتقال الاثنين في توقيت محرج جدا بالنسبة

لإسرائيل، فقبل بضعة أيام قام رئيس الدولة عيزر وايزمن بزيارة رسمية لقبرص وهدأ من روع القبارصة قائلا: إن التعاون الأمني بين إسرائيل وتركيا ليس موجها ضد قبرص.

وعندما علم وايزمن فيما بعد باعتقال العميلين الإسرائيليين حاول حل المشكلة، حيث استدعى رئيس الموساد إفرايم هليفي الذي حل محل داني يتوم وأجرى معه حديثا صعبا، وفي نفس الوقت أرسل وايزمن إلى نيقوسيا مدير عام بيت رئيس الدولة آرييه شومر حاملا رسالة اعتذار للرئيس القبرصي.

أدارت إسرائيل في اعقاب اعتقال العميلين حملة واسعة النطاق من أجل الإفراج عنهما، ومارس مسؤولو الجهاز الأمني تأثيرهم وعلاقاتهم مع نظرائهم في قبرص، وقام رئيس الكادر السياسي، ورئيس الدولة وايزمن، ورئيس الحكومة نتنياهو، ووزير الخارجية شارون بالتحدث مع المسؤولين القبارصة، وطالبوا الرئيس الألماني وألمانيا ممارسة ضغوطهم على قبرص كي تفرج عنهما. وقام المستشار القضائي للحكومة إليكيم روبنشتاين ونائبة الدولة عدنه أربيل بزيارة الجزيرة أكثر من مرة، واجتمعا مع النائب العام الذي أصر على معاقبة العميلين بعقوبات خطيرة. هذا في الوقت الذي كانت إسرائيل تخشى من أن تؤدي إدانتهما بالتجسس إلى الحكم عليهما بالسجن لعشرات السنوات.

تمكن روبنشتاين بعد محادثات مطولة من إقناع النائب العام بالموافقة على صفقة تزيل النيابة القبرصية خلالها من لائحة الاتهام بند التجسس وتدبير مؤامرة للتجسس، اكتفت بتهمة الدخول إلى منطقة عسكرية محظورة، وحيازة أجهزة تنصت محظورة.

وفي الثاني من شباط 1999 قبلت المحكمة الصفقة وحكمت على الاثنين بالسجن الفعلي لمدة ثلاث سنوات. وقد قالت المعارضة القبرصية إن الحكم الخفيف الذي فرض على الاثنين هو بمثابة إهانة للدولة وللجهاز القضائي.

حظي العميلان طيلة فترة السجن بمعاملة متميزة من إدارة السجن التي استجابت لغالبية مطالبهما، وسمحت للسفير الإسرائيلي بزيارتهما ليلة العيد وجلب نبيذ وخبز العيد لهما. وفي أعقاب تغير السلطة في إسرائيل وافقت السلطات القبرصية على تخفيف أحكامهما، ثم استجاب

الرئيس القبرصي لطلب صديقه رئيس الدولة عيزر وايزمن وأفرج عنهما بعد 227 يوما من اعتقالهما.

****

اتصل أندرو فيات – نيوزيلندي يناهز الثلاثين - في منتصف شهر آذار 2004 بموظف في وزارة الداخلية في أوكلاند، وقال أنه قدم طلبا بصورة رسمية من أجل الحصول على جواز سفر. قام الموظف بفحص تفاصيل الطلب، ووجد أن فيات قدم حقا طلبا بكامل التفاصيل، وذكر فيه اسمه وعنوانه وباقي التفاصيل وقدم شهادة ميلاده. وطلب أن يحصل على جواز السفر في أسرع وقت ممكن. حتى هنا كانت الأمور على ما يرام، بيد أن شيئا واحدا ضايق الموظف، فقد كان الرجل يتحدث بلكنة غريبة لم تبد له أنها لكنة نيوزلندية. وكي يتأكد الموظف اتصل بالعائلة وسأل فيما إذا كان ابنهم أندرو يرغب في استخراج جواز سفر؟ وبعد تردد قصير قال الأب: "ابني لا يستطيع أن يتكلم، ولا الذهاب إلى المرحاض ولا أن يأكل بنفسه، ولا يستطيع التكلم معك أو حتى معي، لذا يستحيل أن يطلب جواز سفر".

لقد اتضح للموظف أن الشاب الذي طلب استخراج جواز سفر هو في حقيقة الأمر معاق ومشلول عقليا، ومن ثم لا يمكن أن يكون قدم طلبا لاستخراج جواز سفر، بل إن شخصا ما استخدم اسمه وعنوانه. أدى الاهتمام بهذا الأمر وفحص الطلب بصورة أدق إلى اكتشاف إن اسم الأم لم يكن الاسم الحقيقي للأم، بل كان كنية الدلال الطفولي.

اتصل الموظف بشرطة أوكلاند والتي دبرت مصيدة للمجهول الذي انتحل شخصية المعاق. اتصل شرطي برقم التليفون الذي تركه أندروا فيات مدعيا أنه موظف الجوازات ونسق معه موعدا لتسليمه الجواز، فطلب أندرو أن يتم إرسال الجواز إليه بسيارة تاكسي إلى شقة في مبنى في شارع سانت بول في أوكلاند، وإذا لم يجد سائق التاكسي أحدا في الشقة يجب أن يواصل الطريق إلى عنوان آخر في شارع يونيون.

أفادت تحقيقات الشرطة أن الشخص الذي أعد كل هذه الخدعة وطلب الجواز هو شخص إسرائيلي يدعى زئيف بركان. وفي الثالث والعشرين من آذار 2004 بدأت سيارة التاكسي رحلتها بالجواز. لكن عندما انتشرت الشرطة حول العنوانين المذكورين اتضح أن بركان

فر من المكان وبعد وقت قصير غادر نيوزيلندا، وبدلا منه ألقت الشرطة القبض على إسرائيليين آخرين : إيلي كرا وأوري كلمن اللذين كانا ينتظران في العنوانين المذكورين، وقد حاول كلمن الفرار ورمى تليفونه الخلوي بين الأعشاب لكن دون جدوى.

حققت الشرطة مع الاثنين كل على انفراد، حيث أدلى كل منهما بمبررات ضبابية حول سبب وجوده في نيوزيلندا، حيث زعم كرا أنه وكيل سفريات وأن مقره في استراليا، لكنه لم يقدم مبررا مقنعا لدخوله نيوزيلندا وخروجه منها أربع وعشرين مرة خلال الفترة الواقعة بين عام 2000- 2004 . أما أوري كلمن فقال إنه صاحب شركة حماية وأنه أبرم عقودا مع سفارات دول غربية، لكن الشرطة لم تقبل قصة الاثنين. كما اكتشفت أن لهما علاقة مع يهودي محلي يدعى أنتوني رزنيك والذي كان يعمل ممرضا في شركة سيارات إسعاف محلية، ومن بين زبائنها كان أندرو فيات المعاق الذي حاولوا استخراج جواز سفر على اسمه. اشتبهت الشرطة بأن رزنيك هو الذي سلم الإسرائيليين اسم وتفاصيل المعاق. أرادت الشرطة اعتقال رزنيك لكن سرعان ما اتضح لها أنه غادر نيوزيلندا بعد أربع وعشرين ساعة من اعتقال كرا وكلمن، كما غادرت عائلته بعد بضعة أيام.

أثار الإعلان عن القضية في وسائل الإعلام ضجة كبيرة في نيوزيلندا، وأعلن رئيس الحكومة هلن كلارك أنه وفي اللحظة التي ستنتهي فيها الإجراءات القضائية فسوف يكون ردنا علنيا وشديدا. أنا أنظر بخطورة بالغة لكل عمل يمكنه أن يمس بمصداقية جوازات سفرنا".

حكم على كرا وكلمن بالسجن لمدة ست سنوات بعد أن اعترفا بمحاولتهما الحصول على جواز سفر عن طريق الخداع. ومن الجدير بالذكر إن العقوبة المفروضة على الجريمة التي ارتكباها تصل إلى السجن لمدة خمس سنوات، بيد أن القاضي وافق على تخفيف حكمهما إلى ستة أشهر بعد أن دفع كل منهما مبلغ 33500 دولار لمنظمة صدقة محلية.

الفصل الحادي والعشرون

----

* مردخاي فعنونو ... فني عمل في المفاعل النووي في ديمونه أكثر الأماكن سرية وحماية في إسرائيل ..انسان غير سوي .

* فعنونو عمل في "المعهد -2" الذي يعتبر سريا للغاية من ضمن مباني المفاعل وقام بتصوير كل تفاصيل المفاعل دون ان ينتبه احد له.

* إنقاذ العالم من التهديد النووي الإسرائيلي أصبح أساسا أيديولوجيا نبيلا يقود أعمال فعنونو .

* فعنونو اكد ان إسرائيل تعمل على تطوير قنبلة نيوترون والتي تقضي على الأحياء.

* مراسلو الساندي تايمز عرضوا على فعنونو منحه مائة ألف دولار مقابل الأفلام والقصة و40% من حقوق النشر مقابل الصور والافلام.

* الموساد اختطف فعنونو عبر" مصيدة العسل" ونقلوه الى اسرائيل حيث أدانته بالتجسس الخطير والخيانة وحكم عليه بالسجن لمدة ثماني عشرة سنة.

الشقراء التي قادت
فعنونو إلى الاعتقال

لقد فعل مردخاي فعنونو كل ما يجب فعله كي ينكشف. لقد كان فنيا في المفاعل النووي في ديمونه الذي يعتبر أكثر الأماكن سرية وحماية في إسرائيل. كان فعنونو قد وصل للعمل في المفاعل عبر إعلان في الصحف، وحينما قرأ الإعلان قدم أوراقه للقرية النووية الإسرائيلية في بئر السبع. وكي يمكن قبوله كان عليه اجتياز استجواب أمني دقيق ومسهب، وعلى غرار جميع عمال المفاعل، كان سيخضع لمراقبة شاملة ومتواصلة.

ومردخاي يساري متشدد ولديه زملاء من الحزب الشيوعي الإسرائيلي "راكاح"، وشارك معهم في مظاهرات والتقطت له صورة وهو يتظاهر معهم ولصالحهم، وقد أعلن عن تأييده للفلسطينيين، وحمل يافطات وأجرى مقابلات وألقى كلمات. واستضاف إعلاميين عرب في شقته الصغيرة في بئر السبع، ثم عمل على الانضمام إلى الخلية الطلابية التابعة لراكاح في الجامعة، والتي قامت كلها من الأعضاء العرب القوميين. وكان زملاؤه الطلبة يعرفونه في الجامعة بكونه رجلا راديكاليا ومتطرفا، وهو رجل كفؤ لكنه ليس سويا تماما، فقبل أن ينضم إلى راكاح كان من مؤيدي الحاخام مائير كهانا وشديد التحمس لحركة كاخ العنصرية، ثم أيد حزب "هتحيا" النهضة، وصوت لليكود في الانتخابات ثم انضم إلى اليسار المتطرف، ويقول أن ذلك حدث في أعقاب الحرب اللبنانية.

كان مردخاي شابا انطوائيا دون أصدقاء، ويراوده إحساس بالغبن بسبب أصله المغربي، لقد شعر بالغبن الطائفي لأول مرة في تل أبيب عندما كان يستكمل دراسته الثانوية في منامات الطلبة، ولم يؤد نجاحه في المدرسة الثانوية إلى تخفيف حدة شعوره بالاضطهاد والغبن. وحينما التحق بالجيش حاول الالتحاق بدورة طيران لكنه رفض ونقل إلى سلاح الهندسة، وعندما سرح شرع في دراسة الهندسة في تل أبيب، ثم توقف عن الدراسة وانتقل لدراسة الاقتصاد في جامعة بن جوريون، ثم انتقل إلى دراسة الفلسفة، ورغم ذلك كان انطوائيا تماما.

لقد أدرك جميع أصدقائه حبه الكبير للمال، واستثمر ماله في البورصة، وقال أنه ليس في حاجة إلى العمل، وفي عام 1983 شهد انهيارالأسهم واعتبره بمثابة أكبر كارثة حلت به.

أما جولاته في بئر السبع فكان يقوم بها في سيارته من طراز أودي حمراء اللون، وعمل لبعض الوقت عارض أزياء عار، وفي إحدى الحفلات الطلابية خلع ملابسه الداخلية كي يحظى بجائزة.

لا شك أن مسلكيته كانت من الأمورالشخصية التي تهمه هو فقط ، لكن انضمامه إلى راكاح كان يجب أن يضيء ألف ضوء أحمر، وبدلا من ذلك استدعته المخابرات لإجراء محادثة مريحة معه، ولوحوا أمامه بأصابعهم وطلبوا منه أن يتوقف عن ذلك، ثم استدعوه مرة أخرى فيما بعد وطلبوا منه أن يوقع على تعهد يفيد أن المخابرات حذرته وطلبت منه التوقف عن علاقته مع راكاح، لكنه لم يوقع ولم يتوقف.

وصف جهاز الأمن العام في تقرير عادي أعمال فعنونو وأرسله إلى المسؤول عن الجهاز الأمني، فقام المسؤول بنقل التقرير إلى المسؤول عن أمن المفاعل النووي والذي قام بدوره بوضعه في أحد الأدراج، لم تتخذ أية خطوات للرقابة على فعنونو بل بقي قرار المراقبة مجرد حبر على ورق، كما أن جهاز الأمن العام كان مشغولا إلى الدرجة التي لم يضع فيها فعنونو ضمن أولوياته، ففي تلك الآونة وقعت قضية الخط 300 التي قام خلالها جهاز الأمن العام بقتل فلسطينيين بعد أن ضبطهما أحياء في قضية اختطاف الحافلة 300. ثم قام الجهاز باختلاق مبررات وتدبير أدلة، وبناء على ذلك جرت محاولات للإطاحة برئيس الجهاز أبراهام شلوم، مما شغل الجهاز عن قضية متابعة فعنونو، ودفع بالعديد من القضايا الأخرى إلى الزاوية.

كانت مسلكية جهاز الأمن العام وتجاهله لوضع فعنونو بمثابة تقصير مذهل، ولم يقتصر التقصير على جهاز الأمن العام وحده، بل شاركه في ذلك شعبة الأمن التابعة لوزارة الدفاع، وأمن المفاعل والذي اقتصرت مهمته على حماية المفاعل مهما كانت الظروف.

عمل فعنونو في "المعهد -2" الذي يعتبر سريا للغاية من ضمن مباني المفاعل، فمن بين عمال المفاعل البالغ عددهم 2700 شخص، سمح لمائة وخمسين شخصا فقط بالدخول إلى المعهد-2. كان لدى فعنونو بطاقتي هوية: 8-9267 والتي تسمح له بدخول قرية الأبحاث النووية و 320 التي تسمح له بدخول المعهد -2، والذي بدا من الخارج بنيانا مهجورا مؤلفا من طابقين من الباطون، والذي من الجائز أنه يستخدم مخزنا أو مكتبا للأشياء الهامشية. وفوق المبنى كان هناك غرف

لمصعد، رغم أن مبنى منخفضا من هذا النوع ليس في حاجة إلى مصعد. إن سر هذا المبنى يتمثل في طوابقه الأرضية الستة والتي حرص بناة المكان على إخفائها بصورة جيدة.

عين فعنونو مسؤولا عن الحراسة الليلية لذا تعرف علـى الطوابـق المـذكورة بصـورة جيـدة، ففـي الطـابق الأول تتواجد المكاتب والبوفيه، وفي الطابق الأرضي أبواب لنقل قضبان اليورانيوم التـي اسـتخدمت في المفاعـل، إضـافة إلى مكاتـب ومنشآت تركيب. وفي القبو رقم -1 يوجد بصورة رئيسية أنابيب ومكابس. وفي القبو رقم -2 مكاتب، غرف رقابة وشرفة يطلق عليها اسم شرفة جولدا، والتي بمقدور الزوار رفيعي المستوى أن يطلوا منها على قاعة الإنتاج السفلية. وفي القبو رقم -3 غرف خصصت لمعالجة الفنيين لقضبان اليورانيوم التي يتم إنزالها من فوق. وفي القبو رقم -4 الذي يرتفع على مستوى ثلاثة طوابق يوجد معمل انتاج ومعمل عزل البلوتونيوم من قضبان اليورانيوم، وفي القبو رقم -5 يوجد نقطة انتاج مركبـات القنبلـة، وفي القبو رقم -6 خزنت النفايات الكيميائية في أوعية خاصة.

ويقول فعنونو إن الخبراء الإسرائيليين طوروا القنبلة النووية الإسرائيلية من البلوتونيوم الذي تـم استخلاصـه. وفي أحد الأيام ودون أي سبب أخذ فعنونو معه كاميرا إلى المفاعل. وقد أخذها في البداية فارغة ومخبـأة في حقيبـة الكتـب التـي واصل بعد العمل طريقه بها إلى الجامعة. كان فعنونو يعتزم القول للحراس والمراقبين لو أنهم سألوه لماذا يجلب معه كاميرا، أنه أخذها معه إلى البحر ونسيها في الحقيبة، بيد أن الحراس لم يفتشوه، ولم يسألوه، لذا عمد إلى وضعها في خزانته الشخصية.

وعندما لم يعثر رجال الأمن على الكاميرا جلب فعنونو أفلام تصـوير وعبأهـا. وبـدأ عمليـات التصـوير في أوقـات الراحة وتناول الغداء، حينما يغادر العمال والموظفون المكان، ويبقى هو وحده، بدأ يدخل المكاتب الفارغة، ويفتش الخـزائن المفتوحة ويلتقط الصور دون أن يراه أو يشتبه به إنسان، وكأن رجال الأمن لا وجود لهم. ولم يكـن المسـؤولون عنـه يعرفـون شيئا عن هوايته الجديدة الخطرة، بل وكنوا له الكثير من التقدير بوصفه عاملا هادئا وفنيا جديا ونشطا.

وفي نهاية عام 1985 أقيل فعنونو من عمله، دون أن تكون هناك أية علاقة بـين إقالتـه وبـين هوايتـه المحببـة أو ميوله اليسارية، بل أقيل جراء التقليصات التي جرت في المفاعل نظرا لقلة الميزانيـات المخصصـة. وحظـي بتعويضـات بنسـبة 150% وبأجر ثمانية أشهر من أجل التأقلم، بيد أن إقالته أثارت غضبا عارما في داخله. وقرر السفر إلى الخارج في نزهة طويلة قد لا يعود منها إلى

إسرائيل إذا ما عثر على مكان آخر يستقر فيه مثل اثني عشر مليون إسرائيلي آخـرين يعيشـون في الخـارج، فبـاع سيارته وشقته وصفى كل ممتلكته في إسرائيل بصورة واضحة وجذرية. وأخذ حقيبة ظهره وبدأ نزهته في العالم.

سبق أن قام فعنونو برحلتين طويلتين، استغرقت كل منهما ثلاثة أشهر، مرة لأوروبا ومرة للولايات المتحدة، لكنه قرر الآن التعرف على الشرق الأقصى، وحمل معه ضمن حاجياته الفلمين اللذين صورهما في المفاعل.

طار فعنونو في البداية إلى اليونان، ومن هناك إلى موسكو وتايلنـد ونيبـال. وفي كتمونـدو قابـل إسرائيليـة وشرع بمغازلتها، وقال لها أنه يساري وأن من الجائز أن لا يعود أبدا إلى إسرائيل، ودعاها إلى حفلة يقيمها متنزهون إسرائيليون لغناء الأغاني الإسرائيلية، وقام خلال النزهة بزيارة معبد بوذي وفكر في اعتناق المذهب البوذي. ثم توجه إلى أستراليا، وهناك اشتغل في أعمال عارضة وقضى طيلة الوقت وحيدا وبائسا، وذات ليلة توجه إلى حي بائس يعتبر مسرحا للجريمة والمومسات، وفجـأة شاهد أمامه كنيسة سانت جور ج التي يأوي إليها أولئك الذين بلا بيت ولا مأوى وضالون، فدخل وأجرى حديثا مع المطـران الأنجليكاني جون مكنيت الذي أدرك فورا أن فعنونو يفتش عن أسرة وبيت، وتمكـن مـن الوصـول إلى قلـب فعنونـو، وأجـرى الاثنان محادثات مطولة، وفي السابع عشر من آب 1986 تنصر فعنونو ومنح اسما جديدا: جوهن كروسمن.

لم يكن هذا الأمر سهلا على شاب يهودي متدين من مواليد المغرب قضى حياته في المدارس الدينية في بئر السـبع، لكن إيمانه باليهودية تزعزع نظرا لأنه لم يكن أصلا سويا ونظرا للمشاكل التي اجتاحت حياتـه. لقـد أدى تخليـه عـن الديانـة اليهودية إلى تخليه عن كل ما يربطه بإسرائيل، وتحول اشمئزازه من بلاده إلى أحد الأسباب الرئيسية لأعماله.

تحدث فعنونو بطريق الصدفة مع زملائه في الكنيسة عن طبيعة العمل الذي كـان يعملـه في إسرائيـل، ووصـف المفاعل النووي في الديمونة واقترح عليهم أن يعمل معرضا من الصور التي التقطها داخل المفاعل، لكنهم لم يفهمـوا مـا الـذي يتحدث عنه، لذا تخلى عن الفكرة، بيد أن شخصا كولومبيا يدعى أوسكر جيررو -وهو صحفي- اهتم بما قاله.

كان الاثنان يقومان بدهن سور الكنيسة، كما سكنا في نفس الشقة لوقت مـا. أدرك جـيررو مـدى أهميـة الأفـلام التي بحوزة فعنونو وطرح عليه فرص الربح التي يمكنه أن يحققها والشهرة التي يمكنه أن يحصل عليها إذا ما كشف الأفلام.

أحب فعنونو المال، بيد أنه اعتقد أن بمقدوره استغلال نشر الأفلام مـن أجـل دفـع السـلام بـين إسرائيـل والعـالم العربي إلى الأمام. لم يكن هذا هو هدفه الرئيسي، فهو لم يغادر إسرائيل ولم يلتقط الأفلام مـن أجـل ذلـك. لكـن صـنع السـلام وإنقاذ العالم من التهديد النووي الإسرائيلي أصبح أساسا أيديولوجيا نبيلا يقود أعماله. تزايدت ثورته ضـد النـووي الإسرائـيلي يوما بعد يوم إلى الدرجة التي أصبحت مبررا لنشر الصور. كان فعنونو يدرك جيدا أنه إذا قام بنشر الصور فسوف يكون هـذا النشر بمثابة نهاية طريقه كإسرائيلي ونهاية إمكانية عودته إلى إسرائيل في أي يوم مـن الأيـام.، بـل إن الإسرائيليـون سـيكللونه بالعار وسيوصف بأنه عدو الشعب والدولة.

لكن الإغراء كان كبيرا. توجه فعنونو وجيررو إلى محل تصوير في سيدني وأخرجوا الصور التـي غطـت الكثـير مـن المعمل رقم -2 في ديمونة. حاول الاثنان إثارة اهـتمام مراسـلين محليـين يعملـون في المجـلات الأسـبوعية الأمريكيـة ومحطـات التليفزيون الأسترالية، لكن محاولاتهما باءت بالفشل،حيث اعتبرهم الصحفيون إما غريبي الأطوار أو نصابين يحاولان النصـب عليهم من أجل الحصول على مبلغ من المال، لم يصدق أي منهم أن هذا الشاب الخجول يحمـل في جعبتـه صـورا لأحـد أشـد الأماكن الإسرائيلية سرية وغموضا.

طار جيررو لأسبانيا وأنجلترا، وتمكن هذه المرة من تحقيق نجاح، فقد أدرك مراسلو الساندي تايمز اللندنية الذين سمعوا قصته الفرصة الكبيرة الكامنة في القصة المصحوبة بالصورة والرسومات عن المفاعل النووي الإسرائيلي، وفي نفس الوقت كانوا حذرين فمنذ وقت قصير أصيبوا بنكسة كبيرة حينما اشتروا يوميات هتلر، وشعروا بالخزى أمام العالم كله حيـنما اتضـح أن هذه المذكرات ما هي سوى أوراق مزورة، لذا طلبوا أن يسمح لهم هذه المرة بفحص الصور التي قدمت لهم جيدا.

وفي هذه الاثناء توجه ممثلو التليفزيون الأسترالي إلى السفارة الإسرائيليـة للتأكـد مـن أن الرجـل غريـب الأطـوار الذي عرض عليهم الصور هو حقا إسرائيلي. علم صحفي إسرائيلي في هذه الآونة بما يحدث فأرسل تحذيرا إلى الجهات الأمنية الإسرائيلية التي شعرت بأن ضربة عنيفة وجهت

إليها: فنى سابق في المعمل رقم-2 في مفاعل الديمونة يحاول بيع أسرار إسرائيلية سرية للغاية ويوجد بحوزته صور ووثائق تدعم روايته.

نقلت المعلومة إلى "منتدى رؤساء الحكومات": بيرس، رابين وشامير الذين كانوا أعضاء في حكومة الوحدة الوطنية برئاسة شمعون بيرس، فقرر الثلاثة أن من الضروري العثور على فعنونو وجلبه إلى إسرائيل، وقد اقترح البعض العمل على تصفيته في الخارج، بيد أن هذا الاقتراح رفض، وأطلق على العملية اسم "كنيوك".

وبناء على أوامر رئيس الموساد نحوم أدموني توجهت خلية من عملاء الموساد إلى أستراليا من أجل العثور على فعنونو، لكنهم اكتشفوا حين وصولهم أنهم تأخروا وأن العصفور غادر العش. كان فعنونو في تلك الأيام في بريطانيا.

بعد وقت قصير من استجواب مسؤولي الساندي تايمز لجيررو أرسلوا الصحفي بيتر هونام إلى أستراليا للبحث عن معلومات حول فعنونو، وعندما طار هونام إلى أستراليا كان على علم بأن علماء بريطانيين ممن شاهدوا عددا من الصور التي التقطها فعنونو اقتنعوا بأن الصور حقيقية وموثوقة. حينما وصل هونام إلى أستراليا اجتمع مع فعنونو، وحدث لديه انطباع بأنه يقول الحقيقة، وأعجبه بشكل خاص تكذيبه لجيررو الذي زعم إن فعنونو هو عالم إسرائيلي، حيث قال فعنونو ببساطه: إنه مجرد فني في مفاعل الديمونة وليس عالما.

سافر فعنونو وهونام إلى بريطانيا مبقين جيررو خلفهما، فقد رغبت الصحيفة في توفير العمولة التي كان عليها دفعها للكولومبي. وفي لندن اجتاز فعنونو سلسلة طويلة من الاختبارات في الساندي تايمز، كشف لهم خلالها كل ما يعرف، وقال:إن إسرائيل تعمل على تطوير قنبلة نيوترون والتي تقضي على الأحياء، بيد أنها تبقي المباني قائمة، وأدلى بتفاصيل حول تركيب القنبلة في المعمل رقم -2 إضافة إلى العديد من المعلومات الأخرى، لكنه كان خائفا وعصبيا، ويخشى من أن يلاحقه الإسرائيليون ويختطفونه ويصفونه. حاول مسؤولو الساندي تايمز تهدئة روعه، وقاموا بتغيير الفندق الذي ينزل فيه المرة تلو الأخرى، وكلفوا حراسا بحمايته، وطلبوا منه عدم التجوال في الشارع وحده، بيد أنه لم يصغ إليهم. وعرضوا عليه منحه مائة ألف دولار مقابل الأفلام والقصة،و40% من حقوق النشر، و25% من دخل الكتاب الذي يعده إذا ما اعد كتابا. وقالوا له: إن روبرت مردوك صاحب الصحيفة هو ايضا صاحب شركة الأفلام "فوكس القرن العشرين" وأنه يميل لإخراج فيلم

عن حياته وعمله. وأن الممثل المعروف روبرت دي نيرو هو الذي سيقوم بتمثيل دور فعنونو. لقد اقترح مسؤولو الصحيفة على فعنونو جميع الإغراءات الممكنة باستثناء إغراء واحد، المرأة. لقد كان فعنونو جائعا إلى الدفء النسائي وللجنس، ولم يكن قادرة على الحصول على ذلك، وعندما مكثت الصحفية العاملة في الساندي تايمز روثينه وبستر وصحفية أخرى معه قليلا بذل قصارى جهد لإقناعهما بممارسة الجنس معه، لكنهما رفضتا. كان الجنس بمثابة "عقب أخيل" بالنسبة لفعنونو بيد أن صحفيي الساندي تايمز لم يدركوا ذلك. ولم يدركوا أيضا أن المخاوف التي يطرحها من المخابرات الإسرائيلية حقيقية.

أرسلت الصحيفة صحفيا إلى إسرائيل للتأكد من أن فعنونو هو حقا كان يعمل في المفاعل النووي وقد تحدث هذا المراسل مع صحفي إسرائيلي عن فعنونو، فقام الصحفي الإسرائيلي بالاتصال فورا بجهاز الأمن العام. ولم تكد تمضي ساعات قليلة حتى كان أعضاء وحدة تنفيذية من الموساد ينتشرون في لندن وعلى رأسهم شبتاي شبيط نائب رئيس الموساد.

قام النائب الثاني لرئيس الموساد ورئيس شعبة العمليات بني زئيفي بإدارة العملية، وتجول اثنان من عملاء الموساد في صورة صحفيين بالقرب من مكاتب الساندي تايمز والتقطوا صورا لعمال المطابع، وبعد بضعة أيام شاهدوا فعنونو والتقطوا له صورا حينما غادر المبنى، وشرعوا بمطاردته.

لاحق عملاء الموساد فعنونو بطريقة "التمشيط" التي ابتدعها رجل الموساد المعروف تسفي ملحين، والتي تنص على ملاحقة الهدف، وفي نفس الوقت القيام بتمشيط الأماكن التي من المحتمل أن يتواجد فيها، ومن ثم حينما يتجه إليها يجدهم هناك قبله.

وصل فعنونو خلال الجولات التي قام بها في الرابع والعشرين من أيلول في لندن إلى ميدان ليستر الكبير الذي يتجول فيه الكثير من السياح دائما. وقد لاحظ شابة شقراء جميلة تقف بالقرب من كشك لبيع الصحف والسجائر. نظر إليها فعنونو بشوق بينما تقف في الدور أمام الكشك، فالتفتت إليه وحدقت فيه بعينين مبتسمتين مطولا، لكن سرعان ما جاء دورها للشراء فاشترت وسارت في طريقها، وهو أيضا سار في طريقه، طريق آخر، بيد أنه سرعان ما استجمع شجاعته ولحق بها، وسالها فيما إذا كان بالإمكان التحدث معها؟ فوافقت بابتسامة، قدمت نفسها إليه على أن اسمها ساندي، وقالت أنها يهودية من فيلادلفيا، وتعمل في مجال التجميل وتقوم بجولة في أوروبا.

بدا فعنونو في تلك الآونة مرتابا وكثير الشكوك، فقد مضت الأيام الأخيرة بشكل صعب بالنسبة لـه، حيـث أخـذه مسؤولو الساندي تايمز من استجواب لاستجواب، وأرجأوا موعد نشر قصته. ازدادت مخاوفه من عمـلاء الموسـاد الإسرائيليـين، خصوصا وأن مسؤولو الصحيفة قرروا التوجه إلى السفارة الإسرائيلية في لندن طلبا للتعقيب على القصة التي يعتزمون نشرها، وقالوا له: بوصف الصحيفة صحيفة محترمة فإن من واجبها طلب التعقيب من الطرف الآخر، لكن أقوالهم لم تقنعـه، وشـعر بالغضب والعزلة وضيق النفس.

سأل فعنونو ساندي: هل أنت من الموساد؟ فقالت: لا، ما هو الموساد؟ وسألته عن اسـمه؟ فقـال: جـورج، وكـان هذا هو الإسم الذي سجله في الفندق الذي ينزل فيه.

وعندما جلس الاثنان في مقهى حكى لها حكايته وحكاية الساندي تايمز والصعوبات التي يواجهها مـع الصـحيفة، اقترحت عليه ساندي أن يأتي معها فورا إلى نيويورك حيث ستجد له هناك صحيفة محترمة وصحفيين متميزين، لكنـه لم يكـن يصغي لما تقوله، لقد أحبها من النظرة الأولى.

التقى فعنونو مع ساندي في الأيام التالية عدة مرات، ويقول: إن تلك الأيام كانت أجمل أيام حياتـه، فقـد تنزهـا في الأسواق وكل منهما يمسك يد الآخر، وشاهدوا أفلاما، وحفلة موسيقية، وتبادلا القبلات والعناق. لقد منحته ساندي القبلات والعناق ولم يتعدى الامر اكثر من ذلك ، فقد قالت له أنها لا تستطيع دعوته إلى غرفتها في الفندق لإنهـا تتقاسـم الغرفـة مـع صديقة، ورفضت القدوم إلى غرفته في الفندق، وقالت له: "أنت عصبي ومتوتر، لذا لن تسير الأمـور عـلى مـا يـرام في لنـدن". وقالت فجأة:" لماذا لا تسافر معي إلى روما؟ لدي شقيقة هناك ولديها شقة، يمكننا أن نسكن فيهـا، كـما أنـك ستنسىـ التـوتر الذي تعيشه هنا".

رفض فعنونو في البداية العرض، بيد أنها كانت عازمة على السفر إلى روما، واشترت تذكرة طـائرة، وعنـدما اقتنـع اشترت له تذكرة وقالت له: "ستعيد لي ثمن التذكرة فيما بعد". وهكذا قبل، ولا شك أنه لو كان أذكى من ذلك لأدرك فـورا أنـه وقع فيما يسمونه في لغة المخابرات "مصيدة العسل"، أي مصيدة المرأة. لقد أحبته امرأة فجأة في الطريق، وأبـدت اسـتعدادا لفعل كل شيء من أجله، بما فيها أن تأخذه لشقة شقيقتها في روما، وأن تشتري له تذكرة طائرة رغم أنها بالكاد عرفته، وهـي ترفض معاشرته في لندن، بيد أنها تعد بفعل ذلك في روما.

إن مثل هذه القصة كانت ستبدو لأي شخص منطقي غير معقولة، بل ومضحكة، لكن الأطباء النفسيين التابعين للموساد قاموا هذه المرة بعمل جيد، فقد أدركوا ما الذي يحتاجه فعنونو، وأدركوا أنه لن يرى موطئ قدمه حينما سيقع في المصيدة.

لم يكن بيتر هونام العامل في صحيفة الساندي تايمز في يوم من الأيام ساذجا، وعندما سمع من فعنونو عن ساندي ثارت شكوكه، وبذل كل ما بوسعه من أجل إقناعه بعدم الالتقاء بها مرة أخرى، بيد أن جهوده ذهبت أدراج الرياح. لقد ابتلع فعنونو الطعم، ولم تكن هناك قوة قادرة على إبعاده عن ساندي.

قام فعونو بأخذ هونام ذات مرة للقاء مع ساندي، وقد ألقى الصحفي نظرة خاطفة على الفتاة، وهو الأمر الذي مكن الصحيفة فيما بعد من رسم صورة لها ونشرها، وعندما علم أن فعنونو ينوي مغادرة لندن لمدة يومين بصحبة ساندي بذل قصارى جهده لإثنائه عن نيته دون جدوى، وحذر فعنونو من الخروج من لندن ومن إبقاء جواز سفره في أيدي موظفي الفندق. لم يتخيل هونام أن فعنونو سيسافر إلى روما فقط من أجل معاشرة صديقته.

إن السبب في إصرار ساندي على السفر إلى روما يرجع لأن رئيس الحكومة الإسرائيلي شمعون بيرس لم يرغب في أن يقوم الموساد باختطاف فعنونو في لندن ومن ثم يتورط مع رئيسة الحكومة البريطانية مارجريت تاتشر، وكذلك الموساد شعر أن الأراضي البريطانية صعبة للعمل، فقبل بضعة أشهر عثر الألمان في إحدى غرف الهواتف العامة على حقيبة وفيها ثمانية جوازات سفر بريطانية مزورة، كما عثروا في الحقيبة على أوراق تشير إلى أن صاحب الحقيبة ذو علاقة بالسفارة الإسرائيلية، الأمر الذي أثار غضبا عارما في بريطانيا، وتعهد الموساد بعدم القيام بأي عمل يمس بالسيادة البريطانية، لذا لم يكن الموساد ليسمح لنفسه باختطاف فعنونو على الأراضي البريطانية.

وبناء على ذلك طرحت فكرة روما. كانت العلاقات بين المخابرات الإسرائيلية والإيطالية وطيدة للغاية، و كان ناحوم أدموني والأدميرال بولبيو مرتيني رئيس المخابرات الإيطالية أصدقاء شخصيين، لذا بدت روما مكانا مريحا لعمل الموساد، أضف إلى ذلك أن الفوضى التي تدب في إيطاليا ستحول دون تمكن الإيطاليين من معرفة أن فعنونو اختطف على أراضيهم.

صعد مردخاي وساندي في الثلاثين من أيلول 1986 إلى الرحلة رقـم 504 المتجهـة إلى رومـا، وهبطـت الطـائرة في الساعة التاسعة مساء. وفي المطار كان بانتظرهما إيطالي كثير الابتسام وهو يحمل باقة ورد، وقادهما بسيارته إلى شقة شقيقة ساندي.

توقفت السيارة بجوار منزل صغير، وفتحت الباب لهما فتاة، ودخل فعنونو إلى البيـت أولا، وفجـأة أغلـق البـاب من ورائه وهاجمه رجلان وضرباه وأسقطاه أرضا، وبينما كانا يقومان بشد وثاقه قامت الفتاة التي فتحت الباب بحقنه بمادة مخدرة. ولم تمض ساعة منذ وصوله حتى كان فعنونو في سيارة تجارية صغيرة تنطلق به شمالا. سارت السيارة ساعات طويلة، وكان الرجلان اللذان هاجماه يسافران معه، وكذلك الفتاة التي قامت بحقنه مرة أخرى كي يواصل غفوتـه، أمـا سـاندي فقـد اختفت.

وصلت السيارة إلى ميناء "لا سفتسية"، حيث رفع فعنونو على نقالـة مـرضى إلى زورق سريـع وحـديث والـذي انطلق به إلى عرض البحر باتجاه سفينة شحن إسرائيلية كانت ترسو هناك، ويقال ان اسم السـفينة كـان "تبـوز" أو "نوجـه"، وعندما وصل إليها الزورق قام الرجلان ومعهما الفتاة بحمل النقالة على سلم حبال إلى قلب السفينة ووضعوه في قمرة نائب الربان، وأغلقا الباب عليه، وحينها انطلقت السفينة في طريقها باتجاه إسرائيل.

وفي أحد الأيام اقتحم أحد البحارة مكان استراحة زملائه وهو يصرخ قائلا: توجد امرأة عـلى مـتن السـفينة، لكـن زملاءه ظنوا أنه يهذي، وسرعان ما تأكدوا أن هناك حقا امرأة على متن السـفينة، امـرأة كانـت تـأمر وتنهـي وتتعامـل معهـم بجلافة، ويقول البحارة: إن المرأة هي ساندي، لكنهم في الحقيقة مخطئون، فالمرأة التي رأوهـا هـي تلـك التـي كانـت تحقـن فعنونو بالمخدر، ولا شك أن ساندي غادرت روما في اللحظة التي سلمت فيها فعنونو إلى الموساد.

رست السفينة على بعد قليل من السواحل الإسرائيلية، وتم نقل فعنونو إلى زورق صواريخ إسرائيلي، حيث وجـد على متنه رجال شرطة ورجال من جهاز الأمن العام، والذين قاموا باعتقاله رسميا، ونقله إلى سجن شكما في عسقلان.

عرف فعنونو أن الساندي تايمز نشرت قصـته وصـوره بيـنما كـان موثوقـا عـلى السـفينة في طريقـه إلى إسرئيـل، وكشفت الساندي تايمز النقاب عن أن كل ما قيل عن قوة إسرائيل النووية في السابق لم يكن صحيحا، لقـد قيـل أن بحوزتهـا عشر أو عشرين قنبلة نووية بدائية، بيد أن الصور

والمستندات التي جلبها فعنونو تؤكد على أن إسرائيل هي دولة عظمى نووية، وأن بحوزتها عددا من القنابل يتراوح ما بين 150-200 قنبلة مع مقدرة لتطوير قنابل هيدروجينية ونيترون

لم تتمكن أية جهة من معرفة ما حدث لفعنونو طيلة أربعين يوما، وسادت الكثير من الشائعات التي تقول أن الموساد اختطفه في لندن، وتحدثت بعض الروايات عن فتاة، وعن إبحاره معها إلى عرض البحر حيث كانت هناك سفينة حربية إسرائيلية بانتظاره فنقلته إلى إسرائيل، مما أثار ثائرة البريطانيين وطالبوا بإجراء تحقيق في القضية واتخاذ خطوات ضد إسرائيل.

نقل فعنونو لتمديد فترة اعتقاله في منتصف شهر تشرين الثاني، ثم جلبوه مرة أخرى لتمديد فترة اعتقاله، وقد قرر القيام بخطوة يخدع بها حراسه ونجح في ذلك، لقد درس أين ينتظره الصحفيون في كل مرة يأخذونه لتمديد فترة اعتقاله، وانتظر حتى تتوقف سيارة الشرطة التي تقله أمام الصحفيين والمصورين وفجأة ألصق كف يده إلى نافذة السيارة مما أتاح للصحفيين أن يقرأوا بوضوح ما كتبه على كف يده بالإنجليزية: "مردخاي فعنونو اختطف في روما إيطاليا الساعة التاسعة بتاريخ 30\9\1986، ووصل إلى روما على الرحلة الجوية لشركة بريتش إيرفيز 504".

أدانت المحكمة فعنونو بالتجسس الخطير والخيانة، ومساعدة العدو في حالة الحرب وحكم عليه بالسجن لمدة ثماني عشرة سنة، منها إحدى عشرة سنة في سجن انفرادي تماما.

الفصل الثاني والعشرون

----

*الموساد زرع برنامج "حصان طروادة" في حاسوب موظف سوري رفيع وهو برنامج تجسس يمكن الجهة التي زرعته من تتبع كل ما يدخل أو يخرج من الحاسوب ونسخ ما يريد منه.

* الموساد حصل من الحاسوب على معلومات لا تقدر بالذهب وكشف ولأول مرة البرنامج النووي السوري السري بتمويل ايراني ومساعدة كورية .

* الموساد اكتشف في الحاسوب برنامجا لبناء مفاعل نووي في منطقة دير الزور والمراسلات مع جهات في الحكومة الكورية الشمالية وصورا للمفاعل وهو يبدو مغطى بالباطون.

* نائب وزير الدفاع الإيراني الفار اكد للاميركان ان إيران تعمل لدفع سورية على بناء مفاعل وقدم معلومات حول وضع المفاعل .

* إسرائيل قامت بإدخال مقاتلين من وحدة "شلداغ" إلى منطقة دير الزور من أجل وضع علامات بالليزر على الأهداف كي تراها الطائرات وقامت 7 طائرات بتدمير المفاعل.

قصف المفاعل السوري

"مقاتلو وحدة شلداغ وضعوا علامات بالليزر على الأهداف".

نزل أحد نزلاء فندق كبير في كنسينجتون في لندن في نهاية تموز2007 من غرفته في ساعات المساء، وتوجه نحو الباب حيث كانت هناك سيارة بانتظاره. كان الرجل موظفا سوريا رفيع المستوى، وقد وصل قبل وقت قصير من دمشق، وسارع إلى وسط المدينة لإجراء مقابلة.

وفي اللحظة التي غادر فيها الفندق توجه رجلان كانا يجلسان في قاعة استقبال الفندق وصعدا إلى غرفته وفتحا الباب بمفاتيح مزورة، وفتشوها بصورة مهنية محترفة، بيد أنهما لم يكونا في حاجة لبذل الكثير من الجهد، فقد كان حاسوب النزيل المتحرك موضوعا على طاولة الكتابة. وحينها قام الاثنان بتركيب برنامج "حصان طروادة" في الحاسوب – وهو برنامج تجسس يدخل إلى الحاسوب بابا خلفيا، ويمكن الجهة التي زرعته من تتبع كل ما يدخل أو يخرج من الحاسوب، ونسخ ما يريد منه، وبعد بضع دقائق غادر الاثنان الغرفة. وهكذا بدأت قصة المفاعل النووي السوري السري بناء على ما نشر في أنحاء العالم. ومما نشر يتضح التالي:

حصل الموساد من الحاسوب على معلومات لا تقدر بالذهب وكشف ولأول مرة البرنامج النووي السوري السري. كان ماعثر عليه الموساد في الحاسوب مذهلا: برنامج لبناء مفاعل نووي في منطقة دير الزور، المراسلات مع جهات في الحكومة الكورية الشمالية وصور للمفاعل وهو يبدو مغطى بالباطون، وبدا في صور أخرى شخص آسيوي تم التعرف عليه بوصفه أحد كبار مسؤولي البرنامج النووي في كوريا الشمالية، والآخر عربي والذي عرف فيما بعد أنه إبراهيم عثمان رئيس لجنة الطاقة النووية السورية.

كانت الأدلة قاطعة، وقد جاءت لتستكمل معلومات أخرى بدأت تتراكم خلال السنتين 2006 -2007 لدى الموساد الإسرائيلي وتفيد إن حكومة سوريا بنت بصورة سرية تامة مفاعلا نوويا في منطقة صحراوية في دير الزور شمال شرق سورية. والموقع المعزول موجود بالقرب من الحدود التركية وعلى بعد 160 كيلومترا من الحدود العراقية السورية. بدا أن أحد أكثر

المعلومات المفاجئة بالنسبة للمفاعل هي أنه تم بناؤه بتمويل إيراني وبمساعدة خبراء من كوريا الشمالية.

بدأت العلاقة بين سورية وكوريا الشماية خلال الزيارة التي قام بها رئيس الحكومة الكورية لسورية بناء على دعوة من الرئيس حافظ الأسد قبل اندلاع حرب الخليج. وتم التوقيع على اتفاقية تعاون عسكري وتكنولوجي بين الدولتين. ورغم أن المسألة النووية طرحت إلا أن الرئيس الأسد قرر وضعها جانبا والاكتفاء بتطوير أسلحة كيميائية وبيولوجية، وجمد خطة شراء مفاعلات من روسيا.

وصلت إلى سورية في شباط 1991 أول إرسالية صواريخ من كوريا الشمالية، وقد رفض وزير الدفاع موشيه آرنس القيام بعملية توقف الإرسالية كي لا يتسبب بحدوث أزمة في المنطقة. وعلى هامش جنازة والده اجتمع بشار الأسد مع أعضاء الوفد الكوري الشمالي، وبدأ الطرفان بصورة سرية يتحدثان عن المشروع النووي السوري مع "الوكالة السورية للأبحاث العلمية".

عقد لقاء سري في تموز2002 في دمشق بين ممثلين سوريين وإيرانيين وكوريين، تم خلاله الاتفاق على الصفقة الثلاثية حيث التزم الممثل الإيراني بتمويل تكلفة المفاعل والبالغة حوالي ملياري دولار. واتضح أن الأميركيين والإسرائيليين لم يكونوا على علم طيلة خمس سنوات بان السوريين يبنون سرا مفاعلا نوويا.

لقد أضيئت خلال هذه السنوات عدة أضواء حمراء، لكن أية جهة استخبارية لم تلاحظها، حيث أن المخابرات الأميركية لم تفسر المعلومات التي وصلت إليها بصورة صحيحة، في حين أن الموساد وشعبة الاستخبارات العسكرية كانا يعتقدان أن سورية لا تملك المقدرة بل وليست مهتمة بالحصول على أسلحة نووية، لذا لم تهتم أية جهة بالبحث عن معلومات توضح الحقيقة. لقد كانت الدلائل بارزة بشكل خاص، ففي عام 2005 غرقت السفينة أندوره أمام سواحل نهارية إبان توجهها من كوريا الشمالية إلى سورية وهي تحمل أسمنتا وطاقم بحارة سوريا ومصريا. وفي عام 2006 ضبطت السلطات القبرصية سفينة شحن من كوريا الشمالية ترفع علم بنما وتبحر باتجاه سوريا وهي تحمل أسمنت إضافة إلى جهاز رادار متحركا. وفي نهاية 2006

زار سورية خبراء نوويون إيرانيون لفحص تقدم بناء المفاعل عن كثب، وقد شاهد الأميركيـون والإسرائيليـون كل هذه الدلالات لكنهم لم يفهموا أن الأمر يتعلق بعملية بناء مفاعل.

استخدم السوريون أسلوبا لتخدير إسرائيل والولايات المتحدة: فقد فرضـوا حظـر اتصـالات تـام عـلى جميـع عمال وموظفي المفاعل، وحظروا على الجميع حمل هواتف نقالة، أو اسـتخدام أيـة هواتـف تعمـل بـالأقمار الصـناعية، وجرت جميع الاتصالات بواسطة رسل كانوا يقومون بنقل البيانات والرسائل المطلوبة. ولم تتمكن أية جهة مـن اكتشـاف العمل في الموقع رغم أن أقمار التجسس الأميركية والإسرائيلية كانت تلتقط الصور دون أي توقـف. وفجـأة وقـع حـادث أذهل إسرائيل والولايات المتحدة في آن واحد.

في السابع من شباط 2007 قدم الجنرال الإيراني علي رضا عسكري من طهران إلى دمشق – أحد قـادة حـرس الثورة الإيرانية سابقا ونائب وزير الدفاع الإيراني. وقد بقي في دمشق حتى تأكد من أن عائلته أصبحت في طريقها خارج إيران، وحينها واصل طريقه إلى تركيا. وفي اسطنبول اختفت آثاره. وبعد حوالي شهر اتضح أن عسـكري فـر إلى الغـرب في عملية قامت بالتخطيط لها وكالة المخابرات الأميركية بالتعاون مع إسرائيل. وقد تم استجوابه في إحدى القواعد الأميركية في أوروبا – على ما يبدو في ألمانيا- وهو الذي كشـف النقـاب للأميركيـين عـن أحـد أهـم أسرار سـورية وإيـران. كشـف العلاقة الثلاثية بين إيران وسورية وكوريا الشمالية. وقال: إن إيران تعمل لدفع سورية عـلى بنـاء مفاعـل نـووي في ديـر الزور، وقدم معلومات أخرى حول وضع المفاعل وعن المسؤولين الإيرانيين الذين يساعدون ويقدمون المشورة للسوريين.

أدخلت هذه المعلومات سورية في حالة استعداد عملية، وبدأ الموساد يخصص طاقة وميزانيـات للتأكـد مـن التفاصيل التي قدمها الجنرال الإيراني. وقام رئيس الحكومة أهود أولمرت بعقد اجتماع لأذرع الأمن لنقـاش الأمـر، حيـث تم بلورة اتفاق حول ضرورة العمل على وجه السرعة للحصول على أدلة موثوقة لوجود المفاعل. كان واضحا للجميـع أن إسرائيل لا تستطيع التسليم بأن تصبح سورية – العدو الأول لاسرائيل- دولة نووية.

نجح مسؤولو الموساد وشعبة الاستخبارات العسكرية في غضون بضعة أشهر في الحصول على الأدلة القاطعـة بوجود المفاعل ووضعوها على مكتب رئيس الحكومة. وبعد خمسة

أشهر من فرار عسكري طرأ تحول على التحقيق حينما تم اكتشاف المواد في حاسوب المسؤول السوري إبان زيارته للندن.

تمكن الموساد من إحراز المزيد من النجاح، فقد جند أحد عمال المفاعل بطرق ملتوية والذي قام بالتقاط الكثير من الصور وفيلم فيديو داخل المبنى الآخذ في الاكتمال. وقد شملت المادة صورا للمفاعل تم التقاطها من الأرض والتي بدا فيها بوضوح مبنى إسطواني ذو جدران دقيقة ومدعومة جيدا كما بدا في الصورة الدعائم التي أقيمت من أجل تعزيز جدران المبنى. وأبدت صور أخرى مبنى آخر أصغر من الأول وفيه الكثير من مضخات الوقود وحولها شاحنات. وبالقرب منهم كان هناك مبنى ثالث، وحسب رأي الخبراء فإن هذا المبنى كان المبنى الذي يوفر المياه المطلوبة لتفعيل المفاعل النووي.

حرصت إسرائيل على إطلاع الأميركيين على جميع المعلومات بصورة فورية، بما فيها صور الأقمار الصناعية المحسنة وعمليات التنصت التي جرت للمحادثات بين كوريا الشمالية ودمشق.

وتحت وطأة ضغط إسرائيل استخدمت الولايات المتحدة أقمارها الصناعية للتجسس، وسرعان ما تراكمت المعلومات من الصور التي التقطتها التجهيزت الألكترونية والتي أكدت أن السوريين لا زالوا يواصلون بناء مفاعلهم النووي بوتيرة سريعة. وفي حزيران 2007 سافر رئيس الحكومة أولمرت إلى الولايات المتحدة حاملا المادة بكاملها، وفي نهاية الحديث المطول الذي أجراه مع الرئيس الأميركي بوش أعلمه أنه يعتزم مهاجمة المفاعل. تردد الأميركيون، لكن إسرائيل طالبت بتوجيه ضربة عسكرية إلى المفاعل لكن الأميركيين رفضوا.

وتفيد مصادر أميركية موثوقة أن البيت الأبيض قرر في نهاية المطاف أنه يفضل عدم المهاجمة. وقد حاولت وزيرة الخارجية الأميركية كونداليزا رايس ووزير الدفاع روبرت جيتس إقناع الإسرائيليين "بمواجهة السوريين لكن عدم مهاجمتهم". أما الرئيس بوش ومستشار الأمن القومي ستيف هدلي فأعربا عن تأييدهما المبدئي للقيام بعملية عسكرية، لكنهما طلبا إرجاء العملية لإجراء فحوص أخرى.

قامت الطائرات الإسرائيلية خلال شهر تموز 2007 بطلعات جوية فوق الموقع، وحصلت من قمر التجسس "أوفق – 7" على صور للنشاطات الجارية في المفاعل. وقام الخبراء الأميركيون والإسرائيليون بتحليل الصور وأكدوا أن سورية تقوم ببناء مفاعل نووي بناء على النموذج الكوري الشمالي "بيونج بيون". وقد توصل الخبراء إلى استنتاج مفاده أن المفاعلين متماثلان. وأكدت صور الفيديو الأرضية التي التقطتها إسرائيل للمفاعل أن بؤرة المفاعلين متماثلة بما فيها مخطط وضع قضبان اليورانيوم في الثقوب القائمة في قلب المفاعل. بل لقد أبدت صورة الفيديو صورا لوجوه العمال الكوريين العاملين في المفاعل. وفي نفس الوقت قامت وحدة التنصت العسكرية الإسرائيلية 8200 بتزويد الأميركيين بتسجيل بين علماء سوريين وخبراء كوريين. ورغم كل ذلك كان الأميركيون يريدون أدلة قاطعة أكثر على أن المبنى سيستخدم مفاعلا نوويا وأن المواد النووية موجودة فعلا في المكان. وقررت إسرائيل توفير المطلب الإميركي.

وفي آب 2007 وفرت إسرائيل الجواب الشافي للمطلب الأميركي، وأثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن السوريين يبنون حقا مفاعلا نوويا في دير الزور. وقد جلب هذا الدليل جنود دورية استطلاع هيئة الأركان، والذين توجهوا في إحدى ليالي آب بطائرتين عموديتين إلى منطقة المفاعل، ولم تشعر بهم أية جهة حينما هبطت طائراتهم بالقرب من دير الزور، وباستخدام آلات ثقيلة أخذوا عينات من الأرض كانت فيها آثار المواد الإشعاعية. كانت هذه العينات بمثابة دليل قاطع على وجود مواد نووية في المكان الذي اعد من أجل هذا الهدف.

نقلت المواد الجديدة على وجه السرعة إلى مستشار الأمن القومي الأميركي ستيف هدلي والذي بدا شديد الذهول، وسارع لاستدعاء خيرة الخبراء من أجل استخلاص العبر اللازمة وإعلام الرئيس الأميركي بالنتائج خلال جلسة الصباح اليومية. وفي أعقاب فحص الخبراء اقتنع هدلي بأن القضية جدية للغاية. وقام بإجراء محادثات مطولة مع رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية والموساد، مما أوصله إلى قرار قاطع ينص على أن المفاعل يشكل تهديدا حقيقيا. لقد اقتنعت الولايات المتحدة بضرورة تدمير المفاعل، وقد أطلق الأميركيون على ملفهم الخاص بالمفاعل النووي السوري اسم "البستان".

وأفادت صحيفة ساندي تايمز أن رئيس الحكومة أولمرت عقد اجتماعا لوزير الدفاع أهود باراك ووزيرة الخارجية تسيفي ليبني وبحضور رؤساء الأجهزة الأمنية ناقشوا المعطيات والأبعاد المرتقبة على العملية العسكرية ضد سورية. وفي أعقاب النقاش المطول قرروا تدمير المفاعل، وقام أولمرت بإعلام رئيس المعارضة نتنياهو بالقرار. وتم تحديد موعد العملية في الخامس من أيلول 2007.

أفادت صحيفة ساندي تايمز ان إسرائيل قامت في الرابع من أيلول بإدخال مقاتلين من وحدة "شلداغ" إلى منطقة دير الزور من أجل وضع علامات بالليزر على الأهداف كي تراها الطائرات. وفي الخامس من أيلول انطلقت عشر طائرات في الساعة الحادية عشرة ليلا من قاعدة سلاح الجو في رمات ديفيد باتجاه البحر المتوسط وبعد نصف ساعة تلقت ثلاث طائرات منها أمرا بالعودة إلى القاعدة. أما الطائرات السبعة الأخرى –وهي من طراز أف – 15- فتلقت أمرا بمواصلة التحليق باتجاه الحدود السورية التركية،ومن هناك تسللت باتجاه المفاعل النووي. وفي الطريق إلى المفاعل قامت الطائرات بقصف رادار من أجل تشويش المقدرة السورية لاكتشاف تسلل الطائرات. ولم تكد تمضي دقائق معدودة حتى كانت الطائرات فوق دير الزور، وعن بعد متفق عليه مسبقا أطلقت باتجاه المفاعل صواريخ من طراز "مافريك" جو – أرض وقنابل تبلغ زنتها نصف طن ، والتي أصابت الهدف بدقة بالغة، وهكذا وفي غضون دقائق معدودة تم تدمير المفاعل السوري النووي والذي كان يمكن أن يطور قنابل نووية تهدد الوجود الإسرائيلي.

خشيت إسرائيل من الرد السوري على قصف المفاعل لذا سارع رئيس الحكومة أولمرت للاتصال برئيس الحكومة التركية أردوغان وطلب منه نقل رسالة إلى الرئيس السوري تقول: إن إسرائيل لا تتجه نحو الحرب.

سادت حالة إحباط شديدة في صبيحة اليوم التالي في دمشق، واتسم ردهم في البداية بالصمت التام، ولم يعلنوا عن الهجوم إلا في الساعة الثالثة بعد الظهر، حيث أفادت وكالة الأنباء السورية أن طائرات إسرائيلية تسللت في حوالي الساعة الواحدة ليلا إلى المجال الجوي السوري، وقد تمكن سلاح الجو السوري من إرغامها على الانسحاب بعد أن ألقت ذخائرها في المنطقة الصحراوية، ولم تقع أضرار او إصابات.

بدأت وسائل الإعلام في أعقاب القصف بـالاهتمام بكيفيـة تمكـن الموسـاد الإسرائـيلي مـن التسـلل إلى قلـب المفاعل النووي؟ وأفادت شبكة التليفزيون الأميركية إيه.بي.سي أنه كان لدى إسرائيل عميـل داخـل المفاعـل السـوري، أو أن الموساد نجح في تجنيد أحد عمال المفاعل والذي قام بنقل صور حديثة إليه عن الموقع.

أعلنت الإدارة الأميركية خلال شهر نيسان 2008- أي بعد سبعة أشهر من قصـف المفاعـل- أن المنشـأة التـي تم قصفها في سورية هي مفاعل نووي تم بناؤه بمساعدة كوريا الشمالية، وأن المفاعل لم يكن مخصصا للشؤون السلمية. وقام مسؤولو أجهزة الأمن الأميركيون بعرض أدلة تشمل العديـد مـن الصـور أمـام أعضـاء الكـونجرس والتـي تـدل عـلى التشابه الكبير جدا ما بين المفاعل الكوري الشمالي والمفاعل السوري، وكذلك صور أقمار صناعة ورسومات للمفاعل. كـما شاهد أعضاء الكونجرس صورا مذهلة قام عميل إسرائيلي بتصويرها داخل المفاعل السوري.

حافظت إسرائيل على صمتها التام طيلة أسبوعين، لم تعترف خلالها بقصـف المفاعـل، لكـن بنيـامين نتنيـاهو رئيس المعارضة أجرى مقابلة مع التليفزيون الإسرائيلي، وفي رده على سؤال للمراسل قال: عندما تعمل الحكومة من أجل أمن إسرائيل فإنني أدعمها، لقد كنت شريكا في هذه القضية منذ اللحظة الأولى وقدمت الدعم اللازم لها.

رد مقربو أولمرت على هذه التصريحات بغضب: "نشعر بالدهشة البالغة جراء ما قاله هذا الرجل، إنه عديم المسؤولية والتفكير، هذا هو نتنياهو الحقيقي".

الفصل الثالث والعشرون

----

* الجنرال سليمان هو كبير مساعدي الرئيس السوري بشار الأسد للشؤون العسكرية والأمنية والمسؤول عن إقامة المفاعل النووي وعن حمايته.

* الرئيس بشار كلف سليمان بالعديد من المهام المركزية في المجالات الأمنية الحساسة وأصبح أخطبوطا متعدد الأذرع وقادرا على الوصول إلى كل مكان.

* سليمان قام بدور ضابط الاتصال بين الرئيس بشار والجيش والمخابرات الإيرانية في كل ما يتعلق بالعمليات السرية التي تقوم بها الدولتان بالتعاون مع المنظمات الإرهابية في المنطقة.

*الموساد اغتال سليمان وسط ضيوفه عبر قناصين كمنا في البحر حتى تعرفا على الجنرال وقنصاه.

من اغتال سليمان؟

دوت أصداء العيار الناري الأخير الذي أطلق على المفاعل النووي السوري بعد أحد عشر شهرا، في الثاني من آب 2008. ففي مساء ذلك اليوم أقيم حفل عشاء مرح على شرفة بيت فاخر في حي الرمال الذهبية الواقع شمالي مدينة طرطوس السورية. كان المنزل ملاصقا للبحر مما جعله يطل على منظر طبيعي رائع للغاية. كانت الشرفة تطل على البحر مباشرة وتعتبر بمثابة مهرب آمن من الرطوبة العالية لشهر آب. مرت النسمات الباردة فخففت من حدة حرارة شهر آب الشديدة. كان الضيوف من أصدقاء صاحب المنزل المقربين، وصاحب المنزل هو الجنرال محمد سليمان الذي قدم إلى المنزل في إجازة نهاية الأسبوع.

يعتبر سليمان بمثابة كبير مساعدي الرئيس السوري بشار الأسد للشؤون العسكرية والأمنية، فقد كان مسؤولا عن إقامة المفاعل النووي وعن حمايته. وكانت الأوساط السورية تعتبره ظل الرئيس السوري، فمكتبه يقوم في القصر الرئاسي ملاصقا لمكتب الرئيس، ولم يكن معروفا إلا لقلة قليلة في سورية وخارجها. لم يكن اسمه يذكر في وسائل الإعلام، بيد أن الموساد ووكالات الاستخبارات الغربية عرفته وعرفت الأعمال التي يقوم بها.

تخرج محمد سليمان الذي يناهز السابعة والأربعين من كلية الهندسة في دمشق، وهناك أصبح صديقا لباسل الأسد ابن الرئيس حافظ الأسد وشقيق بشار الأكبر. وفي أعقاب وفاة باسل في حادثة طرق حرص الأسد على تقريب سليمان إليه وإلى وريثه بشار. وفي عام 2000 توفي الرئيس حافظ واختير بشار خلفا له. وحال تسلمه السلطة حول الرئيس الجديد سليمان إلى كاتم أسراره ومستشاره المقرب. وبمضي السنين أصبحت قوة سليمان السياسية، وكلفه الرئيس بشار بالعديد من المهام المركزية في المجالات الأمنية الحساسة، وأصبح أخطبوطا متعدد الأذرع وقادرا على الوصول إلى كل مكان. كان سليمان بمثابة رجل الأسد لدى الجيش والمخابرات السورية، ولم يكن هناك سر في المخابرات أو الجيش يخفى عنه. كما قام سليمان بدور ضابط الاتصال بين الرئيس بشار والجيش والمخابرات الإيرانية في كل ما يتعلق بالعمليات السرية التي تقوم بها الدولتان بالتعاون مع المنظمات الإرهابية في المنطقة. وقام بنفس الدور مع حزب الله.

وفي أعقاب انسحاب الجيش الإسرائيلي من لبنان توطدت العلاقات بين سليمان وحزب اللـه، وأصبح مسؤولا عن نقل الأسلحة لحزب اللـه وخصوصا الصواريخ بعيدة المدى.

ويذكر أن أحد الصواريخ التي أطلقت خلال الحرب اللبنانية الثانية أصاب مرآب القطار في حيفا وقتل ثمانية عمال هناك. كما نقل سليمان إلى حزب اللـه في الآونة الأخيرة صواريخ من صناعة سورية مضادة للطائرات، الأمر الذي هدد السيطرة الجوية الإسرائيلية في سماء لبنان.

وإضافة إلى كل هذه المهام، شغل سليمان مهمة خاصة: حيث كان عضوا في اللجنة السورية للأبحاث، التي تعكف على تطوير الصواريخ والأسلحة الكيميائية والبيولوجية وأبحاث التطوير النووي. وبناء على هذه المهمة فقد كان مسؤولا عن العلاقة مع كوريا الشمالية، وعن تحديد وتنسيق عملية نقل أجزاء المفاعل إلى سورية، كما كما مسؤولا عن الترتيبات الأمنية للعلماء والفنيين الكوريين الشماليين العاملين على بناء المفاعل.

كان قصف المفاعل النووي السوري بالنسبة لسليمان بمثابة ضربة صعبة للغاية بيد أنها لم تكن قاتلة، لذا وبعد أن تغلب على الصدمة الأولى بدأ يخطط لبناء مفاعل بديل لم يتم تحديد مكانه بعد. بيد أن مهمة سليمان كانت هذه المرة أكثر تعقيدا وصعوبة لأنه كان يعرف أنه بات الآن هدفا من أهداف المخابرات الإسرائيلية والأمريكية. وقبل الشروع في مهمته الجديدة أخذ سليمان إجازة لبضعة أيام وتوجه إلى منزله الصيفي في الرمال الذهبية، لقد فكر أن قضاء الوقت بهدوء مع أصدقائه وتناول الطعام هناك سيكون بمثابة علاج للتوتر الذي يعيشه.

راقب سليمان من مجلسه الأمواج وهي تنكسر على الشاطئ بكسل، لكنه لم ير الشخصين اللذين كنا يقفان داخل المياه السوداء على بعد مائة وخمسين مترا من الشرفة. لقد وصلا إلى هنا قاطعين مسافة طويلة عبر البحر، حيث نقلتهما سفينة وأنزلتهما على بعد كيلومترين من منزل سليمان،ومن هناك واصلا طريقهما غوصا حتى وصلا إلى بعد مائة وخمسين مترا من الشرفة.

والاثنان هما قناصان قديمان ولديهما تجربة واسعة في هذا المجال، ويتمتعان ببرود أعصاب غريب. وقد حملا سلاحيهما معهما في كيس لا تتسرب إليه المياه. وحال وصولهما إلى الشاطئ تعرفا فورا على المنزل، فقد كانت المعلومات التي تلقياها من مخابرات بلادهما دقيقة

للغاية. تفحص الاثنان المنزل والشرفة والجالسين بجوار الطاولة، وركزا أنظارهما على الهدف: الجنرال الذي جلس أمامهما بين ضيوفه.

اختبر القناصان في حوالي الساعة التاسعة مساء أجهزة توجيه البندقيتين والمسافة الفاصلة، وراقبا سليمان الذي جلس على مقعد على رأس الطاولة بين أصدقائه. كانت الطاولة مكتظة مما جعل القناصين يركزان موجه البندقية إلى رأس سليمان، وبقيا مختبئين في الماء.

فجأة أعطيت لهما الإشارة، فصعد الاثنان إلى الشاطئ واقتربا قليلا من البيت، ووجها البندقيتين وأطلقا النار في نفس اللحظة على سليمان. كانت الإصابة قاتلة، فقد اندفع رأسه في البداية إلى الخلف ثم انهار جسده كله فوق الطاولة. لم يفهم المتواجدون ما حدث، لأنهم لم يسمعوا أي صوت فقد كانت بندقيتي القناصين مزودتين بكاتم صوت. وعندما شاهدوا الدماء تتدفق من رأسه أدركوا أنه أصيب بعيارات نارية. حدثت ضجة على الشرفة مما أتاح الفرصة للقناصين للفرار من هناك بالطريقة التي أعدا لها مسبقا.

نشرت صحيفة ساندي تايمز رواية مختلفة بعض الشيء عن الرواية التي أوردناها أنفا، حيث قالت: أن القناصين هما من وحدة الكوماندو الإسرائيلية -13 وأنهما وصلا إلى طرطوس على متن يخت يملكه رجل أعمال إسرائيلي، ونفذا المهمة وغادرا المكان.

سادت حالة ذهول تامة في أوساط الجهاز الرسمي السوري. حافظت الحكومة السورية في البداية على صمتها ولم تتطرق إلى تقارير الاغتيال أبدا. كان الإحراج في دمشق كبيرا: كيف وصل المنفذون إلى شمال سورية، إلى طرطوس التي تبعد 220 كيلومترا عن دمشق؟ وكيف تمكنا من الفرار ؟ وهل هناك مكان في سورية يمكن لمسؤولي النظام السوري أن يشعروا فيه بعد ذلك أنهم آمنون؟

وبعد بضعة أيام نشرت وسائل الإعلام السورية نبأ غامضا جاء فيه: إن سورية تجري تحقيقات لمعرفة الفعلة".

الفصل الرابع والعشرون

*** عماد مغنية... رجل غامض يتحرك بين عواصم الشرق الأوسط ويفر من كاميرات التصوير ويرفض إجراء مقابلات صحفية.**

*** اتهمته اسرائيل واميركا بتنفيذ سلسلة من العمليات ضدهما وكان على راس قائمة المطلوبين لاميركا بل وحددت جائزة بقيمة خمسة ملايين دولار لكل من يساهم في القبض عليه.**

*** كان حارسا شخصيا لأبو إياد نائب أبوعمار والتحق بالقوة -17 ثم انتقل للعمل مع حزب الـلـه واجرى عدة عمليات تجميل لتغيير شكله مما دوخ الموساد والاجهزة الاستخبارية العالمية.**

*** الموساد أرسل عميلا للقيام بأعمال الرقابة والتصوير وجمع المعلومات عن الحي الذي سيزوره مغنية بما فيها الشقة التي سيجتمع فيها مع عشيقته وهكذا خطط لعملية اغتياله.**

نهاية عماد مغنية

"من شقة عشيقته السرية إلى السيارة المتفجرة"

أفادت وسائل الإعلام الإسرائيلية والأجنبية أن عدة أشخاص انتشروا في الثاني عشر من شباط 2008 حول شقة فاخرة في أحد الأحياء الراقية في دمشق. وفي ساعات المساء شاهدوا سيارة جيب ذات لون فضي من طراز "ميتسوبيشي بجيرو" تتوقف بجوار الشقة، وخرج منها شخص يرتدي بذلة سوداء ومعه كهل ذو ذقن ودخل إلى الشقة. ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن يصاحبه حراس.

سارع العملاء الذين كانوا يقفون في الشارع للاتصال بأجهزتهم للإعلان عن أن "الرجل" وصل إلى دمشق، وجاء إلى الشقة. كانوا يعرفون أن بانتظاره في الشقة عشيقته السرية نهاد حيدر، فتاة سورية جميلة في الثلاثين من العمر. حمل الرجل معه هدية لعشيقته التي احتفلت في ذلك الأسبوع بعيد ميلادها.

انفرد العاشقان سوية حتى ساعات المساء المتأخرة في الشقة الفاخرة التي وضعها تحت تصرفه رجل الأعمال رامي مخلوف ابن عم الرئيس السوري بشار الأسد.

غادر الرجل الشقة قبل الساعة العاشرة ليلا، وخرج من المبنى وركب سيارته الجيب، حيث كان في طريقه للقاء عمل في شقة محمية في حي كفر سوسه، حيث اعتاد الرجل إجراء مقابلاته فيها مع ممثلين إيرانيين وسوريين وفلسطينيين.

وأفادت صحيفة ساندي تايمز أن العملاء المراقبين كانوا يمسكون في أيديهم هواتف خليوية على شاشتها صورة للرجل للتأكد من أنه الرجل المقصود وليس غيره. وكانوا طيلة الوقت يرسلون التقارير إلى الموساد بما يجري.

عندما غادر الرجل الشقة التي اختلى فيها مع نهاد شاهده المراقبون وتأكدوا من أنه الرجل المطلوب وفقا للصورة الموجودة على شاشات هواتفهم ، وسارعوا لإعلام زملائهم وقيادة الموساد في تل أبيب، مما وضع الجميع في حالة استعداد قصوى للتنفيذ. اجتمع رؤساء الموساد

الموجودون في قيادة الموساد في تل أبيب في غرفة مائير دجان رئيس الموساد من أجل متابعة ما يحدث عن كثب.

أدار الرجل سيارته الجيب الميتسوبيشي، وحينها همس أحد المراقبين في جهاز الإرسال:"إنه في الطريق". أفادت الصحف البريطانية أن الرجل الذي كان في الجيب الميتسوبيشي هو عماد مغنية، وتطرقت إلى العمليات التي نفذها هذا الرجل والدماء التي تركها خلفه.

الخامس عشر من تشرين الثاني 2001:

وزعت المباحث الفدرالية الأميركية في أعقاب عمليات برجي التوأم صورا كبيرة ومعها قائمة بأسماء الإرهابيين المطلوبين في العالم. وقد اشتملت القائمة على اثنين وعشرين اسما واثنين وعشرين صورة. وعلى رأس هذه القائمة اسم خصصت جائزة لمن يسهم في القبض عليه بقيمة خمسة ملايين دولار، واسمه عماد مغنية. ووراء اسمه ذكرت سلسلة من العمليات التي قام بها والتي تركت وراءها بحرا من الدماء:

18 نيسان 1983: تفجير سفارة الولايات المتحدة في بيروت والذي أسفر عن سقوط 63 قتيلا.

23 تشرين الأول 1983: تفجير قيادة مشاة البحرية الأميركية في بيروت والذي أسفر عن مقتل 241 أميركيا.

23 تشرين الأول 1983: تفجير قيادة المظليين الفرنسيين في بيروت مما أسفر عن مقتل 58 شخصا.

هذا إضافة إلى عمليات اختطاف وقتل وليام باكلي أحد رجال وكالة المخابرات الأميركية . وسلسلة من العمليات في السفارة الأميركية في الكويت. اختطاف طائرة مسافرين تابعة لشركة تي.بليو.غيه الأميركية وطائرتين تابعتين للشركة الكويتية. قتل ضابط برتبة عقيد يدعى هيجنس من قوات المراقبين التابعة للأمم المتحدة في جنوب لبنان. قتل عشرات الأميركيين في السعودية.

وعندما وصلت هذه القائمة إلى إسرائيل أضاف إليها الموساد قائمته على النحو التالي:

4 تشرين الثاني 1983 : تفجير قيادة الجيش الإسرائيلي في صور مما أدى إلى قتل ستين إسرائيليا.

10 آذار 1985: مهاجمة قافلة عسكرية إسرائيلية بالقرب من المطلة، مما أسفر عن سقوط اثني عشر قتيلا.

19 تشرين الأول 1988: مهاجمة قافلة قادة الجيش الإسر ائيلي بالقرب من المطلة مما أدى إلى مقتل ثمانية أشخاص.

17 آذار 1992 : تفجير سفارة إسرائيل في الأرجنتين، مما أسفر عن مقتل تسعة وعشرين شخصا.

18 تموز 1994: تفجير مبنى الجالية اليهودية في بوينس أيرس مما أسفر عن 86 قتيلا.

اختطاف ثلاثة جنود في منطقة جبل دوف. اختطاف العقيد الحنان تننباوم. تنفيذ عملية إطلاق نار بالقرب من كيبوتس متسوفه. اختطاف الجندين الإسرائيليين على الحدود اللبنانية وهي العملية التي أثارت الحرب اللبنانية الثانية.

كان هناك رجل واحد يقف وراء جميع هذه العمليات، رجل غامض، يتحرك بين عواصم الشرق الأوسط ويفر من كاميرات التصوير ويرفض إجراء مقابلات صحفية. لقد اعتبرت الاستخبارات الغربية هذا الرجل شبحا قائما وغير قائم. كانت تعرف الكثير عن أعماله لكنها لم تكن تعرف شيئا تقريبا عنه شخصيا أو عن مسلكياته أو مكان وجوده.

من المعروف أن مغنية ولد عام 1962 في إحدى قرى جنوب لبنان لوالدين شيعيين متطرفين، وانتقل إلى بيروت في سن مبكرة، وترعرع في الأحياء الفلسطينية الفقيرة من التابعين لمنظمة التحرير الفلسطينية. وقد ترك المدرسة الثانوية وانضم إلى حركة فتح. ويقال أنه كان حارسا شخصيا لأبو إياد نائب أبوعمار، والتحق بالقوة -17 –وحدة حماية منظمة التحرير، لكن عندما طردت منظمة التحرير من لبنان في أعقاب الحرب اللبنانية الأولى عام 1982 فضل مغنية البقاء في بيروت وانضم إلى النواة الأولى التي شكلت حزب الله.

وبوصفه رجل عمليات سرية، فضل التواضع وعدم الظهور العلني، لذا فإن التقارير حول شخصيته كانت متقطعة وضبابية. وقد وصفه أحد التقارير بأنه حارس شخصي للشيخ فضل الله الزعيم الروحي لحزب الله، ووصفه تقرير آخر بأنه ضابط عمليات حزب الله، والعقل المدبر وراء العمليات الجريئة جدا التي انتهت بحمامات دم. لقد تسلق القائمة حتى أصبح كبير الإرهابيين المطاردين في العالم كله، مثل كارلوس في حينه ومثل أسامه بن لادن.

كان عماد مغنية إرهابيا قاسيا ومبدعا، وقد ارتفع نجمه عندما خطط سلسلة من العمليات الجماعية في لبنان في نهاية الحرب اللبنانية الأولى. لم يكن آنذاك قد تجاوز الحادية والعشرين من العمر حينما أرسل أول شاحنة محملة بالمتفجرات يقودها انتحاري إلى قيادة سلاح الإنزال البحري الأميركي والمظليين الفرنسيين في بيروت. وبعد أربع وعشرين ساعة فقط وجه ضربة قاتلة إلى قيادة الجيش الإسرائيلي في صور. وفي سن الثانية والعشرين قاد مجموعة من المسلحين إلى المبنى المحصن للسفارة الأميركية في الكويت، ثم خطف هناك أول طائرة بالنسبة له. وفي كل مرة كان يفر من مكان الحادث وكأن الأرض انشقت وابتلعته.

وفي سن الثالثة والعشرين اختطف مغنية طائرة تي.دبليو.إيه في الطريق من أثينا إلى روما وأرغم الطيار على الهبوط في مطار بيروت. وخلال عملية الاختطاف قتل غواص الأسطول الأميركي روبرت دين ستتهم وألقى جثته من قمرة ربان الطائرة. وتمكن مغنية في أعقاب العملية من الفرار، لكنه هذه المرة ترك وراءه بصمات أصابعه في مرحاض الطائرة.

لم تكن هناك أية معلومات حول حياته الشخصية باستثناء زواجه من ابنة عمه والتي أنجبت له ابنا وإبنة. لقد أدرك منذ أن كان شابا أنه مطلوب للعديد من أجهزة المخابرات في العالم، لذا حاول الاختفاء وإخفاء هويته، واجتاز عملية جراحية بالستية غير ناجحة في ليبيا، وربى ذقنا وتهرب من كاميرات وسائل الإعلام، ولم تحصل المخابرات الغربية سوى على صورة واحدة له يبدو فيها يضع على عينيه نظارة، وسمين ويعتمر قبعة. وقد وصفته المباحث الفدرالية الأميركية بأنه : من مواليد لبنان، يتحدث العربية، شعره وذقنه ذو لون بني، طوله 170 سنتيمترا، ووزنه حوالي ستين كيلوجراما. ولا شك أن من الصعب أن ندرك كيف يمكن لرجل

سمين يصل طوله إلى 170 سنتيمترا أن يكون وزنه ستين كيلـو جرامـا. وهـذا يـدل بصـورة قاطعـة على أن مغنية تمكن من إخفاء نفسه وخداع جميع مطارديه الذين حاولوا اعتراضه دون جدوى.

أصبح مغنية شخصية تحظى بالكثير من التقدير في حزب الـلـه جراء العمليـات التـي قـام بهـا. وعـزوا إليـه الجرأة والذكاء والشجاعة والمقدرة التنفيذية التي حولت الذراع العسـكري التـابع لحـزب الـلـه إلى تهديـد عـلى جميـع الأجهزة الاسـتخبارية في العـالم. وكلـما ازدادت قوتـه كلـما ازدادت أجهـزة المخـابرات الإسرائيليـة والأميركيـة إصرارا عـلى تصفيته.

أدرك مغنية ذلك، وتحول إلى شخص شكاك، يشتبه في الجميع ويلاحظ أدق التفاصيل، ووصلت الشـكوك إلى مساعديه، الذين كان يستبدلهم بين الفينة والأخرى، وكان يبيت كل ليلـة في مكـان آخـر، كـما أن سـفرياته عـلى محـور بيروت، طهران دمشق كانت سرا من الأسرار الدفينة. إن إولئك الذين تعقبوه وجدوا أنه ينطبق عليه مصـطلح "الإرهـابي صاحب الأرواح التسعة".

وفي المقابلة التي منحها ديفيد بركاي قائد الوحدة 405 في شعبة الاستخبارات العسـكرية المسـؤول عـن بنـاء صورة مغنية لصحيفة ساندي تايمز قال: لقد جمعنا الكثير من المعلومات عن مغنية، وكلما ازدادت هذه المعلومات كلما وجدنا أن معلوماتنا أصبحت أقل، لأننا لم ننجح في العثور على نقطة ضعف لديه مثل النساء، المخدرات والمال.

استغرقت مطاردة مغنية سنوات طويلة، وفي عام 1988 كاد أن يعتقل في فرنسا عندما عرجـت طائرتـه عـلى باريس، وكانت وكالة المخابرات المركزية قد زودت الفرنسيين بمعلومات بما فيها صورة وتفاصيل عن جواز السـفر المـزور الذي استخدمه، بيد أن الفرنسيين خشوا من أن يؤدي اعتقاله إلى قتل الرهائن الفرنسيين المحتجزين في لبنان، لذا فضلوا تجاهل الوضع وتركه يواصل طريقـه. وقـد حاولـت المخـابرات الأميركيـة إلقـاء القـبض عليـه في أوروبـا عـام 1986، وفي السعودية عام 1995، بيد أنه تمكن من التملص منها كالعادة.

انشغل مغنية في تلك الآونة بالتخطيط لعمليات ضد اليهود والإسرائيليين في الأرجنتين،وفي سنة 1988 أشرف على تفجير شاحنة ملغومة يقودها انتحـاري في سـفارة إسرائيـل في بـوينس أيـرس مـما أدى إلى مقتـل تسـعة وعشرـين شخصا، واعتقدت الكثير من الجهات أن العملية جاءت ردا على قيام إسرائيل بتصفية الشـيخ موسـوي بصـاروخ أطلقتـه عليه طائرة عمودية

في جنوب لبنان. وبعد سنة نفذ عملية تفجير في مبنى الجاليـة اليهوديـة في بـوينس أيـرس، مـما أسـفر عـن مقتل ستة وثمانين شخصا. واعتقد الكثيرون أن العملية جاءت انتقاما لاختطاف الشيخ مصطفى ديراني. وقد توصل طاقم التحقيق الإسرائيلي والأميركي اللذان حققا في العملية إلى استنتاج مفاده أن عمليتي بـوينس أيـرس متماثلتـين وأن المنفـذ واحد والأسلوب واحد: تحميل شاحنة بالمتفجرات وقيام انتحاري بقيادتها إلى المبنى المـراد تفجـيره. كـان الأسـلوب هـو نفس الأسلوب الذي تعلمه ومارسه في بيروت وفي مدينة "صور" في بداية طريقه. كانت جميـع الخيـوط تقـود إلى عـماد مغنية.

تفيد مصادر معينة أن مغنية كان يتواجد في تلك الآونة لفترات طويلة في إيران. ففي أعقاب اغتيال إسرائيـل للشيخ موسوي، خشي مغنية أن تحاول اغتياله. وقد أنشأ في تلك الفترة وحدة عمليات مشتركة في طهران بين حزب الـلـه والمخابرات الإيرانية، وكان شركاؤه في تشكيل وتفعيل الوحدة كل من قائد حرس الثـورة الإيرانيـة محسـن رداي، ووزيـر المخابرات علي فلحيان، وعلى ما يبدو أن هذه الوحدة كنت النواة التي عملت في بوينس أيـرس. كانـت نتيجـة العمليـة واحدة بالنسبة لإسرائيل وهي أن إسرائيل حكمت على مغنية بالموت، بيد أن هذا الحكم يحتاج إلى وقت للتنفيذ.

تم العثور على مغنية في كانون الأول 1994 في لبنان، وفي غضون فترة قصيرة جرت محاولة لتصفيته بواسـطة سيارة ملغومة في جنوب لبنان. لقد تم وضع عبوة ناسفة تحت سيارة واقفة بالقرب من المسجد الذي يلقي فيـه الشـيخ فضل الـلـه خطبة الجمعة، وقد أدى الانفجار إلى تدمير دكان فؤاد مغنية – شقيق عماد- وعثر على جثتـه بـين الأنقـاض، أما عماد الذي كان من المفروض أن يأتي إلى الحانوت، فلم يأت وبذلك نجا.

بعد وقت قصير اعتقلت السلطات اللبنانية شبكة تجسس لبنانية برئاسة شخص يدعى أحمد حلاق، واتضـح من التحقيقات أنه وزوجته وضعا العبوة المتفجرة في سيارتهما وأوقفاها بالقرب من حـانوت مغنيـة، وقـد دخـل احمـد حلاق إلى الحانوت للتأكد من أن مغنية في الحانوت، وصافحه، ثم خرج وفجر السيارة. وأفادت صحيفة السفير أن إحمـد حلاق اجتمع مع ضابط موساد

إسرائيلي في قبرص وأنه هو الذي أمره بوضع السيارة المفخخة وقتل مغنية مقابل مائة ألف دولار.

تفيد وسائل الإعلام الأجنبية أن الموساد الإسرائيلي تمكن في نهاية الحرب اللبنانية الثانية من تجنيد فلسطينيين من معارضي حزب الله داخل لبنان. وقد كانت لأحدهم إبنة شقيقة في القرية التي يسكنها مغنية، وقد قالت للعميل المجند أن مغنية سافر إلى أوروبا وعاد إلى لبنان بوجه مختلف تماما عن وجهه. وهكذا شرع عملاء الموساد بالبحث عن مركز التجميل الذي أجرى لمغنية العملية. وقد حدث الانفراج في برلين. ويقول الصحفي البريطاني جوردون توماس: اجتمع أحد عملاء الموساد يدعى روبن مع مخبر محلي ألماني ذي علاقة واسعة في ألمانيا الشرقية، وقد قال المخبر له أن عماد مغنية اجتاز قبل وقت قصير سلسلة من العمليات البالستية والتي غيرت صورته الخارجية نهائيا. وقد جرت العمليات في معمل كان يعود في السابق لوكالة المخابرات الألمانية الشرقية – شتازي.

وبعد مناقشات مطولة وفحص ملف المعمل وافق روبن على دفع مبلغ كبير للمصدر الألماني مقابل تسليمه ملفا فيه ثلاث وأربعون صورة جديدة لمغنية. لقد أجريت لمغنية عملية في الفك ، وفي الأسنان،حيث أزيلت أسنانه الأمامية ووضع له أسنان مختلفة، وكذلك عينيه اتخذت صورة أخرى جراء شد الجلد. وصبغ شعره بلون سكني، وبدلا من النظارات ركب لهما عدسات لاصقة. وبالتالي لم يعد يشبه مغنية القديم بأية صورة من الصور ولم تعد الصور الموجودة لدى أجهزةالمخابرات الغربية ذات صلة بشخصيته الجديدة.

وبناء على الصور الجديدة التي حصل عليها الموساد بدأ التخطيط لعملية تصفية مغنية.

عقد رئيس الموساد اجتماعا لخيرة رجاله، ومن ضمنهم رئيس شعبة قيساريه، ورئيس شعبة كيدون، وخبراء آخرون ممن عالجوا ملف مغنية. لقد اتضح للمتناقشين تدريجيا استحالة اغتياله في بلد غير إسلامي، حيث كان يسافر في حالات نادرة إلى دول الغرب، ولا يشعر بالأمان نسبيا سوى في إيران وسورية. كانت إسرائيل تدرك أن هاتين الدولتين معاديتان وأن العمل هناك سيرتبط بتعريض حياة العاملين من الموساد للخطر. حقا لقد عمل الموساد قبل ذلك في الدول العربية، ونفذ عمليات في بيروت إبان قيامها بتصفية رؤساء منظمة أيلول الأسود، كما

عمل في تونس عنـدما قامـت إسرائيـل بتصـفية أبـو جهـاد، لكـن طهـران ودمشـق كانتـا شـديدتي الشـكوك ومحميات وأكثر خطورة من بيروت أو تونس.

ورغم ذلك كان رئيس الموساد دجان يدرك مدى مغزى وقوة تنفيذ عملية ناجحة في قلب دولة كسـورية، إن ذلك يعني أن أي شخص لن يستطيع الإفلات من قبضة الموساد وذراعـه الطويـل. إن قتـل إرهـابي كبـير في دمشـق التـي تعتبر قلعة أعداء إسرائيل سيزرع الخوف والفزع وعدم الامان في أوساط رؤساء المنظمات الإرهابية، فإذا كانوا في دمشق غير آمنين، أين يمكنهم أن يكونوا آمنين؟

وتفيد صحيفة إندبندنت البريطانية أن البلورة التي تبلـورت خـلال النقاشـات في قمـة الموسـاد هـي ضرورة استغلال زيارة مغنية لدمشق للمشاركة في مراسيم إحياء الذكرى السنوية للثورة الإيرانية التي تصادف الثـاني عشرـ مـن شباط من أجل تصفيته.

وفي أعقاب المشاورات والدراسات الدقيقة اتخذ قرار بـأن يـتم التنفيـذ باسـتخدام سـيارة مفخخـة ملاصـقة لسيارة مغنية. وهنا بدأ سباق في الموساد مع الزمن مـن أجـل الحصـول عـلى معلومـات اسـتخبارية ممكنـة مـن جميـع الجهات التي يقيم الموساد معها علاقات، بما فيها وكالات المخـابرات الأجنبيـة لمعرفـة فـيما إذا كـان مغنيـة سـيتوجه إلى دمشق أم لا؟ وإذا كان سيتوجه إلى دمشق فما هي الهويـة التـي سـيحملها؟ وأيـة سـيارة سـيركبها، وأيـن سـينزل، ومـن سيرافقه، و متى سيصل إلى اللقاء المنتظر مع ممثلي الإيرانيين والسوريين؟ وهل تم إعلام السلطات السورية بأنـه سـيزور دمشق؟ وهل علمت أية جهة من زعامة حزب الـلـه بسفره المرتقب؟ والكثير من التفاصيل الأخرى.

جاءت المعلومات التي حسمت الأمور مـن مصـدر موثـوق جـدا، والـذي أكـد أن مغنيـة يعتـزم التوجـه إلى دمشق حقا، وقد ضمت هذه المعلومة إلى تفاصيل جديدة أخرى جمعت من مصادر مختلفة في بيروت، بمـا فيهـا مـثلما أفادت صحيفة "البلد" اللبنانية، معلومات وصلـت إلى الموسـاد بواسـطة أجهـزة تحديـد موقـع قـام الموسـاد بزرعهـا في سيارات زعماء حزب الـلـه بما فيهم مغنية. لقد زودت الأجهزة الموساد بمعلومات مفصلة حول تحركاتهم.

وصلت الطواقم المنفذة للعمليـة إلى دمشـق بطـرق مختلفـة: جمـع المعلومـات، اسـتئجار السـيارة وإعـداد الشقق الخاصة، والقيام بأعمال الرقابة، والطاقم الذي سيدخل إلى دمشق العبوات الناسفة لتنفيذ العملية.

وصلت في اللحظات الأخيرة معلومات مفاجئة، حيث أفاد مصدر موثوق أن عماد مغنيـة اعتـاد في كـل مـرة يزور فيها دمشق الاجتماع بعشيقته. كانت تلك هي أول مرة يسمع عملاء الموساد أن مغنية يعيش قصة حب سرية مع شابة في الثلاثين من العمر تدعى نهاد حيدر وأنها تنتظره في حي راق في دمشق. كانت نهـاد تعلـم جيـدا موعـد وصـول مغنية إلى دمشق من بيروت أو طهران، وقد اعتاد التوجه إلى شقتها وحده دون حراس ودون سائق شخصي.

طلب الموساد من طواقم المراقبة التأكد من أن مغنية سيزور عشيقته هذه المرة أيضا، وفيما إذا كان صاحب الشقة الذي وضعها تحت تصرف مغنية على علم بوصوله؟

وصل الطاقم التنفيذي إلى دمشق قبل أسبوع من التنفيذ، لقـد طـار أعضـاء الطـاقم إلى العاصـمة السـورية بشكل منفرد من مدن أوروبية مختلفة. وأفادت صحيفة إندبندنت أن طاقم التصفية ضم ثلاثة أشخاص: وقد طار الأول من باريس على متن طائرة إير فرانس، والثاني أقلع بالطائرة من ميلانو الإيطاليـة، والثالـث وصـل مـن عـمان عـلى مـتن طائرة الخطوط الأردنية. وقد اجتاز الثلاثة الجوازات السورية بكل بساطة ووصلوا إلى دمشق الى نقطة لقـاء معينـة مـع عملاء من بيروت، وقد قادهم هؤلاء العملاء إلى مكان سري حيث كانت بانتظـارهم سـيارة مسـتأجرة وفيهـا المتفجـرات التي اشتملت على ثلاثة آلاف كرة حديدية.

وصل عملاء الموساد الثلاثة إلى دمشق تحت غطاء خبراء سيارات وسياحة يقومـون بنزهـة. مكـث الثلاثـة في مرآب استأجره لهم العملاء وقاموا هناك بإعداد العبوات الناسفة التي تم إخفاؤهـا في جهـاز راديـو والـذي سـيركبونه في السيارة التي ستكون بانتظار مغنية غدا.

وعلى عكس ما نشر، فإن العملاء لم يخفوا العبوات الناسفة في مسند كـرسي السـائق، بـل أخفوهـا في سـيارة مأجورة سيتم إيقافها في الطريق الذي ستتحرك فيه سيارة مغنية.

قام طاقم آخر من العملاء الذى وصل إلى دمشق بانتظار مغنية حينما يأتي مـن بـيروت، وتمثلـت مهمتـه في مراقبته، والانتظار لخروجه من منزل عشيقته والإعلام عن الطريق الذي

يتخذه وهو في طريقه إلى اللقاء الذي تم الاتفاق على عقده في شقة محروسة جدا في حي كفر سوسه مع ممثلي إيران ومن ضمنهم السفير الإيراني الجديد.

كان المركز الثقافي الإيراني – القريب من شقة الاجتماع - يعتزم في تلك الليلة إقامة مراسيم احتفال، لكن مغنية لم يكن يعتزم المشاركة فيها، بل يعتزم إجراء لقاء عمل في الشقة ثم مغادرة المكان.

بدا واضحا لجميع أولئك الذين حققوا في قضية الاغتيال أنه ما كان بالإمكان تنفيذها دون مساعدة من العملاء المحليين. ومن الجدير بالذكر أن صحيفة السفير اللبنانية أفادت بعد ستة أشهر من عملية الاغتيال أنه تم اعتقال شبكة تجسس لبنانية، وأن أحد المعتقلين يدعى علي جراح ويناهز الخمسين من العمر ويسكن في البقاع اللبناني عمل لصالح الموساد طيلة عشرين سنة بأجر شهري قيمته سبعة آلاف دولار. وأنه قام بزيارة دمشق مرات عديدة، وقام خلال شهر شباط 2008 – أي قبل العملية ببضعة أيام بالتجوال في دمشق في نفس الحي الذي كان مغنية سيزوره. وقد عثر بحوزة جراح على أجهزة تصوير حديثة بما فيها كاميرة فيديو وجهاز جي.بي.إس – جهاز توجيه مخبأ بصورة جيدة في سيارته. وقد اعترف خلال التحقيق معه بأن ضابط ارتباطه في الموساد أرسله للقيام بأعمال الرقابة والتصوير وجمع المعلومات عن الحي الذي سيزوره مغنية بما فيها الشقة التي سيجتمع فيها مع عشيقته.

استكملت الاستعدادات الأخيرة في يوم العملية، وانتشر المراقبون حول المبنى. وقبل حلول المساء أفادوا أن مغنية قدم إلى شقة نهاد، و في الليل أعلنوا أنه خرج من الشقة وبدأ يشق طريقه إلى الاجتماع.

اجتازت سيارة الجيب دمشق ووصلت إلى الحي الذي من المفروض أن يعقد فيه الاجتماع مع الإيرانيين والسوريين. كان طاقم المراقبة يلازمه ويواصل تقديم التقارير للقيادة. هذا في الوقت الذي كانت فيه السيارة المفخخة جاهزة بالانتظار، وكان من المفروض أن يعطي أمر التفجير من مسافة كبيرة باستخدام أجهزة ألكترونية ذكية.

أوقف العملاء السيارة المفخخة بـالقرب مـن البيـت الـذي كـان عـلى مغنيـة الوصـول إليـه، غـادروا المكـان وتوجهوا إلى المطار، هذا في حين أن الأجهزة الألكترونية كانت تتابع سيارة الجيب الفضية والتـي ترجـل منهـا شـخص ذو ذقن ويرتدي بذلة سوداء، إنه مغنية.

وفي حوال الساعة العاشرة ليلا سمع صوت انفجار قوي في حي كفر سوسه ليس بعيـدا عـن مدرسـة إيرانيـة وبالقرب من حديقة عامة.ففي اللحظة التي خرج فيها مغنيـة مـن سـيارته انفجـرت العبـوة. لقـد انتهـت سـنوات مـن المطاردة ليلة الثاني عشر من شباط 2008.

نفت إسرائيل أن تكون لها أية يد في الاغتيال، لكن حزب الـلـه اتهمها بتنفيذ العملية.

الفصل الخامس والعشرون

---

*المبحوح قيادي حمساوي اشتغل بشكل أساسي في تهريب السلاح والمعدات الحربية من إيران والسودان إلى قطاع غزة.

*المبحوح للجزيرة:"لقد حاولوا اغتيالي ثلاث مرات وكادوا أن ينجحوا، مرة في دبي ومرة في لبنان والمرة الثالثة في سورية في أعقاب تصفية عماد مغنية.

* عملية تصفية المبحوح صورت وسجلت في إطار كاميرا تليفزيونية مغلقة بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ حرب الظلال الغامضة في العالم.

* المبحوح سافر إلى دبي بشخصية مستعارة حيث كان عليه الاجتماع هناك مع رجل اتصال إيراني من أجل تنسيق عملية تهريب إرسالية سلاح إلى القطاع.

* حماس اتهمت الموساد باغتيال المبحوح بواسطة عصا كهربائية والخنق باستخدام الوسادة.

"سبعة وعشرون عميلا
في أعقاب المبحوح"

دخلت سيارتان من طراز "أودي" سوداوتان في مطلع كانون الثاني 2010 من البوابة المركزية لمبنى يقع على تلة شمالي تل أبيب، حيث يوجد مقر الموساد، وترجل من السيارة الأولى رئيس الحكومة نتنياهو حيث استقبله رئيس الموساد مائير دجان. وفي غرفة المحاضرات عرض على نتنياهو خطة العمل لتصفية محمود المبحوح – عضو قيادة حركة حماس وشخصية مركزية على صعيد تهريب المعدات الحربية من إيران والسودان إلى قطاع غزة.. سيتم تصفية المبحوح في دبي في الخليج.

ترى هل تذكرنتنياهو خلال الشروحات التي قدمت له شروحات مماثلة قدمها له قبل اثنتي عشرة سنة رئيس الموساد داني يتوم بشأن تصفية شخصية رفيعة أخرى من حركة حماس – خالد مشعل- في الأردن؟ لقد أعطى نتنياهو الضوء الأخضر لتنفيذ العملية مثلما فعل في ذلك الحين أيضا. وبذلك بدأت القضية التي اشتهرت في العالم كله تحت اسم "عملية تصفية المبحوح".

أفادت صحيفة "ساندي تايمز" أن أعضاء خلية التصفية قاموا بالتدرب على العملية في أحد فنادق تل أبيب دون إعلام إدارة الفندق.

ولد محمود المبحوح في مخيم جباليا للاجئين في شمالي قطاع غزةعام 1960، واعتقل لأول مرة عام 1986 على أيدي قوات الأمن الإسرائيلية بتهمة حيازة أسلحة، وأفرج عنه بعد فترة الحكم وانضم إلى كتائب عز الدين القسام الذراع العسكري لحركة حماس.

قام قائد الذراع العسكري صلاح شحادة عام 1989 بتكليف المبحوح وعدد من أعضاء الذراع بمهمة خاصة تتمثل في اختطاف وقتل جنود إسرائيليين. وفي السادس عشر من شباط 1989 عرض المبحوح وأحد أعضاء الذراع- اللذين كانا يتنكران في زي متدينين من جماعة "الحراديم" ويقودان سيارة -على الجندي آفي سسبورتس الذي كان يقف في مفترق طرق "هديه" نقله مجانا. دخل سسبورتس إلى سيارتهما فقتلاه. وبعد ثلاثة أشهر أخرى اختطفا الجندي إيلان سعدون في مفترق طرق "رام " وقتلاه.

وفي أعقاب قتله فر المبحوح إلى مصر ومن هناك إلى سورية. وقد أثبت خلال السنين اللاحقة مقدرة تنظيمية وتسلق السلم في قيادة حماس. وقد اشتغل بشكل أساسي في تهريب السلاح والمعدات الحربية من إيران والسودان إلى قطاع غزة.

أدرك المبحوح أنه أصبح هدفا للموساد بسبب عمله، وأدرك أيضا أن إسرائيل لا يمكنها أن تغفر له قتل الجنديين، لذا اتخذ الكثير من وسائل الحذر الشديدة، وغير هويته بصورة مستمرة وتنكر في صورة رجل أعمال يقوم بالتجول بين مدن مختلفة في الشرق الأوسط بسبب أعماله المشروعة.

وقال ذات مرة لصديق له أنه اعتاد حينما ينام في فندق وضع كراسي تحت يد الباب من أجل الحيلولة دون مفاجآت لا يحمد عقباها.

وفي إحدى المقابلات النادرة التي منحها لشبكة الجزيرة والتي لم تنشر إلا في أعقاب اغتياله قال المبحوح: "لقد حاولوا اغتيالي ثلاث مرات وكادوا أن ينجحوا، مرة في دبي، ومرة في لبنان قبل حوالي ستة أشهر والمرة الثالثة في سورية قبل حوالي شهرين، في أعقاب تصفية عماد مغنية، هذا هو الثمن الذي يدفعه كل من يحارب إسرائيل".

لقد أجرى المبحوح المقابلة رغما عنه، وبأمر من زعامة حماس. وقد قال البعض إن هذه المقابلة ساعدت الموساد في العثور عليه. وقد اشترط المبحوح بث المقابلة بإخفاء وجهه تماما. لذا وضعوا على رأسه خلال بث المقابلة غطاء أسود. وفي أعقاب المقابلة أرسل الشريط إلى غزة لفحصه. واتضح أن عملية إخفاء شخصيته لم تكن جيدة، لذا طلبوا منه إجراء المقابلة مرة أخرى. وقد سأل المبحوح ما الذي حدث لشريط التسجيل السابق؟ فقيل له أنه محفوظ في إرشيف حماس. هناك من يعتقد أن شريط التسجيل وصل إلى أيدي أولئك الذين فتشوا عن المبحوح في كل مكان.

تلقت حركة حماس بعد بضعة أسابيع من المقابلة اتصالا هاتفيا من مجهول، قال فيها أن له علاقة بمجموعة تقوم بتهريب السلاح وتبييض الأموال وطلب الاجتماع مع المبحوح في دبي. ومن الجائز أن يكون هذا الاتصال الهاتفي هو الذي حدد مصير المبحوح.

لقد تم تصوير وتسجيل عملية تصفية المبحوح في إطار كاميرا تليفزيونية ذات دائرة مغلقة بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ حرب الظلال الغامضة في العالم. تلك الكاميرات المزروعة في كل مكان من دبي، بدءا من المطار وحتى ممرات الفنادق.

إن أفلام تلك الكاميرات تعتبر بمثابة الشهادة الوحيدة من نوعها على العملية، ومراحلها المختلفة. وقد مكنت ملايين المشاهدين من شتى أنحاء العالم متابعة عملية سرية وقاتلة تقوم بها وحدة تصفية وهي تجلس على مقاعدها أمام شاشات التليفزيون.

يوم الاثنين: 2010\1\18

12:09 هبطت طائرة اثنين من عملاء الموساد: ميخائيل بودنهيمر – يحمل جواز سفر ألمانيا- وزميله جيمس لونرد – يحمل جواز سفر بريطانيا- في دبي. وتقول الشرطة المحلية أن الاثنين كانا بمثابة "إسناد" للخلية التي وصلت من أجل تصفية المبحوح.

12:30 تصل طائرة قائد العملية كفين دبرون، ونائبته جبيل بوليارد – وهما يحملان جوازي سفر إيرلنديين- إلى دبي في رحلة مباشرة من باريس.

يوم الثلاثاء 2010\1\19

01:21 تسجل جبيل بوليارد اسمها في فندق "جوميده" وتحصل على غرفة في الطابق الحادي عشر. وعندما سألها موظف الاستقبال عن عنوانها، قالت دون أدنى تردد: طريق ممير 78، دبلين، إيرلند. وقد اتضح فيما بعد أن هذا العنوان ليس موجودا أصلا.

01:31: ينضم كفين دبرون – القائد- إلى نائبته ويسجل اسمه في فندق "جوميده"ويحصل على الغرفة رقم 3308.

(298) 02:29: يصل بيتر ألفينجر – منسق الإمدادت للعملية إلى دبي حاملا جواز سفر فرنسيا. وتقول الشرطة أنه حمل معه حقيبة مشبوهة.

02:36: تقابل بيتر في المطار مع عضو آخر في الخلية، وسوية يغادران المطار باتجاه منطقة الفندق.

10:15: تقلع طائرة محمود المبحوح من دمشق إلى دبي في رحلة مباشرة على متن طائرة تابعة للإمارات الخليجية. كان عليه الاجتماع في دبي مع رجل اتصال إيراني من أجل تنسيق عملية تهريب إرسالية سلاح أخرى إلى القطاع.

10:30: خرج بيتر – منسق العملية – من الفندق باتجاه مركز تسوق كبير في المدينة من أجل إعطاء توجيهات لخلية التصفية.

10:50: ينضم كوين وجيبيل إلى اللقاء مع زملائهم في مركز التسوق.

12:18: أنهى أعضاء الخلية التوجيه ويغادرون مركز التسوق. يتوجه كفين إلى فندق "جوميده" ويخلي غرفته ويخرج من الفندق. ويبدو في صور الكاميرات وهو يدخل إلى فندق آخر، حيث يغير هويته ويضع على رأسه شعرا مستعارا ونظارات وشاربا.

14:12: تصل أول خلية مراقبة مؤلفة من عميلين يرتديان ملابس التنس إلى فندق "البستان روتانا". وينتظر العميلان المبحوح الذي من المفروض أن يصل إلى الفندق خلال الساعات القليلة القادمة.

15:12: تغادر جيبيل أيضا فندق "جوميده"، وتدفع مقابل الليلة التي مكثتها في الفندق مبلغا يعادل 1510 شيكلات – حوالي 450 دولارا.

15:15: تهبط طائرة محمود المبحوح في دبي، ويقدم في مراقبة الجوازات جواز سفر عراقيا مزورا بوصفه مستورد أقمشة.

15:25: تنتقل جيبيل إلى فندق آخر،حيث تغير هناك ملابسها، وتتزين وتضع باروكة شعر.

15:28: وصل المبحوح إلى فندق "البستان روتانا"، وتقوم خلية المراقبة بمتابعته. طلب المبحوح من موظف الاستقبال غرفة دون شرفة ودون نوافذ يمكن فتحها، ويمنحه الموظف الغرفة رقم 230 في الطابق الثاني. ويصعد إلى غرفته دون أن يدري أن نزيلي الفندق اللذين يرتديان ملابس التنس، واللذين صعدا معه في المصعد أعضاء خلية المتابعة.

15:30: أعلمت خلية المتابعة بأن المبحوح دخل إلى غرفته، وأن رقم الغرفة المقابل لها هو 237.

15:53: يصل بيتر –منسق العملية- إلى الفندق ويتوجه إلى مركز الأعمال هناك، ومن هناك حجز الغرفة رقم 237.

16:03: تحل خلية متابعة محل الخلية الأولى وتنتظر خروج المبحوح من غرفته.

16:14: يجتمع جميع أعضاء الخلية في فندق البستان روتانا

16:23: يخرج المبحوح من غرفته، ويجول بعينيه حوله للتأكـد مـن أن المنطقـة خاليـة، ثـم يغـادر الفنـدق، وتقوم خلية المتابعة باللحاق به.

16:24: يعلم طاقم المتابعة باقي أعضاء الخلية بتفاصيل عن السيارة التي ركبها المبحوح.

16:27: يصل بيتر ألفينجر إلى فندق البستان روتانا، ويسلم قائد العملية كفين دبرون حقيبة كانت تحتوي – على ما يبدو- على الوسائل التي استخدمت لتصفية المبحوح.

16:33: يتوجه بيتر إلى الاستقبال ويأخذ مفاتيح الغرفة 237، القائمة مقابل غرفة المبحوح.

16:40: يعطي بيتر مفتاح الغرفة إلى كفين، ويغادر الفندق إلى مكان غير معروف.

16:44: يدخل كفين إلى الغرفة 237، ويفحص النافذة وعين الباب المكبرة، والتي يمكنه أن يرى المبحـوح منهـا حينما يعود إلى غرفته.

17:00: تصل جيبل إلى الغرفة 237، وتقوم هي وكفين بفحص جدول العمل، وهما يتلقيان تقارير عما يقـوم به المبحوح خارج الفندق.

17:36: يـدخل أحـد أعضـاء الخليـة إلى الفنـدق وهـو يعتمـر طاقيـة "كاسـكيت" ويتوجـه إلى زاويـة الممـر ويستبدل الطاقية بباروكة شعر.

18:21: تغادر جيبل الغرفة 237 وهي تحمل حقيبة في يدها. وتتوجه نحو موقف سيارات الفنـدق، وتسـلم الحقيبة مع وسائل التصفية لأحد أعضاء خلية التصفية.

18:32: تصعد خلية التصفية الأولى من موقف السيارات إلى قاعة استقبال الفندق.

18:34: تصل خلية التصفية الثانية من خارج الفندق وتقف في إحدى زوايا القاعة في أبعد نقطة عـن خليـة التصفية الأولى.

18:43: تغادر خلية المراقبة الأولى التي يرتدي أعضاؤها ملابس التنس الفندق.

19:30: يقلع بيرت من دبي بجواز سفر فرنسي إلى ميونيخ في المانيا.

20:00: يغادر أحد عمال النظافة الطابق الذي توجد فيه غرفة المبحوح، ويحاول أعضاء خلية التصفية الدخول إلى الغرفة .230

20:04: يشير القائد كفين – الذي ينتظر في مدخل الطابق- إلى أعضاء الخلية بالابتعاد لأن المصعد توقف وخرج منه أحد نزلاء الفندق. سجلت منظومة رقابة أقفال الغرف محاولة اقتحام الغرفة 230 التي ينزل فيها المبحوح.

20:20: يعود المبحوح إلى الفندق. ويقوم أعضاء طاقم المراقبة بإعلام كفين بأن المبحوح يتجه إلى المصعد.

20:27: يدخل المبحوح لغرفته. ينتظر كفين وجيل في طابق الغرفة بالقرب من المصعد. تجري في تلك اللحظة في الغرفة 230 عملية التصفية.

20:46: يغادر أربعة من طاقمي خليتي التصفية الفندق.

20:47: تغادر جيبل وأحد أعضاء الخلية الفندق.

20:51: يدخل كفين إلى غرفة المبحوح في أعقاب عملية التصفية، ويضع على الباب ملاحظة "الرجاء عدم الإزعاج".

20:52: تغادر خلية المراقبة الفندق.

22:30: يغادر كفين وجيل دبي في رحلة مباشرة إلى باريس.

اتصلت زوجة المبحوح في حوالي الساعة العاشرة بهاتفه الخلوي، لكن المبحوح لا يرد، وتعاود الاتصال المرة تلو الأخرى دون رد. ويحاول أحد أصدقاء المبحوح الاتصال به دون جدوى. ولا يرد المبحوح أيضا على الرسائل الألكترونية التي ترسل إليه، وتمضي الساعات دون أن يتصل.

اتصلت زوجة المبحوح بشخصيات رفيعة من حماس، والتي قررت الاتصال بأحد أعضائها في دبي وإرساله إلى فندق "البستان روتانا" لمعرفة ما يحدث للمبحوح. توجه الرجل إلى الاستقبال واتصل بالغرفة 230 لكنه لم يتلق أي رد.

استجاب موظفو الفندق لطلب عضو حركة حماس بعد منتصف الليل وصعدوا إلى غرفة المبحوح، وفتحو الباب ليعثروا على جثته. استدعى الموظفون طبيبا، والذي قال بعد فحص الجثة: إنه توفي بسكتة قلبية.

وزعت حركة حماس بيانا رسميا أفادت فيه إن المبحوح توفي لأسباب طبية، بيد أن مواقع الانترنت المقربة لحماس أفادت أن وفاته جاءت على خلفية ضمور عضلات أو نوبة قلبية.

رفضت عائلة المبحوح قبول هذا التشخيص، وقالت أن الموساد هو الذي صفى المبحوح. وتم إرسال جثته إلى الطب الشرعي وأرسلت عينة دم إلى مختبر في فرنسا. وبعد تسعة أيام جاءت نتائج المختبر الفرنسي، وفي أعقاب ذلك أعلنت حركة حماس أن الموساد هو الذي اغتال المبحوح بواسطة عصا كهربائية والخنق باستخدام الوسادة. وفي نفس الوقت أعلنت شرطة دبي أن الفحص لم يجد أية علامات سم في دمه.

نشرت صحيفة الساندي تايمز في الحادي والثلاثين من كانون الثاني 2010 – أي بعد اثني عشر يوما تقريبا من اغتيال المبحوح- مقالة عن عملية التصفية تحت عنوان "إسرائيل سممت مسؤول حماس". وأفادت أن خلية التصفية التي دخلت إلى غرفة المبحوح حقنته بسم يتسبب في الوفاة بصورة شبيهة للوفاة بنوبة قلبية، وأنها صورت جميع الأوراق التي كانت في حقيبته الشخصية وغادرت المكان تاركة على باب الغرفة ملاحظة تقول: "أرجو عدم الإزعاج".

في الثامن والعشرين من شباط أفاد قائد شرطة دبي أنه تم العثور في عينة الدم التي أخذت من الجثة وأرسلت للفحص في مختبر خاص في فرنسا على آثار لمسكن قوي من طراز هيدروكلوريد الذي يستخدم للتخدير الكامل قبل العمليات، وهذا المسكن يؤدي إلى فقدان الوعي.

وافادت رواية شرطة دبي أن المصفين حقنوا المبحوح بالمسكن، ثم خنقوه كي تبدو الوفاة طبيعية.

نشر الصحفي جوردون توماس مقالة في صحيفة تلجراف البريطانية تحت عنوان: "تصريح الموساد بالقتل" قال فيها: "إن اسم المبحوح كان خلال السنة الماضية على رأس قائمة تصفيات الموساد، وأن الطريقة التي قتل بها المبحوح تماثل عمليات التصفية الأخرى التي نفذها

الموساد في السابق. وأن أحد عشر شخصا شاركوا في عملية التصفية من بينهم ست نساء، وقد تم اختيـارهم من بين ثمانية وأربعين شخصا من وحدة كيدون التابعة للموساد".

لقد خلص قائد شرطة دبي إلى استنتاج من خلال صور الكاميرات، ومن خلال فحص صور الداخلين والخارجين من دبي مفاده أن عشرات العملاء الإسرائيليين شاركوا في عملية تصفية المبحوح. لكن الاستنتاجات أنفة الـذكر تثير عـدة تساؤلات:

أولا: ألم يكن الموساد على علم بأن هناك شبكة كاميرات منتشرـة في دبي؟ وبنـاء عـلى أقـوال شرطـة دبي فـإن رسله زاروا دبي عدة مرات من أجل الإعداد للعملية. ألم يعلمـوا خـلال هـذه الزيـارات بـأن دبي مغطـاة بكـاميرات؟ وإذا كانوا يعرفون فإن ذلك يجعلنا نعتقد أن كـثرة الـدخول والخـروج مـن دبي، وتغيـير الباروكـات والملابـس مـا هـي سـوى مسرحية موجهة لتلك الكاميرات. هي ترمي لعرض أشخاص لم يشاركوا أبدا في عملية التصفية.

ثانيا: فاخر قائد شرطة دبي بأنه تم تصوير العملاء خلال الرقابة على الجـوازات. تـرى ألم يكـن الموسـاد عـلى علم بأن دبي تفعل ذلك خلال دخول الزوار إليها؟ وفي هذه الحالة ألم يعمل من أجل تغيير ملامـح رجالـه بحيـث لا يـتم التعرف عليهم؟

ثالثا: كيف حدث أن الكاميرات التقطت صورا لجميع تحركات العملاء باستثناء صورة واحدة: دخول وخروج أعضاء طاقم التصفية لغرفة المبحوح. ألم تكن هناك كاميرا موضوعة بالقرب من المكان؟

تم بحمد الـلـه
وعونه